الرسائل والمقالات النجمية

في المسائل الدعوية والمنهجية

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

المنهاج

منارة الإسلام
للنشر والتوزيع


مصـــورات
أبي عبد الرحمـٰن السلفي الفلسطيني

الرسائل والمقالات النجمية

في المسائل الدعوية والمنهجية

حقوق الطبع محفوظة

لـ « دار المنهاج »

الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

رقم الإيداع

٢٠١٤/٢١٨٦٦

منارة الإسلام
للنشر والتوزيع

٨١ شارع الهدي المحمدي - أحمد عرابي - مساكن عين شمس - القاهرة - مصر
جوال: ٠١٢٠٥٥٤٠٤٢٢ / ٠٠٢ - ٠٠٢/٠١١٤١١٤٦٣٦٦

E-mail: Manart.aslam@yahoo.com / Manart-aslam@hotmail.com

المنهاج

٨١ شارع الهدي المحمدي - من أحمد عرابي - مساكن عين شمس القاهرة - مصر
جوال: ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨٤٠٨١ - ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨٤٠٧٨ - ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨٤١١٣

E-mail: daralminhaj@yahoo.com / daralmenhaj@hotmail.com

الرسائل والمقالات النجمية

في المسائل الدعوية والمنهجية

تأليف

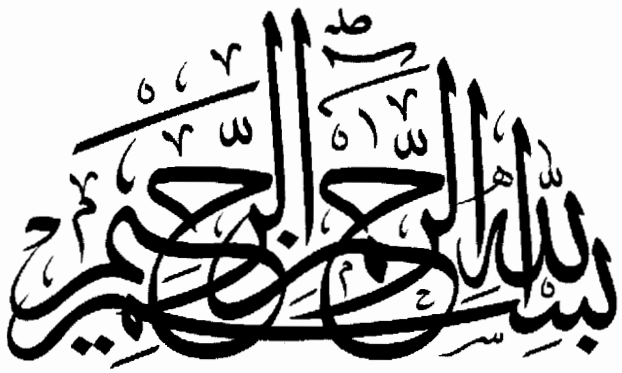
فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

منارة الإسلام

للنشر والتوزيع

المنهاج



مقدمة الناشر

إنَّ الحَمدَ لله، نَحمَدُهُ، وَنَستَعينُهُ، وَنَستَغفرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمِن سَيِّئاتِ أَعمَالِنَا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أمَّا بَعدُ:

فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيرَ الهَدي هَديُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ

الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

وبَعدُ:

فَبَيْنَ يَدَيك -عَزِيزي القَارِئ الكَريم- سِفْرٌ مُبَارَكٌ، أَسْمَيناه: «**الرَّسَائل والمَقَالات النَّجْمِيَّة في المَسَائل الدَّعَوِيَّة والمَنْهَجِيَّة**»، جَمَعْنا فيه مَجموعة طَيِّبَة مِن رَسَائل ومَقَالات فَضِيلة الشَّيخ العَلَّامة المُحَدِّث أَحْمَد بن يَحيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ في الدَّعْوة والمَنْهج السَّلَفِي، هي:

١- نَصِيحَة للدُّعَاة.

٢- حَقُّ النَّبيِّ ﷺ بَين الغُلوِّ والتَّفْريط.

٣- حَادثة امْتِهَان الدِّانمارك لِصُورة الرَّسُول ﷺ.

٤- سِيرة الإمامِ المُبَجَّل أحمد بن مُحمد بن حَنبل.

٥- سِيرة الإمامِ البُخَاري.

٦- الفَتْح الرَّبَّاني في الدِّفَاع عن الشَّيخ مُحَمَّد نَاصر الدِّين الألباني.

٧- تَرْجَمة الشَّيخ عَبد اللهِ القَرْعَاوِي؛ (وَصَايا لِطُلَّابِ العِلم).

٨- الغُلُو؛ أَسْبَابه، وعِلَاجه.

٩- المُعَاهَدُون والمُسْتَأْمَنُون.

١٠- التَّكْفِير وبَيَان خَطَرِه، وأَدِلَّة ذَلك.

١١- حَوَادِث التَّكْفِير والتَّدْمِير؛ مَا سَبَبُها؟

١٢- السَّلَفِيُّون بَرِيئون مِن الأَعْمَال الإِرْهَابِيَّة.

١٣- بَيَان مُخَالَفَات الإِخْوَان، وَوَلَائِدهم.

❁ رَسَائِل ومَقَالات مُتَفَرِّقَة، وتَشْمَل:

أ- الدُّنْيا مَتَاعٌ زَائل، وعَارِية مُستردة.

ب- الاسْتِقَامة.

ج- مَوْعظة.

د- هَوَان الدُّنيا.

هـ- حُكم اللهو واللعب.

و- بَيعة النِّسَاء.

ز- الوَعْيد عَلَىٰ إِضَاعَة الصَّلاة.

ح- مَثَلُ الحَياة الدُّنيا.

ط- الأَمْر بالمَعْروف، والنَّهي عَن المُنكر. (كَلِمة خَاصَّة لِشَبكة سَحَاب السَّلَفية).

ي- أَحَاديث في الخَوَارج.

ك- رِسَالة في العِلم وفَضْله، وَوَصَايا نَافعة لِطَالبه.

وذَلك بَعد أن عَمِلْنَا عَلىٰ تَرْتِيبِها، وإِعْدَادِها للنَّشْر وَفْقَ المَنهجِ العِلْمِيِّ الآتِي:

١- مراجعة الرسائل مراجعةً علميَّةً ولُغويَّةً دقيقةً.

٢- تَشكيل ما يُشكل فيه؛ وما يُبرز معناه ويُجَمِّلُه، وإخضاعه لعلامات الترقيم، وتقسيمه إلىٰ فقرات، وتنسيقه وفق الأساليب الحديثة في الطباعة.

٣- إثبات الآيات القرآنيَّة بالرَّسم العثمانيِّ، وعزْوها إلىٰ مواضعها في المصحف الشَّريف.

٤- تخريج الأحاديث، وقد اكتفينا بتخريج الحديث إنْ كان في «الصَّحيحين»، أو في أحدهما بذكر رقمه، وإنْ كان في غيرهما ذكرنا رقمه، أو رقم الجزء والصفحة، ثم أوردنا حُكم الشَّيخ الألبانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عليه غالبًا.

٥- إثبات الأحاديث الَّتي أوردها الشَّيخ أثناء التَّعليق بالمعنىٰ من كُتُب السُّنَّة بألفاظها في الحاشية؛ لتَّتضح الفائدة من ذِكْرها.

٦- تخريج الآثار من كُتُب التَّفاسير، وكُتُب السُّنَّة.

٧- عزو النُّقولات إلىٰ مصادرها من كُتُب أهل العلم.

٨- شرح الغريب من كُتُب الشُّروح المُعتمدة، وكُتُب اللُّغة.

٩- إضافة بعض التَّعليقات المهمَّة من كلام أهل العلم؛ ليكتملَ المعنىٰ، ويتضح المقصود.

١٠- إضافة عَناوين لكل رسالة من الرَّسائل لِيَستبين ما تَحْويه.

١١- عَمَلُ تَرْجمةٍ للشَّيخ العَلَّامةِ المُحدِّث أحمد بن يحيىٰ النَّجْمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

والله من وراء القصد، وهو المُوفِّق والهادي إلىٰ سواء السَّبيل.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

اللجنة العلمية لمؤلفات العلامة أحمد النجمي رحمه الله

قسم التحقيق والبحث العلمي بـ "دار المنهاج"

ترجمة فضيلة الشيخ
العلامة أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ

○ اسمه ونسبه:

هُوَ شَيْخُنا العَلَّامة، السَّلفيُّ، الفَقِيه، المُسْند، المُحَدِّث، حاملُ لِوَاء السُّنَّة ونَاصِرُها، وقَاهِر البِدْعةِ ومُبْطلها، العَالِم الرَّبَّانيُّ الحَبْر، صَاحِبُ الأَخْلاقِ العَلِيَّة، والمَنَاقبِ الرَّضيَّة، ذُو التَّصانِيفِ النَّافعة، والمُصنَّفاتِ الجَلِيلة الرَّائعة، كَانَ مَنَارًا عَظِيمًا مِنْ مَنارَاتِ العِلْمِ، مُتَّفقًا علىٰ عِلْمِهِ وإمامتِهِ وجلالتِهِ وزُهْدِهِ ووَرعِهِ وعبادتِهِ وصيانتِهِ، مُفْتيًا لِمنْطقة جَازَان في عصرِهِ:

«أَحْمد بْن يَحْيىٰ بْن مُحمَّد بْن شُبَير النَّجْمي»:

○ ولادته ونشأته:

وُلِدَ الشيخُ أحمدُ بن يَحْيَىٰ النجمي في ٢٢/ ١٠/ ١٣٤٦هـ بقَرْية النجامية، وكَانَ وحيدًا لأَبَوَيْنِ صَالِحَين لم يُرْزقَا سِوَاه؛ ولِذَلِكَ نَذَرا ألَّا يُكلِّفانه شيئًا من أُمُور الدُّنيا، بَلْ نَذَرا به لله ﷻ في تَعْليمِهِ، وتَرْبيتِهِ تَرْبيةً سَلِيمةً صَحِيحةً.

○ نشأته العلمية:

مَنَّ اللهُ ﷻ علىٰ منطقة جازان بقُدُومِ شيخٍ كبيرٍ، وعالمٍ جليلٍ قادمٍ من

بلاد نجد؛ إنَّه الشَّيخ العَلَّامة/ عبد الله بْن مُحمَّد القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ، وكَانَ قُدُومُه لمنطقة جازان عام ١٣٥٨هـ بأَمْرٍ من مُفْتي الدِّيار السُّعوديَّة آنَذَاك، سماحة الشَّيخ العَلَّامة/ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وقَدِ اسْتَقرَّ المقامُ بالشَّيخ القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في صامطة داعيًا، ومُرْشدًا، ومُعلِّمًا، ثمَّ أَنْشَأ بَعْد ذَلِكَ المدرسةَ السَّلفيَّة بصامطة، وذَلِكَ في عام ١٣٥٩هـ.

وكان المُتَرجم له الشَّيخُ أحمدُ بن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ يَتردَّد علىٰ الشَّيخ القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ كثيرًا بصُحْبة عَمَّيه (الشَّيخ حسين بن محمد النَّجمي، والشَّيخ حسن بن محمد النَّجمي رحمهما الله)، وكَانُوا يَأْخُذون عنه جميعًا العلمَ الشَّرعيَّ، وفي شهر صفر من عام ١٣٦٠هـ سَارَع الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مع أبناءِ قَريتِهِ النجامية بِالالْتِحَاقِ بالمَدْرسَة السَّلفيَّة بصامطة، وانْتَظمُوا في حَلْقة الشَّيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ، وَاسْتَمعُوا لدُرُوسِهِ، وتَزوَّدُوا من علمِهِ.

فأَخَذ الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ عن الشَّيخ القَرعاويِّ رَحِمَهُ اللَّهُ الأُصُولَ الثَّلاثةَ، والتَّجْويدَ، والتَّفْسيرَ وأُصُولَه، وتَابَع معه في عُلُوم القرآنِ، والتَّاريخ الإسلاميِّ، واللُّغة العربيَّة، وغيرها.

كما قرأ الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ الشيخ القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ كتابَ «التَّوْحيد»، و«العقيدة الطَّحاويَّة» بشَرْح الشَّيخ القرعاوي، وقَرَأ عليه «بُلُوغ المرام» و«البَيْقونيَّة»، و«نُخْبة الفِكَر»، وشرحها «نزهة النَّظر»، و«الدُّرر البهيَّة» مع شَرْحها «الدَّراري المضيَّة» في الفقه.

○ أعماله:

عُيِّنَ من قِبَلِ شَيْخِهِ مُدرِّسًا في مدرسة النجامية التَّابعة لمَدَارِسِ الشَّيخ القرعاويِّ رَحِمَهُ اللَّهُ احْتِسَابًا، وذَلِكَ في ١/ ٢/ ١٣٦٧هـ.

وفي عام ١٣٧٢هـ، عُيِّنَ بأمرِ شَيْخه عبد الله القرعاوي إمامًا، وواعظًا، وخطيبًا في قَرْية (أبو سبيلة) بالحرث حتَّىٰ نهاية عام ١٣٧٣هـ.

وَفِي بِدَايَة عام ١٣٧٤هـ، تمَّ افتتاحُ المعهدِ العِلْميِّ في صامطة؛ فعُيِّنَ فِيهِ الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعلِّمًا، وكَانَ ذَلِكَ في ١/ ١/ ١٣٧٤هـ.

وبَقِيَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ مُدرِّسًا بالمَعْهدِ العلميِّ في صامطة حتَّىٰ ١١/ ٣/ ١٣٨٤هـ، حيث اسْتقَالَ من التَّدْريسِ علىٰ أملِ أَنْ يُواصِل تدريسه في الجَامِعَةِ الإِسْلاميَّة بالمدينَةِ النَّبويَّةِ، وبعدها عَمِل في سِلْك الدعوة إلىٰ الله ثلاث سنوات.

ولمَّا تَعِبَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ من التَّنقُّل بَيْن المُدُنِ والقُرَىٰ- رَغِبَ أن يَعُودَ إلىٰ حَقْل التَّعْليمِ في المَعَاهِدِ العِلْميَّة؛ فنُقِلَتْ خِدْماتُهُ إلىٰ المعهدِ العلميِّ مَرَّةً أُخْرىٰ بجازان، فعُيِّنَ فيه في ١/ ١/ ١٣٨٧هـ، ثمَّ انْتقَل بَعْد ذَلِكَ إِلَىٰ مَعْهدِ صامطة العلميِّ إلىٰ أَنْ أُحِيلَ للتَّقاعُدِ في ١/ ٧/ ١٤١٠هـ؛ لبُلُوغِه السِّنَّ النِّظاميَّة.

ثُمَّ عادَ رَحِمَهُ اللَّهُ واستقرَّ به المقامُ في مَسْقط رأسِهِ بقَرْيتِهِ النجاميَّة إمامًا وخطيبًا بجَامِعِها، ومُعلِّمًا ومُفتيًا فيها.

○ شيوخه الذين تلقى على أيديهم العلم ، وهم بالترتيب الزمني:

١- الشَّيخ عبده بن عقيل النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢- الشَّيخ يحيىٰ فقيه عبسي رَحِمَهُ اللَّهُ من أَهْلِ اليَمَن.

٣- الشَّيخ الإمام العَلَّامة الدَّاعية المُجدِّد في جَنُوب المملكة: عبد الله بن مُحمَّد القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- الشَّيخ عثمان بن عثمان حملي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥- الشَّيخ إبراهيم بن مُحمَّد العمودي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦- الشَّيخ علي بن الشَّيخ عثمان زياد الصُّومالي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧- الشَّيخ حافظ بن أحمد حَكَمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٨- الشَّيخ الإمام العَلَّامة مُفْتي البلاد السُّعوديَّة السَّابق مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٩- الشَّيخ الإمام العَلَّامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

○ تلاميذه:

وقَدْ تَخرَّج عَلَى يَدَي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ آلافُ الطُّلاب والحَمْدُ لله، نذكر منهم:

١ـ العَلَّامة المُحدِّث الدُّكتور ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله.

٢ـ العَلَّامة الفقيه زيد بن محمد بن هادي المدخلي حفظه الله.

٣ـ العَلَّامة الدُّكتور علي بن ناصر فقيهي حفظه الله.

٤- الشَّيخ الدُّكتور مُحمَّد بن هادي المَدْخلي حفظه الله.

وهُنَاك الكَثِيرُ والكَثِيرُ من طُلَّاب العِلْمِ الَّذين تَخرَّجوا علىٰ يدي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من شَتَّىٰ البُلْدان من المَمْلكةِ العَربيَّة السُّعوديَّة وَخَارِجها.

○ مؤلفاته:

لفضيلة الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ مؤلفات كُثْرٌ، نذكر منها:

١- إتمام المِنَّة بشرح أصول السُنَّة للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢- فتح الربِّ الغَني بتوضيح شرح السُّنَّة للمُزني رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣- فتح الرَّحيم الودود في التعليق علىٰ كتاب السُّنَّة من سُنن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- إرشاد السَّاري إلىٰ شرح السُّنَّة للإمام البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥- بُلوغ الأَمَاني بشرح عقيدة ابن أبي زَيْد القَيْرواني رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦- الفوائد الجِيَاد مِن لمعة الاعتقاد.

٧- التعليقات الأثرية علىٰ العقيدة الواسطية.

٨- التعليقات البهية علىٰ الرَّسائل العقدية.

٩- الشرح المُوجز المُمهَّد لتوحيد الخالق المُمجَّد الذي ألَّفه شيخ الإسلام مُحمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٠- الأمالي النَّجمية علىٰ مسائل الجاهلية.

١١- فتح الربِّ الغفور ذي الرَّحمة في شرح الواجبات المُتحتمات

المَعْرِفة علىٰ كل مُسلمٍ ومُسلمة.

١٢- الفوائد المنثورة بالتعليق علىٰ أعلام السُّنَّة المَنْشورة للحَكَمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٣- أوضح الإشارة في الردِّ علىٰ مَنْ أباح المَمنوع من الزيارة.

١٤- تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة.

١٥- رسالة الإرشاد إلىٰ بيان الحقِّ في حكم الجهاد.

١٦- المَوْرد العَذْب الزُّلال فيما انْتُقِد علىٰ بعض المناهج الدَّعوية من العقائد والأعمال.

١٧- ردُّ الجواب علىٰ مَنْ طلب مِنِّي عدم طبع الكتاب.

١٨- فتح الربِّ الودود في الفتاوىٰ والرسائل والردود (٤ مجلدات).

١٩- الفتاوىٰ الجَليَّة عن المناهج الدَّعوية (مجلدان).

○ **صفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:**

تميَّز شيخُنا أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ بصفات كثيرة جليلة، نذكر منها:

۞ **أوَّلاً: حُسْنُ تَعامل الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مع طُلابِه، وتشجيعه لهم:**

كان شَيْخُنا أحمدُ النَّجْمي رَحِمَهُ اللَّهُ رُبَّما يَسأل سؤالًا؛ فيقول لأحدِ طُلَّابه: «أَخْبِر السَّائل بالجواب» - إذا عَلِمَ أنَّ الطَّالبَ يُتْقِنُ الجوابَ.

و قال الشَّيخُ مُحمَّد بن مُحمَّد صغير عَكُّور:

«سألني سائلٌ سؤالًا؛ فقلتُ له: أذهبُ أسألُ الشَّيخَ أحمدَ النَّجميَّ، ثمَّ أُبْلِغك الجوابَ! فلمَّا ذهبتُ إلىٰ الشَّيخ، وقلتُ له: سألني سائلٌ سؤالًا؛

فقلت له: أسألُكَ، ثمَّ أُعْطِيه الجوابَ. فقال لي الشَّيخُ: لماذا ما أفتيتَهُ؟ فقلتُ: يا شيخُ، كيف أُفْتِي وأَنْتَ هنا (أو كلامًا نحوه)، فقال الشَّيخُ: إلىٰ مَتَىٰ تَبقون عالَةً علىٰ النَّاس؟!».

وقال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

كان الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ رُبَّما يَأتي المُسْتفتِي؛ فيَسأل شيخنَا عن مسألةٍ؛ فيسألُ شَيْخُنا بعضَ الطُّلَّابِ، فيقول لهم: «ما رأيُكم في هذه المسألة؟» حتَّىٰ إنَّه في مرة من المَرَّاتِ قلتُ له: يا شيخَنا، الفَتْوىٰ لكم! فقال شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِن باب المُذَاكرة!».

ورُبَّما يُفتي شَيْخُنا في مسألةٍ من المسائل، فيَعْرِض عليه بعضُ الطَّلَبة وِجْهة رأيه في المسألة بأُسْلُوبٍ مُؤدَّبٍ، مُؤيِّدًا ذلك بالأدلَّة؛ فيُغيِّر شَيْخُنا فَتْواه في المسألة.

وممَّا يُلَاحظ أنَّ شَيْخنا رَحِمَهُ اللَّهُ كان إذا قَدَّمَ لرسالةٍ أو بحثٍ لأحدِ طُلَّابه، شَجَّعَه بما يكون حافزًا له علىٰ مُوَاصلةِ الجدِّ والبحثِ.

وأَلْقَىٰ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ محاضرةً، وحَصَل وَهْمٌ في بعضِ المسائلِ في المُحَاضرةِ، فأَمَر شَيْخُنا بالشَّريط الَّذي سُجِّلَتْ فيه المحاضرةُ، وصَوَّبَ ما حَصَل من وَهْمٍ فيها، وأعادَ تَسْجِيلَها؛ فرحمةُ الله عليه رحمة الأبرار.

وقد نَقَل شَيْخُنا في بعضِ كُتُبِهِ فوائدَ من بعضِ طُلَّابِهِ، وهذا في غاية التَّواضُعِ.

وقَالَ الشَّيخُ زيد بن مُحمَّد المدخلي -حفظه الله- كلمةً مختصرةً في شَيْخنا رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكنَّها عظيمةٌ في مَدْلولها:

«الشَّيخ أحمد مُرَبٍّ، وحقًّا إنَّه لمُرَبٍّ بأخلاقِهِ، مُرَبٍّ في تَعامُلِهِ مع طُلَّابِهِ وزُمَلائِهِ، ومُجْتمعِهِ».

۞ ثانيًا: عبادة الشَّيخ وزُهده:

عُرِفَ شَيْخُنا العَلَّامةُ رَحِمَهُ اللَّهُ واشْتُهِرَ بحِرْصِهِ علىٰ العبادة، ومنها قيامُ اللَّيل، فلا يتركُهُ في حِلِّه وترحالِهِ، وفي سفرِهِ وإقامتِهِ؛ فكان لا يدعُ قيامَ اللَّيل عليه رحمةُ الله، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ لا ينام في اللَّيل إلَّا أربع ساعاتٍ فقط؛ كما أخبرَ بذلك بعضُ طُلَّابِهِ.

۞ ثالثًا: تواضع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

لقَدْ قَدَّمَ شَيْخُنا أحمد بن يحيىٰ النَّجْمي أَرْوَعَ الأَمْثلة في التَّواضُع، فَمَا رَأَتْ عَيْناي مِثْلَه في التَّواضُع.

وإلَيْك بَعْض مَواقِف شَيْخنا الَّتي تدلُّ على تَواضُعِه رَحِمَهُ اللَّهُ:

كَثِيرًا ما كُنَّا نَرَىٰ شَيْخنا يَقُومُ مِنْ مَجْلسِهِ ليَغْسلَ الأَكْواسَ لضُيُوفِهِ، أو يُقَرِّبَ ثلاجاتِ الشَّاي والقَهْوة إلَيْهم.

حَصَل لي قَبْل سَنَواتٍ كسرٌ في التَّرْقُوةِ، فَما إنْ وَصَلْتُ من المستشفىٰ، ودخلتُ غُرْفةَ النَّوم في بَيْتي إلَّا وشَيْخنا أَحْمد النَّجمي دَاخلٌ عليَّ، وقَدْ وَصَله الخبرُ، وجَاءَ مُسْرعًا؛ ليَطْمئنَّ عليَّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

تَتبَّعتُ مَنْ زَارَنِي في ذَلِك المرَضِ؛ فرأيتُ أكثرَ مَنْ زَارَنِي هُو شَيْخنا أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

كُنْتُ إذَا غِبْتُ عن شَيْخنا النَّجميِّ يومًا لظُرُوفٍ أو لشُغْلٍ مَا؛ اتَّصلَ بِي مباشرةً، وسَألَ عنِّي، وقال: «مَا رَأيْنَاكَ بالأَمْسِ، عَسَىٰ ما خلاف!»، ثمَّ أُبْدِي له سببَ غِيَابِي.

كَانَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ في سنةٍ قديمةٍ يَذْهبُ بسَيَّارتِهِ إلىٰ قريةٍ مجاورةٍ؛ ليَأْخُذَ أَحَدَ طَلَبة العِلْم الفُقَراء المُغْتربين ليأكلَ معه طعامَ الإفْطارِ شِبْهَ يوميٍّ.

أُثْنِي عَلَىٰ شَيْخنا أحمد النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ في إِحْدَىٰ المُحَاضراتِ ثناءً كبيرًا، فعَقَّبَ شَيْخُنا علىٰ ذَلِكَ الثَّناء، وَانْتقَدَه، وقالَ: «إنَّما أنَا طُوَيْلبُ عِلْمٍ صغيرٌ». اهـ

❁ رابعًا: حرص الشيخ على العلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

كان الشيخُ أحمد بن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ عجيبًا في حرصه علىٰ العلم، تعلُّمًا وتعليمًا، وإليكَ بعضَ المواقف التي ذكرها الشيخ عبد الله بن محمد النجمي تؤيد ذلك:

قالَ الشَّيخُ زيد بن مُحمَّد المدخلي حفظه الله تعالى: «ما عرفتُ الشَّيخَ أحمدَ رَحِمَهُ اللَّهُ إلَّا وَهُو يُعلِّم، ويَنْشر، ويَدْعو إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ». اهـ.

قَبْلَ سنواتٍ حَصَل حادثُ سَيَّارةٍ لشَيْخنا رَحِمَهُ اللَّهُ، فتَعِبَ علىٰ إِثْرِهِ، فكَتَب أبناءُ الشَّيخ لوحةً علىٰ بابِ بَيْتِهِ يُحدِّد فيها مَوَاعيدُ الاسْتِفْتاءِ، والزِّيارة؛ حِرْصًا مِنْهم علىٰ راحةِ الشَّيخ، فطَلَب مِنْهم إِبْعَادَ اللَّوحةِ، وإِزَالَتها، وبالفِعْل حَصَل ذَلِكَ؛ فلله دَرُّه من شيخٍ نَذَر حَياتَه لله عَزَّوَجَلَّ!

ممَّا يتميز به شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ: صَبْرُهُ علىٰ التَّدْريس، فقَلَّ أن تجدَ له نظيرًا في هَذَا البَابِ، فرُبَّما كانَ للشَّيخ في اليومِ الواحدِ سبعةُ دُروس؛ إضافة إلىٰ المُستفتين الذين يأتون للشيخ في اليوم الواحد مِنْ دَاخِل المِنْطقَةِ وخَارِجها، والزُّوَّار الَّذين يَأْتُونَ لزيارة الشَّيخ، وكأنَّه لا يَرْتاحُ، ولَا يَطمئنُّ إلَّا مع الدُّرُوس (التَّدْريس)، بَلْ يَكُونُ علىٰ فِرَاشِ المَرَضِ في البَيْتِ أو في المُسْتَشفىٰ؛ وَهُو يُقْرأ عليه، ويُجِيبُ السَّائلين؛ بَلْ ذَكَر لنا الشَّيخُ الدُّكتور/ مُحمَّد بن هادي المدخلي -حفظه الله- وكانَ مِمَّنْ يحبُّه شَيْخنا، ويُجلُّه «أنَّه قَرأَ علىٰ الشَّيخ، والجبسُ عَلَىٰ قَدَمِ الشَّيخ، وأثرُ الدَّمِ باقٍ في قَدمِهِ من حادثِ سَيَّارةٍ» .اهـ.

❁ خامسًا: كرم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وبذله، وعطاؤه:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

أمَّا عَنْ كَرَمِ شَيْخنا، فَسَائِلْ عَنْه كلَّ مَنْ عَرَفَ شَيْخنا، أَوْزَارَه، فستَجِد عَجَبًا:

كَانَ شَيْخُنا إِذَا زَارَه أحدٌ مِنْ مُحبِّيه من طَلَبة العِلْمِ أو المَشَائِخ لا يَتردَّد في دَعْوتِهِ للإفطارِ، أو الغداءِ، أو العشاءِ، وكَانَ كثيرًا ما يَتَّصلُ بي، ويَطْلبُ منِّي أَنْ أَتَّصل بالمندي؛ لِكَيْ يعدُّوا ذبيحةً، أو نصفَ ذبيحةٍ علىٰ حِسَابِ شَيْخنا؛ بل رُبَّما يَكُونُ شَيْخُنا صائمًا، ومَعَ ذَلِكَ يُكْرِمُ ضُيُوفَه وطُلَّابَه.

مِمَّا عَرفتُهُ من شَيْخنا مِنْ خِلَالِ مُلَازمتِي له: كُنَّا نَذْهَبُ إِلَىٰ أَحَدِ المسارحة يَوْم السَّبت لدرسٍ في «صحيح مسلم»، وعِنْد العَوْدة يَطْلُبُ الشَّيخُ منِّي صرفًا لخمس مئةِ ريالٍ، ثمَّ يَصْرفها دائمًا لطَلَبة العِلْمِ المُحْتاجِين، ويَتعَاهد بها الفُقَراءَ والمَسَاكِينَ.

۞ سادسًا: تعفف الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

كَانَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ صاحبَ تَعفُّفٍ عجيبٍ، وأَذْكُر أنَّه في مَرَّةٍ مِنَ المَرَّاتِ مَرَرْتُ أنا وإيَّاه بمَخْبزٍ، وقال شَيْخُنا: أُرِيدُ بريالٍ خبزًا، فذَهَب، وأخذتُهُ من المَخْبزِ، وقَالَ لي عاملُ المَخْبزِ: لَا تَأْخُذْ من الشَّيخِ الرِّيالَ، وقُلْ لَهُ: الأمرُ سهلٌ، فقَالَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ: قُلْ لهم: إمَّا أن يَأْخُذُوا الرِّيالَ، وإمَّا أَنْ أُعِيدَ الخبزَ، فأَخَذُوا الرِّيالَ.

بَعْدَ عِيدِ فِطْر عام ١٤٢٨هـ، جاءَ أحدُ التجَّار لِزِيَارةِ شَيْخِنا رَحِمَهُ اللَّهُ، ثمَّ لمَّا أرادَ الخُرُوجَ من بَيْتِ شَيْخِنا، طَلَب التَّاجرُ منِّي أَنْ أَخْرجَ مَعَه خارجَ المَجْلسِ، فخرجتُ مَعَه، وقالَ لِي: «عِنْدِي خمسةُ آلافِ ريالٍ أُرِيدُكَ أَنْ تُعْطي الشَّيخَ مُسَاعدةً منِّي؛ لأنَّ الشَّيخَ يأتي إليه أُنَاسٌ كثيرٌ!»، فقلتُ له: أنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْتلمَها مِنْك، ولَكِنْ أَعْرض الأمرَ علَىٰ شَيْخِنا فكَلَّمتُهُ، فقالَ: «إنْ كَانَ يُرِيدُها لي فأنا -والحَمْدُ لله- بخيرٍ»، ولَمْ يَقْبَلها رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ سابعًا: حرص الشيخ على اتِّباع السُّنَّة:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

كَانَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ في غَايَة الحِرْصِ عَلَىٰ اتِّباعِ السُّنَّة؛ فِفِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّام، وَفِي صَلَاةِ الظُّهرِ، دَخَل شَيْخُنا الجامعَ القديمَ، وكَانَ لابسًا حِذَاءَه، وتَقدَّمَ المحرابَ؛ وَهُوَ لابسٌ الحِذَاءَ، فقالَ بعضُ النَّاسِ: يَا شيخ، نَسِيتَ الحذاءَ! فقَالَ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَمْدًا فعلتُ هَذَا»، فرحمةُ الله عَلَىٰ شَيْخِنا رحمةَ الأَبْرارِ، ما أشدَّ حِرْصَه علىٰ اتِّباعِ السُّنَّة!

كان شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ حريصًا عَلَىٰ تَشْيِيعِ الجنَائِزِ، وعَلَىٰ التَّعزية، ووالله، لقَدْ رأيتُ مِنْ شَيْخِنا مِنْ ذَلِكَ عجبًا رَحِمَهُ اللَّهُ، ولَقَدْ سافرتُ مَعَ شَيْخِنا إلىٰ مَكَّة؛ لتَشْيِيعِ جِنَازةِ الشَّيخ الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وتَعْزية أَهْلِهِ، وكَانَ شَيْخنا رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا ذَهَب إلىٰ التَّعزيةِ لا يُطِيلُ الجُلُوسَ.

قَالَ الشَّيخُ الدُّكتور مُحمَّد بن هادي حفظه الله:

«كُنْتُ آتِي إِلَىٰ شَيْخِنا أحمد النجمي في الضُّحىٰ؛ فكنتُ دائمًا أَدْخُلُ عليه في بيتِهِ القَدِيمِ في صامطة في وَقْتِ الضُّحىٰ، وهُوَ يُصلِّي الضُّحَىٰ».

مَا عرفتُ شَيْخَنا إلَّا وَهُو يخضبُ لِحْيتَه بالحنَّاء؛ عملًا بالسُّنَّة، وما رأيتُ لحيتَه بيضاءَ إلَّا بَعْد أن دخلَ المُسْتَشفىٰ، ودَخَل في غَيْبوبةٍ.

كثيرًا ما كَانَ يَقْرأ شَيْخُنا رَحِمَهُ اللَّهُ في فَجْر الجُمُعةِ بـ(السَّجْدة والإنسانِ).

❁ ثامنًا: دفاع الشيخ المربر عن السُّنَّة، ووقوفه الصامد في وجه أهل البدع:

قال الشيخ عبد الله بن محمد النجمي:

يَتَّضحُ ذلك جليًّا من خِلَالِ كُتُبِ شَيْخنا، ورُدُودِه، ومُحاضَراتِهِ، ودُرُوسِهِ؛ فكلُّها بيانٌ للعَقِيدةِ الصَّحيحة، وتحذيرٌ ممَّا يُضادُّها، وبيانٌ للسُّنَّة، وتحذيرٌ مِنَ البِدَعِ وأَهْلِها بشَتَّىٰ طَوَائِفهم، ومَنَاهِجهم، فهذِهِ كُتُبُهُ شاهدةٌ، ومُحاضَراتُهُ ناطقةٌ، فقَدْ عُرِفَ شَيْخُنا بشَجَاعتِهِ في بيانِ الحقِّ؛ فكانَ رَحِمَهُ اللَّهُ لا يخافُ في اللهِ لَوْمةَ لائمٍ، ويُبيِّن الحقَّ، ويردُّ علىٰ أَهْلِ الباطلِ بَاطِلَهم؛ رَضِيَ مَنْ رَضِيَ، وغَضِبَ مَنْ غَضِبَ.

○ وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

لقَدْ تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ بمَدِينَةِ المَلِك فَهْد الطِّبيَّة بالرِّياض في يَوْم الأَرْبعاء ٢٠/ ٧/ ١٤٢٩هـ في تَمامِ السَّاعة العاشرةِ والنِّصْفِ صباحًا تقريبًا، وذلك بَعْد مُعانَاةٍ طويلةٍ مَعَ المَرَض، وقَدْ أُجْرِيَتْ له عَمليَّاتٌ جراحيَّةٌ في رأسِهِ وبطنِهِ، وَاسْتمرَّتْ مُعاناتُهُ ثمانيةَ أشهرٍ، جَعَل اللهُ ذلك كَفَّارةً لسَيِّئاتِهِ، ورِفْعةً لدَرجاتِهِ في جَنَّاتِ الفِرْدوسِ نُزُلًا.

نُقِلَ جُثْمانُ وَالِدِنا رَحِمَهُ اللَّهُ بطَائرةٍ خاصَّةٍ إلىٰ منطقة جازان بأَمْرٍ من نائب خَادِم الحَرمَين الشَّريفين الأمير/ سلطان بن عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ، وصُلِّي عليه، ووُوري جُثْمانه عصرَ يوم الخميس الموافق ٢١/ ٧/ ١٤٢٩هـ في مَسْقط رأسِهِ بقرية النجاميَّة.

وقَدْ شَيَّعَ جنازتَه خَلْقٌ كثيرٌ من أبنائِهِ، وأقربائِهِ، ومعارفِهِ، وطُلَّابِهِ؛ الَّذين جَاؤُوا مِنْ كلِّ مكانٍ؛ من دَاخِلِ بِلَادِنا السُّعوديَّة وَخَارِجها، وكَانَ مَشْهدُ التَّشْييع مَهِيبًا؛ حَضَره عددٌ كبيرٌ من المُشيِّعين؛ لم تَشْهد المنطقةُ مثلَه من قَبْل، فكانَ خبرُ وفاتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ فاجعةً، وأَسىٰ، وحُزْنًا في نُفُوسِ جميعِ مُحبِّيهِ؛ مَنْ عَرَفه أو نَهَل مِنْ عِلْمِهِ الصَّافي.

نَسْأل اللهَ أن يَتغمَّدَه بواسعِ رَحْمتِهِ، وأَنْ يُسْكنَه فسيحَ جَنَّاتِهِ، اللَّهمَّ آمين.

وقَدْ رَثَاه مجموعةٌ من الشُّعراء والأُدبَاء شعرًا ونثرًا؛ من الدَّاخل أو الخَارِجِ.

○ الخاتمة:

وفي ختام هذه الترجمة أودُّ أَن أُشير إلىٰ أنها شيءٌ يسيرٌ ممَّا دَوَّنَه بعضُ أبناءِ الشَّيخ أحمد بن يحيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ وتلاميذه، وَمُحبِّيه من طُلَّاب العِلْمِ من داخلِ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة وخارجها، وفاءً بحقِّ شيخنا أحمد النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ ما قَدَّمه للإسلام والمسلمين.

وقد أردنا بهذه الترجمة المُختصرة التَّعْريفَ بهذا العَالِم الجليلِ لمَنْ لا يعرفُهُ من خلال فقرات هذه الترجمة، نَفَع اللهُ بها الجميعَ دنيا وأخرىٰ.

وجَزَىٰ اللهُ خيرًا كلَّ مَنْ شَارَك في جَمْعِ وإعدادِ فقراتِ هذه السِّيرة المختصرةِ، وجَعَلها في مَوَازينِ أَعْمالِهم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله



نصيحة للدعاة

نصيحة للدعاة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحَمدَ لله، نحمدُهُ، ونستعينُهُ، ونَستَهديه، ونستغفرُهُ، وَنَتُوب إِلَيه، ونَعُوذُ بالله من شُرُور أَنفسنا، ومِن سَيِّئات أَعمَالنا، مَن يَهده الله فلا مضلَّ لَهُ، ومَن يُضلل فلا هاديَ له، وأَشهَد أَن لا إله إلَّا الله وَحدَه لا شريكَ لَهُ، وأَشهَد أَنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ، وعلىٰ آلِهِ وصَحبه، وبَعد:

فإنَّ الله خَلَق الخَلقَ لعبادتِه، فَقَالَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

ومِن أَجل بَيَان العبادة الَّتي فَرَضها الله علىٰ عبادِهِ، أَرسَل اللهُ الرُّسُل، وأَنزلَ الكُتُب لكَي يَعلم النَّاس ما يجبُ عَلَيهم لرَبِّهم جلَّ وَعَلا، وليَعلموا أنَّ سَعَادتهم وشَقَاوتَهُم مُرتَبِطَةٌ بالعِبَادَة؛ إيجابًا ونفيًا، فعلًا وتركًا؛ قَالَ تَعَالىٰ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأعراف:٣٥، ٣٦].

وخاتَم الرُّسُل وأَفضَلهم نَبيُّنا مُحمَّدٌ رَسُولُ الله ﷺ الَّذي أَرسَله الله إلىٰ النَّاس كافَّة، وخاطَبه بقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف:١٥٨].

فأَحيَا اللهُ به القُلُوب، ونَوَّر به البَصَائر، وَفَتح به أعينًا عُميًا، وآذانًا صُمًّا، وقُلُوبًا غلفًا، وأَغنَىٰ اللهُ به بعد العَيلة، وكَثَّر به بعد القلَّة، وهَدَاهم الله به إلىٰ التَّوحيد، والتَّوجُّه بالعبادة إلىٰ بارئ هَذَا الكون بَعد أَن كانوا يَسجدُونَ للأَحجَار والأَشجَار، ويَدعون مَن لا يَسمَع ولا يُبصر، ولَم يَقبضه اللهُ حتَّىٰ تَركَ أُمَّته علىٰ مَحجَّةٍ بَيضاء بَيِّنة الصوىٰ، وَاضحة المَعَالم، لَيلها كَنَهارها، لَا يزيغُ عنها إلَّا هالكٌ.

ولمَّا كَانَ لا بُدَّ للنَّاس مع طُول الزَّمن من أَن يُصيبَهم الجهلُ، وتُحِيطُ بِهم الغَفلة، وتَكتنفهم[1] الصَّوارف الَّتي تَصرفهم عَن تَعلُّم الدِّين، أَو عَنِ العَمَل بِهِ، ومُتَابعته، وَكَان يَستَحيل أَن يتفرَّغ الجميعُ لطَلَب العلم، والتَّفقُّه فيه، لذَلكَ فَقَد فَرَضَ اللهُ عَلَىٰ هذِهِ الأُمَّة أَن ينفرَ من كلِّ فرقةٍ منهم طائفةٌ ليَتفقَّهوا في الدِّين، ولِيُنذروا قَومَهم إذا رَجَعوا إليهم لَعلَّهم يَحذرون، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة:١٢٢].

(١) أي: تحيط بهم.

لذَلِكَ، كَانَ لزامًا عَلَىٰ طُلَّاب العلم، وحَمَلة الشَّريعة أَن يُتَابعوا رَسُولَ الله في دعوتِهِ، ويَخلفُوه بخيرٍ في أُمَّتِهِ، ويُجدِّدوا ما اندثَر من شريعتِهِ، ويُحيُوا ما أُمِيتَ من سُنَّته، ويُصحِّحوا عَقَائد هَذَا الدِّين ممَّا عَلَق بها، ويَردُّون عَلَىٰ المُبطلينَ الَّذين يُريدُونَ تَشويه دين الله بالأَكَاذيب المُفتراة عَلَيه، وعَلَىٰ مُبلِّغيه في الماضي والحاضر، يَفعَلون ذَلكَ مُخلصينَ لله، ومُتأسِّينَ بمُبلِّغه الأوَّل النَّبيِّ الكريم ﷺ؛ امتثالًا لقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

وإنَّ حَاجَة الأُمَّة إلىٰ الدَّعوة إلىٰ الله الخَالِصَةِ المُخلصة الَّتي تُصحِّح عَقَائدهم، وتُنقِّيها من الأَكدَار والشَّوَائب، وتَحثُّهم عَلَىٰ أَدَاء ما يجبُ لله، أو لخلقِهِ، وَاجتنَاب مَا يَحرم، وتُحذِّرهم مِن مَغبَّة الفَسَاد والإفسَاد؛ كَحَاجتِهم إلىٰ نُزُول الغَيث، وإلىٰ الطَّعام الشَّهيِّ، والماء البارد، بَل أشدُّ؛ لأنَّ مَن فَقدَ الطَّعام والشَّراب غايتُهُ الموتُ، ورُبَّما أَفضَىٰ به الموت إلىٰ الجنَّة، أمَّا فَقدُ الدِّين، فهُوَ يَترتَّب عليه الخسرانُ الأبَديُّ الَّذي يُفضي بالعبد إلىٰ النَّار، وبئس القرارُ، وفرقٌ بين الخَسَارتين.

فالدَّعوةُ إلىٰ الله فرضٌ كفائيٌّ عَلَىٰ طَلَبة العلم، كلٌّ عَلَىٰ قَدر استطاعتِهِ، فإن تَرَكوه جميعًا، أَثِمُوا، وإن قامَ به البعضُ، وَجَب عَلَىٰ الباقين إعانتُهُ، وإذَا كَانَ في الحيِّ، أو القرية الواحد أو الاثنان من طَلَبة العِلم، وَجَب عَلَيهم عينًا أَن يَأمروا بالمَعروف، وينَهوا عن المُنكر في حَيِّهم وبَلدتهم؛ امتثَالًا لقولِهِ تَعَالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة:١٢٢].

وَليَهنأ طُلَّاب العلم الَّذين يَدعون إلىٰ الله مُخلصينَ، ليَهنهم[١] أنَّهم خُلَفاء الرَّسُول الكريم ﷺ في الدِّلالة عَلَىٰ الله، وعَلَىٰ صراطِهِ المُستقيم، والسَّعي في إِصلَاح المُجتمعات، ومَنع الفَسَاد، ومُحَاربته بالنَّهي عنه، والتَّحذير منه، ومِن مَغبَّتِهِ[٢] الوَخيمة، فلَهُمُ الحظُّ الأَوفر من إرثِهِ، صَلَوات الله وسلامُهُ عليه، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود:١١٦].

وَقَالَ ﷺ: «**بَلِّغوا عنِّي ولَو آيةً، وَحَدِّثوا عَن بني إسرائيل وَلَا حَرَج، ومَن كَذبَ عليَّ مُتعمِّدًا فَليتبوَّأ مَقعَده من النَّار**»[٣].

وَقَالَ أَيضًا: «**نَضَّرَ اللهُ امرءًا سَمِعَ مَقالَتي فَوَعاها، فأَدَّاها كما سَمِعَها، فرُبَّ مُبلغٍ أَوعىٰ من سامعٍ، ورُبَّ حَامل فقهٍ لَيسَ بفقيهٍ**»[٤].

ثمَّ إنَّ الدَّعوة إلىٰ الله ضمانٌ للمُجتمع الَّذي تُوجَد فيه مِنَ العَذَاب العاجل، والعُقُوبات العامَّة إذا أعطيت حَقَّها مِن الدَّاعين بالإِخلَاص، والجديَّة في دعوتِهِ وعَدَم التَّواني فيها، أو الخُرُوج عن مَضَامينها، ومِنَ المَدعوِّين بالقَبُول، والعَمَل بما تَقتضيه، فإِن تَوَانىٰ الدَّاعي، أو ضَعُفَ وخَارَ،

(١) أي: هنيئًا لهم.

(٢) أي: عاقبته وآخِرُه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨) من حديث ابن مسعود، وابن ماجة (٢٣٦) من حديث أنس، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجة» (١٩٣).

أو تَبرَّمَ بالأَذَىٰ، أو استَعجل النَّتائج، لَم تكن النَّتيجةُ عَلَىٰ المطلوب، بَل رُبَّما كَانَت عكسيَّةً، فيَستفحل الفسادُ، ويُسَيطر المُفسدونَ، وَيَكُونُ فِي ذَلكَ إيذانٌ بِشَرٍّ مستطيرٍ، أو عذابٍ كبيرٍ، وعَلَىٰ هَذَا فلا بُدَّ للدَّاعية أَن يكونَ مُسلَّحًا بأُمُورٍ نُجملها فيما يلي:

أولاً: العلم:

فمِن شَرط الدَّاعية أَن يكون عالمًا بما يَدعو إليه، وَقَد أَفادَت هَذَا الشَّرطَ الآيةُ الكريمةُ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾.

والبصيرةُ هِيَ العِلمُ بما يَدعو إليه، فإن دعا إلىٰ التَّوحيد، كان عالمًا بأنواعِهِ، مُلمًّا بما يُنَاقض من الشِّركيَّات، صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، وإن دَعَا إلىٰ الصَّلاة، كان عالمًا بها، وبشُرُوطها، وَصِفَاتِهَا، وفَرضها، ونَفلها، وهلُمَّ جرًّا.

وإن عَرَض له شيءٌ لا يعرفُهُ، تَوقَّف فيه حتَّىٰ يعرفه بطلبِهِ من مَظانِّه في الكُتُب، أو بعرض عَلَىٰ مَن هو أوسعُ مِنهُ علمًا، ولا يأنفُ أَن يقولَ لِمَا لا يَعلم، اللهُ أعلمُ أوَّلًا، وَلَا أَدري.

سُئِلَ سالم بن عَبد الله بن عُمَر عَن مسألةٍ، فَقَال: لا أَدري. فَقَال السَّائل: إنَّه لَعَظيمٌ أن تَقُول: لا أدري وأنت ابنُ عبد الله بن عُمَر. فَقَال سالمٌ: أَعظَمُ من ذلك عِندَ مَن يعقل عَن الله أَن أقول ما لَا أَعلَمُ.

وَسأَلَ رجلٌ القاسمَ بنَ مُحمَّد عَن مسألةٍ، فَقَال القاسمُ: لَا أُحسِنُ، فَجَعل الرَّجُلُ يَقُول: رفعت إِلَيك لا أَعرف أحدًا غيرك. فَقَال القاسمُ: لَا تَنظر إلىٰ طُول لِحيَتي، وكَثرة النَّاس حَولي، واللهِ لا أُحسنُهُ. فَقَال شيخٌ من قريشٍ جالسٌ إلىٰ جنبِهِ: الزَمهَا يا بنيَّ، فواللهِ، ما رأيتُكَ في مجلسٍ أَنبلَ

منك اليوم. فقال القاسم: واللهِ، لأن يُقطَع لساني أحبُّ إليَّ من أتكلَّم بما لا عِلمَ لي به[١].

ثانيًا: الحرص على الطلب، وأخذ العِلمِ من مَظانِّه، والبَحث عنه، والمُذَاكرة بِهِ، وسؤال العُلَماء، وَاستشَارَتهم فيما يُشكل حتَّىٰ يشرح صَدرك إلىٰ القَول الَّذي تراه أَقربَ إلىٰ الحقِّ.

ثالثًا: الحكمة في الدَّعوة:

وهِيَ حُسن التَّصرُّف، وَلَباقة العَرض، وخَفض الجَنَاح، ولين القَول، وقد أَشارت إلىٰ هَذَا الشَّرط الآيةُ الكريمةُ قَول الله تَعَالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل:١٢٥].

رابعًا: الرِّفق واللِّين في المُخاطبة، ولو كان المدعوُّ جبَّارًا عاتيًا:

قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وَقَالَ لمُوسَىٰ وهَارُونَ عَلَيهما الصَّلاة والسَّلام: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه:٤٣، ٤٤].

وَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**ما جَاءَ الرِّفقُ في شيءٍ إلَّا وَزَانَه، ولا جَاءَ العُنفُ في شيءٍ إلَّا وَشَانَه**»[٢].

(١) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٨٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) من حديث، بلفظ: «إِنَّ الرِّفقَ لَا يَكُونُ فِي شَيءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنزَعُ مِن شَيءٍ إِلَّا شَانَهُ».

خامسًا: الصبر:

قَالَ اللهُ تَعَالىٰ لنبيِّه ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥].

وَقَالَ أيضًا: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ [ق:٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر].

فَالصَّبر هُوَ أَحَد الصِّفات الأربع المَشروطة في النَّجاة من الخُسران، وَهِيَ:

١- **الإيمان:** ويَتضمَّن العِلمَ؛ لأنَّ الإيمانَ هو التَّصديقُ، والتَّصديقُ لا يَكُونُ إلَّا بمَعلومٍ.

٢- **العِلم بالعِلم:** والمَقصودُ من العِلمِ: العَمَل.

قَالَ سُفيان الثَّوريُّ: «يَهتف العلمُ بالعَمَل، فإن أَجَابه وإلَّا ارتَحل».

وَقَالَ مالكُ بن دينارٍ: «إنَّ العَالِمَ إذَا لم يَعمل، زَلَّت موعظتُهُ عن القُلُوب كما يزلُّ القطرُ عن الصَّفَا»(١).

٣- **التَّواصِي بالحقِّ:** وهُوَ الدَّعوةُ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وإلىٰ سبيلِهِ، ومَرضاتِهِ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت:٣٣].

٤- **التَّواصي بالصَّبر عَلَىٰ ما يَنَال الدَّاعية من الأذىٰ،** والأَذَىٰ لا بُدَّ أَن

(١) «جامع بيان العلم» لابن عبد البر (١/ ٧٣).

ينالَ الدَّاعية الصَّادق؛ لذَلِكَ فَقَد قَرنَ الله عَزَّوَجَلَّ التَّواصي بالصَّبر مع التَّواصي بالحقِّ، وذمَّ النَّاكِلِينَ عَن الدَّعوة خوفًا من الأَذَىٰ، فَقَال تَعَالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت:١٠].

سَادسًا: أَن يكونَ الدَّاعيةُ عدلاً في أقوالِه وأفعالِه، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥].

وَفِي الحَدِيثِ: «**قل الحقَّ ولَو كان مُرًّا**»(١).

سَابعًا: أَن يتَّصفَ الدَّاعية بالتَّواضع:

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء:٣٨].

وفِي الحَدِيثِ: «**إِنَّ الله أَوحَىٰ إليَّ أَن تَوَاضعوا حتَّىٰ لا يَبغي أحدٌ عَلَىٰ أحدٍ**»(٢).

ثامنًا: أَن يكونَ الدَّاعيةُ أُسوةً صالحةً للمَدعوِّين: بأَن يكون مُسَارعًا إلىٰ الخَير، متباعدًا عن الشَّرِّ حتَّىٰ يكون مُطبِّقًا لِمَا يَقُول، فيَرضىٰ عنه الله، وحتَّىٰ لا تكون هناك فجوةٌ بين قولِهِ وفعلِهِ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ

(١) أخرجه الترمذي (٣٧١٤) من حديث علي بن أبي طالب، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٦١٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٩٥) من حديث عِيَاض بن حِمار، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (١٧٧).

تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف:٢، ٣].

وَقَالَ الشَّاعر:

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

وهَذِهِ الصِّفاتُ الثَّماني كلُّها في شخصيَّة الدَّاعية، أمَّا ما يتعلَّق بالطَّريقة، فهي:

تاسعًا: أن يبدأ بالأهمِّ والأهمِّ: وفي «الصَّحيحين» أنَّ النَّبيَّ ﷺ أرسَل معاذًا إلىٰ اليَمَن، فَقَال: «**إنَّك تَأتي قومًا أهلَ كتابٍ، فَليكن أوَّل ما تَدعُوهُم إليه: شَهَادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رَسُول الله، فإن هُم أطَاعوا لك بذَلكَ، فأَخبرهم أنَّ اللهَ افترضَ عَلَيهم خَمسَ صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، فإن هُم أطاعوا لَكَ بذَلكَ، فأَخبرهم أنَّ اللهَ افترضَ عَلَيهم صدقةً تُؤخَذ من أغنيائهم فتُردُّ عَلَىٰ فُقَرائهم**». الحديث[1].

عاشرًا: أن يحرصَ عَلَى تَصحيح العقيدة: وتَنقيتها من شَوَائب الشِّرك بالله الَّذي لا يُقبل معه عملٌ، ولا يُغفَر معه ذنبٌ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، سَوَاءٌ في ذلك شِركُ العِبَادَة، أو شِركُ التَّحكيم، وهَذَان النَّوعان يُخرجَان صَاحِبَهما من الملَّة.

وهُنَاك نَوعانِ آخَرَان من الشِّرك الأصغر، ويجبُ عَلَىٰ الدَّاعية أن يُبيِّن جميعَ أنواع الشِّرك، وكَذَلك أيضًا التَّحذير من البدع، فإذَا صَفَا العملُ من

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس.

هَذَين النَّوعين، كان ما عَدَاهُمَا أَهون، فيَسعىٰ في مُعَالجتِهِ بادئًا بالأَهمِّ فالمهمِّ.

حادي عشر: ألاَّ يُصرِّح بالأسمَاء، وإن علم أَصحَابها، فإنَّ ذَلكَ من سِيَاسَة الدَّعوة، وقَد كان النَّبيُّ ﷺ يَقُول: «**ما بالُ أقوامٍ يَقُولُون كَذَا، أو يَفعَلون كَذَا**»(١).

وفِي حَدِيثِ بَريرةَ: «**ما بالُ أَقوامٍ يَشترطون شُرُوطًا ليست في كِتَابِ الله، ما كَانَ من شرطٍ لَيسَ في كتاب الله، فهُوَ باطلٌ، وإن كان مئة شرطٍ**»(٢).

ثاني عشر: أن يَتخوَّلهم بالمَوعظة حتَّى لا يسئمهم أو يملهم، ولَا يُطِيلُ عَلَيهم كثيرًا حتَّىٰ لا يُحرجهم، فإنَّ للنَّاس حاجاتٍ، ولهم شَوَاغل، فَليكُن الواعظ عونًا للنَّاس عَلَىٰ أَنفسهم، فالكَلَامُ القليلُ الجامعُ خيرٌ من كثيرٍ يُنسِي بعضُهُ بعضًا إلَّا إذا دُعِيَ الشَّخصُ لندوةٍ، أو مُحَاضرةٍ، فَلَا مانعَ أَن يُطِيلَ إذَا عَلِمَ رِضَاهُم ورَغبتهُم، وَلتكُن أيضًا معقولةً.

ثالث عشر: التَّوكُّل عَلَى الله، اعتمادًا عَلَيه، ورضًا بكفايتِهِ، واطمئنانًا إلىٰ تَدبيره، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم:١٢].

(١) كما أخرج البخاري (٧٥٠) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا بَالُ أَقوَامٍ يَرفَعُونَ أَبصَارَهُم إِلَىٰ السَّمَاءِ فِي صَلاتِهِم»، وأخرج مسلم (٢٣٥٦) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَا بَالُ أَقوَامٍ يَرغَبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لِي فِيهِ»، ونحو ذلك.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣٥).

رابع عشر: بذل الوسع والطاقة في الدعوة إلى الله: وأن نُعطيها من جلِّ أوقاتنا، لا من فُضُولها؛ باستِغلَال المُناسبات، وتَحيُّن الفُرَص، ومُتَابعة الكَلمَات، وترتيب القِرَاءَات في المَسَاجد، وما أشبَه ذَلكَ.

والمهمُّ، أن تَستولي عَلَىٰ هَمِّه حتَّىٰ تكونَ شُغله الشَّاغل ليلَ نهارٍ، هَذَا هُوَ المفروضُ.

خامس عشر: اللُّجُوء إلى الله دائمًا بكَثرة الدُّعَاء، والتَّضرُّع إليه، وطَلَب العَون منه، وإمدادِهِ بالتَّوفيق، والسَّدَاد، وصَرف الشَّيطان عنه؛ ليكونَ مُتَّصلًا بربِّه، مستعينًا بِهِ عَلَىٰ عَدوِّه، وراغبًا إليه فِيمَا يُصلحه، ويُصلح دَعوته، وأن يُمدَّه بالإخلاص فيها في كلِّ ما يأتي ويَذَر.

وأخيرًا، هَذَا ما أَمكَن تدوينُهُ في هَذِهِ العُجَالة عن الدَّعوة والدَّاعية، ومن هو مجبولٌ عَلَىٰ النَّقص لا يَكمُلُ له عملٌ.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

حق النبي ﷺ

بين الغلو والتفريط

حق النبي ﷺ بين الغلو والتفريط

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحَمدَ لله، نحمدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونَعُوذُ بالله من شُرُور أَنفسنا، ومِن سَيِّئات أَعمَالنا، مَن يَهده الله فلا مضلَّ لَهُ، ومَن يُضلل فلا هاديَ له، وأَشهَد أَن لا إله إلَّا الله وَحدَه لا شريكَ لَهُ، وأَشهَد أَنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أَمَّا بعد:

فقَد سَمعتُ أَنَّ بَعضَ الكُتَّاب، وبَعض الشُّعَراء بَالَغوا في حَقِّ النَّبيِّ ﷺ،

وأَعطَوه شيئًا مِن حَقِّ الأُلُوهيَّة، وَهَذا لا يَجُوز، والواجبُ أَن نَعرفَ لله حَقَّه، ولرَسُول الله ﷺ حَقَّه من غَير زِيَادةٍ، ولَا غُلوٍّ، وَلَا تَقصيرٍ في نَفس الوَقت.

فمِنهُم مَن يَقُول: نَعتذر إلَيك يَا رَسُول الله.. كأنَّه جالسٌ أَمَامَه.

وهَذَا مَعناه: أَنَّ مَن يَقُول هَذَا القَول يَعتقد أنَّه يَعلم الغَيبَ، واللهُ سُبحانه يَقُول لنَبيِّه: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ ﴾ [الأنعام:٥٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢﴾ [الجن:٢١، ٢٢].

وَفِي الصَّحيح عَن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمعتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تُطروني كَمَا أَطرت النَّصَارىٰ عِيسَىٰ ابن مَريم؛ إنَّما أَنَا عبدٌ، فَقُولُوا: عَبد الله ورَسُولُهُ**»(١).

والإطراءُ: هُوَ أَن يُرفعَ فَوق مَنزلته، ويُعطىٰ أكثر من حَقِّه.

وقَد فرَّق اللهُ عَزَّوَجَلَّ بَين حَقِّه الخاصِّ به، والحَقِّ المُشترك بَينه وبَينَ رَسُولِهِ في سُورَة النُّور، فَقَالَ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢ ﴾ [النور:٥٢].

فَجَعل الطَّاعةَ مُشتركةً بَينه وبَين رَسُولِهِ ﷺ، فَقَالَ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾، وَجَعَل الخَشيةَ والاتِّقاءَ من خَصَائصِهِ، فَقَالَ: ﴿وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور:٥٢].

وقَد لَخَّصتُ حُقُوقَ الرَّسُول ﷺ الجَائزَة لَهُ في «أوضح الإشَارَة في الرَّدِّ عَلَىٰ مَن أَجَاز المَمنوعَ من الزِّيَارة» بَعد ذِكرِ الآيَات والأَحَاديث الدَّالَّة عَلَىٰ تَعظيمِهِ وتَعزيره وتَوقيره في ذَلكَ، فَقلتُ في (ص٢٢٥):

«وَقَد اتَّضحَ من هذِهِ الآيَات أَنَّ حَقَّ الرَّسُول: مُتَابعة أَمره، والإذعَان لحُكمِهِ، والرِّضا بقضائِهِ، وأَن لَا خِيرَةَ لنَفسك مع خِيرتِهِ، وألَّا تُقدِّم أَمرَ أحدٍ عَلَىٰ أَمره، وَلَا نَهي أَحدٍ عَلَىٰ نَهيه، وأَن تُجيبَ دَعوته، وتُصدِّق خَبَره إذَا أَخبَر، وأَن تُحبَّه أَكثَر من الأَهل والمَال والوَلَد، وتُصلِّي عَلَيه إذا ذُكِرَ، وأَن تَعلم أَنَّ الحَياةَ والفَلَاحَ والفَوزَ والظَّفرَ والنَّجاةَ في اتِّباع أَوَامره، وَاجتنَاب نَوَاهيه، وأَنَّ الهَلاكَ والمَوتَ والخَسَارَ والبَوارَ في مُخَالفة أَمره، والتَّجرُّؤ عَلَىٰ نَوَاهيه، وتَكذيب أَخبَاره، وأَنَّ سَعَادةَ العِبَادِ مَنُوطةٌ باتِّبَاعِهِ، وتَعظيم شَريعتِهِ، وَالانقيَاد لَهُ، والتَّأَسِّي بأَخلاقِهِ وأعمَالِهِ في سِلمِهِ وحَربِهِ، ومُدخلِهِ ومُخرجِهِ، وتَعظيم سُنَّته، وإنزَالها بالمَنزلَة اللَّائقة بها بحثًا عَنها، وتَأَسِّيًا وعَمَلًا بها، ووُقُوفًا عندها، ودَعوةً إلَيها، وجهادًا في سَبيلها، وبَذلَ الجَهد في نَشرها وإعلَائها، وبَذلَ النَّفس والمَال، ونُصرته، وَغَضَّ الصَّوت عندَهُ في حياتِهِ، ومُوَالاة مَن وَالَاه، ومُعَادَاة مَن عَادَاه، وبُغض مَن أَبغَض ومَا أَبغَضَ، وحُب مَن أَحبَّ وَمَا أَحبَّ، ومُحَاربَة مَن حَارَبَه، ومُسَالَمة مَن سَالَمَه، والرُّجُوع إلَىٰ حُكمه عندَ التَّنازع، وَالرِّضَا بِهِ، وأَن نُخَالفَ مَا تَهواه النَّفس من الشَّهَوات، والأَهوَاء، والمَذَاهب، والأَعرَاف، والعَوَائد والتَّقَاليد الحزبيَّة، أَو المَذهبيَّة، أَو القبليَّة، أو الوَطنيَّة.

إنَّ مِنَ المُنكَرِ والإثمِ الكَبيرِ، والشِّركِ الأكبَر أن يُعطَىٰ الرَّسُول ﷺ حقًّا من حُقُوق الله تَعَالىٰ[1]، وذَلكَ كَمَا قَالَ البُوصِيريُّ[2]:

يَا أَكرمَ الخَلق ما لي مَن أَلُوذُ به ... سِواكَ عند حُلُول الحَادث العَمَمِ
إن لَم تكن في مَعَادي آخذًا بيدِي ... فضلًا وإلَّا فقُل يَا زلَّة القَدَمِ

وقَول عَبد الرَّحيم البُرَعِي[3]:

يا رَسُولَ الله يا ذَا الفَضل يا ... بهجةَ المَحشر جاهًا وَمَقامَا
عُد عَلَى عَبد الرَّحيم المُلتجي ... بحِمَى عزِّك يا غوثَ اليَتَامَى
وأَقِلني عَثرتي يا سيِّدي ... في اكتسَاب الذَّنبِ في خَمسين عامَا

وقَول عَبد الرَّحيم أيضًا:

يا سَيِّدي يا رَسُولَ الله يا أَمَلي ... يا مَوئلي ومَلَاذي يومَ يَلقانِي
هَبني بجَاهكَ ما قَدَّمتُ من زَلَلٍ ... جُودًا ورَجِّح بفضلٍ منكَ مِيزَانِي
وَاسمَع دُعَائي واكشِف ما يُسَاورني ... من الخُطُوب ونَفِّس كلَّ أحزانِي
وأنتَ أَقرب مَن تُرجى عَوَاطفه ... عندي وإن بَعُدت دَاري وأَوطانِي

(١) اختصر فضيلةُ الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ الكلامَ من «أوضح الإشارة»، ومَن أراد المزيد، فعليه الرجوع إلىٰ الكتاب، وهو مطبوع لدينا بـ«دار المنهاج».

(٢) هو مُحَمَّد بن سَعيد البُوصِيريُّ، ولد سنة ٦٠٨، وتُوفِّي سنة ٦٩٤هـ. «معجم المؤلفين» (١٠/ ٢٨).

(٣) هو عبدُ الرَّحيم بن أحمد بن عَلي البُرعي، اليَمَاني، شَاعر، مُتَصَوِّف، من سُكَّان النِّيابتين في اليَمن، له دِيوان شِعر مَطبوع أكثره في المَدَائح النَّبويَّة، تُوفِّي في سَنة ٨٠٣هـ. انظر «الأعلام» للزِّركلي (٤/ ١١٨)، «ملحق البدر الطالع» لزيارة (ص١٢٠).

إنِّي دَعوتُكَ من نِيابَتي بُرَع ... وأنتَ أسمعُ مَن يَدعوه ذو شَانِ
فَامنع جَنَابي وأكرمني وَصِل نَسَبي ... برحمةٍ وكَرَاماتٍ وغُفرانِ

وأَقُولُ: إنَّ هَذَا المَخذولَ قَد أَعطىٰ الرَّسُولَ البشريَّ الَّذي قَالَ له ربُّه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠]، أعطَاه حقَّ الله ﷻ من سَمَاع الدُّعَاء، وإجَابَة مَن دَعَاه، وأَعطَاه مَغفرةَ الذُّنُوب، وكَشف الكُرُوب، وجَلب المَطلوب، أعطَاه المَغفرةَ والرَّحمةَ، جَعَله في مَقَام الأُلُوهيَّة مالكًا للمَصَائر؛ يُعذِّب مَن يريدُ، ويَرحمُ مَن يريدُ، وهَذَا جَهلٌ عظيمٌ، وكَأنَّ هَذَا الرَّجلَ لَم يَقرأ كتابَ الله، ولَم يَسمَع دَعوةَ التَّوحيد الَّتي أُرسلَ بِهَا صلواتُ الله وسلامُهُ عَلَيه.

ولَو كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَنفعُ أحدًا من دُون إذنِ ربِّه، لَنفعَ أُمَّه وأَبَاه، فقَد جَاءَ في «صَحيح مُسلم»: أنَّ النَّبيَّ ﷺ بَينما كَانَ في سفرٍ، وتَبعَهُ أَصحابُهُ، فَدَخل في مَقبرةٍ، فتَخطَّىٰ القُبُورَ حتَّىٰ أَتَىٰ إلىٰ قَبر، فَجَلس عندَهُ، فَبكَىٰ وأَبكَىٰ مَن حَوله، ثمَّ رَفَع رَأسَهُ، فَقَال: «**إنَّ هَذَا قَبرُ آمنةَ بِنتِ وَهبٍ** (يَعني: أُمَّه)، **وإنِّي استَأذنتُ ربِّي أَن أَستغفرَ لأُمِّي، فأَبَىٰ عليَّ ذَلكَ، وَاستَأذنتُهُ في أَن أَزُور قَبرها، فأَذِنَ لي في ذَلكَ، فزُورُوا القُبُورَ؛ فإنَّها تُذكِّر الآخِرَةَ**»[1].

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أُمِّه، فَبكَىٰ وأَبكَىٰ مَن حَولَه، فقال: «**استَأذَنتُ رَبِّي في أن أستغفرَ لَها فَلم يُؤذن لِي، واستَأذَنتُه في أَن أَزُور قَبرَها فَأَذِن لِي؛ فَزُوروا القُبور؛ فإنَّها تُذَكِّر المَوت**».

فَلَو أنَّ النَّبيَّ ﷺ يَملكُ أَن يُنقذَ أحدًا بغَير أَمر ربِّه، لأَنقذَ أُمَّه، وقَد أَخبَر حينَ قَالَ رَجلٌ: أَينَ أَبي؟ قَالَ: «فِي النَّار»[1].

وصلَّىٰ اللهُ عَلىٰ نَبينا مُحَمَّد وعلىٰ آله وصَحبَه أَجمَعين.

أحمد بن يَحيى النَّجمي

في ١٤٢٧/١/١٨هـ

(١) أخرجه مسلم (٢٠٣).

حادثة
امتهان الدانمارك
لصورة رسول الله ﷺ

حادثة امتهان الدانمارك لصورة الرسول ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يقول السائل: الإخوة في الدانمارك يطلبون نصيحةً للمسلمين المُقيمين في الدانمارك خاصَّةً، وفي الدول الإسكندنافية وفي أوروبا عامَّة حول التعامل مع مَن قاموا بتشويه صورة الرسول الكريم ﷺ، واتهموه بأنَّه مصدر الإرهاب، عليهم من الله ما يستحقون من المَقت والغَضب؟

الجواب: الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرا،

وبعد:

فإنَّه لا يخفىٰ علىٰ كلِّ مَن له إلمامٌ بالشرع المُحمدي من المسلمين عُلوُّ مقام النبي محمدٍ ﷺ ورفعة مكانته؛ فهو الذي أنزل الله عليه القرآن، وجعله مُهيمنًا علىٰ جميع الكتب قبله، وختم برسالته جميع الرسالات، وأعطاه ما لم يُعط أحدًا قبله من الأنبياء.

فهو صاحب المَقام المحمود؛ وهي الشفاعة العظمىٰ في فَصل القضاء؛

وهي التي يعتذر عنها جميعُ أولي العَزم من الرسل، ويقوم بها، صلوات ربي وسلامه عليه.

وهو صاحب الحَوض المورود الذي تَرِدُه أُمَّتُه.

وهو صاحب اللواء المعقود الذي تُحشر تحته جميعُ الرسل، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهو الذي يَستفتح بابَ الجنة.

وله خصائص لا نُطيل بذكرها:

فقد نهىٰ الله ﷻ عباده أن يُقدِّموا أحدًا عليه، أو يَتقدموا بين يديه.

ونهاهم أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته، وأن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعضٍ، وأخبر أنَّ ذلك موجبٌ لإحباط أعمالهم، فقال جلَّ مِن قائل: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات: ١، ٢].

وإنَّ الواجب علىٰ كل مسلم أن يُعظِّم الرسول حقَّ التعظيم، ويُجلَّه حقَّ الإجلال، ويُوقِّره حقَّ التوقير؛ إذ إنَّه لا يدخل الجنةَ أحدٌ إلاَّ من طريقه، ولا يُقبَل من أحدٍ عملٌ إلاَّ بعد الإيمان به؛ قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ

وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٨].

وثمن الجنة: طاعته واتباعه؛ قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠].

أمَّا نصيحة المسلمين الذين يكونون في بلاد الكفار؛ فإنَّ الواجب عليهم أن يُنكروا عملَ هؤلاء الكفار المُعتدين الظالمين بالطرق الشرعية، ويكتبوا احتجاجًا علىٰ هذه الدولة، وعلىٰ الشركة التي نَشرت (الكاريكاتير)، ويُكثروا من إرسال الاحتجاجات؛ فكلُّ جماعة يكتبون احتجاجًا، ويُبرقون برقيةَ استنكارٍ لرئيس الدولة التي وقع فيها هذا المنكر، ويرسلون صورةً من الاحتجاج، وصورةً من برقية الاستنكار؛ سواءٌ كان ذلك في نفس الدولة، أو في دول غيرها من دول الكفر.

كما أنَّ الواجب علىٰ الدول الإسلامية: أن تُرسل كلُّ دولةٍ احتجاجًا مفصَّلًا تُبيِّن فيه براءة الإسلام من هذا الفكر الغالي، ومعه برقية استنكار، وتَسحب سفيرها في تلك الدولة التي تبنَّت هذا العمل، وتَطرد سفيرَ تلك البلد من دولتها.

أمَّا الأقليات المسلمة الذين يَسكنون في الدول الإسكندنافية أو في دول أوروبا؛ فهم يكتفون بالاحتجاج وبرقية الاستنكار، ويَلزمون الهدوء،

ويلتزمون الصبر مع ما يُظهرون من الغضب علىٰ ذلك حتىٰ لا يكون في ذلك للسفهاء في تلك الدول علىٰ المسلمين مدخلٌ يؤذونهم به، والله ﷻ قد قال لرسوله ﷺ مُعلِّمًا له ولأمته في سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنعام:٦٨، ٦٩].

[وقال أيضًا في سورة النِّساء: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]].

قال الشَّيخ عبد الرَّحْمَن بن نَاصِر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن في تَفْسِير كلام المنَّان» لهذه الآية: «أي: وقد بيَّن اللهُ لكم فيما أُنزل عليكم حكمه الشرعي عند حضور مجالس الكفر والمعاصي: ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ أي: يستهان بها، وذلك أنَّ الواجب علىٰ كلِّ مكلَّفٍ في آيات الله: الإيمان بها، وتعظيمها، وإجلالها، وتفخيمها، وهذا المقصود بإنزالها؛ وهو الذي خَلق اللهُ الخَلْقَ لأجله، فضدُّ الإيمان: الكفر بها، وضد تعظيمها: الاستهزاء بها واحتقارها، ويدخل في ذلك مجادلة الكفار والمنافقين لإبطال آيات الله، ونَصر كفرهم.

وكذلك المُبتدعون علىٰ اختلاف أنواعهم؛ فإنَّ احتجاجهم علىٰ باطلهم يتضمن الاستهانة بآيات الله؛ لأنَّها لا تدل إلَّا علىٰ حق، ولا تستلزم إلَّا

صدقًا؛ بل وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يُستهان فيها بأوامر الله ونواهيه، وتُقتحم حدودُه التي حدَّها لعباده، ومنتهىٰ هذا النَّهي عن القعود معهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ أي: غير الكفر بآيات الله، والاستهزاء بها.

﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي: إن قَعدتم معهم في الحال المذكورة ﴿مِّثْلُهُمْ﴾؛ لأنَّكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها.

والحاصل: أنَّ من حضر مجلسًا يُعصىٰ اللهُ فيه؛ فإنَّه يتعيَّن عليه الإنكار عليهم مع القدرة، أو القيام مع عدمها». اهـ[1].

وأقول: يتضح من هذه الآيات أنَّ الواجب أن يُنكروا الاستهزاء بالنبي الكريم بالطريقة التي ذكرتُها، ويكفي ذلك في إظهار غضبهم من هذا العمل المشؤوم.

مع العلم أنَّ النبي ﷺ قد أخبر أنَّه: «**سيكونُ في آخر الزمان أقوامٌ حُدَثاء الأسنان، سُفهاء الأحلام، يقولون مِن قول خير البريَّة، يقرؤون القرآن لا يجاوز حَنَاجرهم، يَمرُقون من الدين مُرُوق السهم من الرَّمِيَّة؛ لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قَتلَ عادٍ**». وفي رواية: «**قَتل ثَمُود**». وفي رواية: «**طُوبىٰ لمَن قَتَلهم أو قَتلُوه**»، وقال عنهم: «**كِلَاب النَّار**».

فهذه أقوالُهُ في الإرهابيين؛ حذَّر منهم أشدَّ التحذير، ونفَّر منهم أشدَّ التنفير؛ فكيف يقال: إنَّه إرهابيٌّ؟!

(١) «تفسير السعدي» (ص٢١٠).

إنَّ رسول الله ﷺ جاء بالرسالة الحقَّة التي تحمل في طيَّاتها الحقَّ والعدل، والأمن والإيمان، والراحة والطمأنينة؛ ليعبد العبادُ فيها ربَّهم بغير مُنَغِّصٍ، ولا مُكدِّرٍ، فمن زعم أنَّ الإرهاب مصدره من الرسالة المحمدية، فهو ظالمٌ معتدٍ، وجاهلٌ غاية الجهل.

فعلىٰ المسلمين أن يتقوا الله، وأن يعملوا بما يحسِّن السمعة الإسلامية؛ وهو الذي أمر الله به رسوله، ومَن فعل خلاف ذلك، فإنَّه قد أساء إلىٰ الإسلام، وتسبَّب في إساءة أعدائه إليه، وما ذاك إلَّا نتيجة الجهل بشريعته.

فصلوات الله وسلامه علىٰ نبي الهدىٰ؛ الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، وعلىٰ آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا.

كتبها

أحمد بن يحيى النَّجمي

١٤٢٧/١/١٢هـ

سيرة الإمام المبجل
أحمد بن محمد بن حنبل

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم **وبعد:**

فقد طَلَب مني المُشرفون علىٰ وقف السلام الخيري بمدينة الرياض أن أُترجم لعَلَمٍ من أعلام الحديث، وإمامٍ من أئمتهم، فاخترتُ أن أُترجم للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لما لهذا الإمام من المحبة والقبول والإجلال عند الناس جميعًا، وفي الأوساط العلمية خاصة، **ورأيتُ أن تكون الترجمة مشتملةً على الأبحاث الآتية:**

١- التعريف بنسبه.

٢- مولده.

٣- نشأته.

٤- بداية طلبه للعلم.

٥- شيوخه.

٦- رحلته في طلب العلم.

٧- حفظه للعلم.

٨- ورعه، وثناء العلماء عليه.

٩- أوصافه الشخصية.

١٠- ثباته في المحنة في عهد المعتصم.

١١- منعه من التحديث.

١٢- المحنة في عهد الواثق.

١٣- انتهاء المحنة بولاية المتوكل على الله.

١٤- حال الإمام في دولة المتوكل.

١٥- جهاده لأهل البدع.

١٦- وفاته.

١٧ - مؤلفاته رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٨- منهج الإمام أحمد في تأليف «المسند».

□ **وهذا أوان البدء في البحث، فأقول:**

١- التعريف بنسبه رَحِمَهُ اللَّهُ

قال الإمام محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «سير أعلام النبلاء» في (ج١١/ ص١٧٧- ٢٢٧) رقم الترجمة (٧٨): «هو الإمام حقًّا، وشيخ الإسلام صدقًا: أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة».

وبعض النسابين يقدِّم ذهل بن شيبان.

وساق النسب إلىٰ بكر بن وائل.

ثمَّ قال: «الذهلي الشيباني المروزي، ثمَّ البغدادي، أحد الأئمة الأعلام.

هكذا ساق نسبه ولده عبد الله، واعتمده أبو بكر الخطيب في «تاريخه» وغيره»[1]، ويلتقي نسبه بنسب النبي ﷺ في نزار ابن معدِّ بن عدنان.



(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٧، ١٧٨).

٢- مولده رَحِمَهُ اللَّهُ

قال الإمام الذهبي: «وكان محمد والد أبي عبد الله من أجناد مَرْو، مات شابًّا؛ له نحو من ثلاثين سنة، ورُبِّي أحمد يتيمًا، وقيل: إنَّ أمَّه تحوَّلت من مَرْو وهي حاملٌ به»[١]، رحمها الله.

«... وقال أبو داود: سمعت يعقوب الدورقي، سمعت أحمد يقول: ولدت في شهر ربيع الأول سنة أربعٍ وستين ومئة»[٢].



(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٩).

٣- نشأته رحمه الله

نشأ يتيمًا في حجر أمِّه، ونقل صالحٌ عن أبيه أنَّه قال: ثَقَبت أُمِّي أُذني، فكانت تصيِّر فيهما لؤلؤتين، فلمَّا تَرَعْرَعْتُ نَزَعَتْهُما، فكانتا عندها، ثمَّ دفعتهما إليَّ، فبعتهما بنحوٍ من ثلاثين درهمًا[1].

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٩).

٤- بداية طلبه للعلم رحمه الله

قال الإمام الذهبي: «طلبَ العلمَ وهو ابن خمس عشرة سنة، في العام الذي مات فيه مالكٌ، وحماد بن زيد»[١].

قلت: كان ذلك في عام ١٧٩هـ.



(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٠).

٥- شيوخه

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «سمع من إبراهيم بن سعد قليلًا، ومن هشيم بن بشير، فأكثر وجوَّد، ومن عبَّاد بن عباد المهُلَّبي، ومعتمر بن سليمان التيمي، وسفيان بن عيينة الهلالي، وأيوب بن النجَّار، ويحيىٰ ابن أبي زائدة، وعلي ابن هاشم بن البَريد، وقران بن تمام، وعمَّار بن محمد الثوري، والقاضي أبي يوسف...»، وذكر عددًا من المشائخ الذين أخذ عنهم...

ثمَّ قال: فَعِدة شيوخه الذين روىٰ عنهم في «المُسند» مئتان وثمانون ونيف...

حدَّث عنه البخاري حديثًا، وعن أحمد بن الحسن عنه حديثًا آخر في المغازي.

وحدَّث عنه مُسلم وأبو داود بجملة وافرة.

وروىٰ أبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجة عن رجلٍ عنه.

وحدَّث عنه أيضًا ولداه؛ صالح وعبد الله، وابن عمِّه حنبل بن إسحاق[1].

ومن شيوخه: «عبد الرزَّاق، والحسن بن موسىٰ الأشيب، وأبو عبد الله

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٠، ١٨١).

الشافعي؛ لكن الشافعي لم يُسَمِّه؛ بل قال: حدَّثني الثقة.

وحدَّث عنه: علي بن المديني، ودحيم، وأحمد بن صالح، وأحمد بن أبي الحواري، ومحمد بن يحيىٰ الذهلي، وأحمد بن الفرات...»[١]، وذكر جملةً ممن حدَّثوا عنه، بعضهم من شيوخه.

«**قال ابن أبي حاتم:** أخبرنا أبو زرعة أنَّ أحمد أصله بصري، وخُطَّته بمَرْو، وحدثنا صالح: سمعت أبي يقول: مات هشيم، فخرجت إلىٰ الكوفة سنة ثلاثٍ وثمانين، وأول رحلاتي إلىٰ البصرة سنة ستٍّ، وخرجت إلىٰ سفيان سنة سبع، فَقَدِمْنا وقد مات الفُضيلُ بن عياض، وحججتُ خمس حجج، منها ثلاثٌ رَاجِلًا، أنفقت في إحداها ثلاثين درهمًا، وقَدِم ابنُ المبارك في سنة تسعٍ وسبعين، وفيها أول سماعي من هشيم، فذهبت إلىٰ مجلس ابن المبارك، فقالوا: قد خرج إلىٰ طَرَسُوس، وكتبت عن هشيم أكثر من ثلاثة آلاف، ولو كان عندي خمسون درهمًا لخرجت إلىٰ جرير إلىٰ الرَّي.

قلتُ: أي: الذهبي: قد سَمِع منه أحاديث، قال: وسمعت أبي يقول: كتبت عن إبراهيم بن سعد في ألواحٍ، وصَلَّيت خلفه غير مرةٍ، فكان يُسلِّم واحدة.

وقد روىٰ عن أحمد من شيوخه ابن مهدي». اهـ[٢].

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨١، ١٨٢).

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٢).

٦- رحلته في طلب العلم رَحِمَهُ اللَّهُ

قال المروذي: «سمعت أبا عبد الله يقول: مات هشيم ولي عشرون سنة، فخرجت أنا والأعرابي -رفيق كان لأبي عبد الله- قال: فخرجنا مشاةً، فوصلنا الكوفة، يعني: في سنة ثلاثٍ وثمانين، فأتينا أبا معاوية وعنده الخلق، فأعطىٰ الأعرابي حجةً بستين درهمًا، فخرج وتركني في بيتٍ وحدي، فاستوحشتُ، وليس معي إلَّا جرابٌ فيه كتبي، كنت أضعه فوق لبنة، وأضع رأسي عليه، وكنت أذاكر وَكِيعًا بحديث الثوري»[1].

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٦).

٧- حفظه للعلم رحمه الله

قال المروذي: «وذكر مرةً شيئًا، وقال: هذا عند هشيم؟ فقلت: لا.

وكان ربما ذكر العشر أحاديث فأحفظها، فإذا قام، قالوا لي: فأمليها عليهم.

وحدثنا عبد الله بن أحمد، قال لي أبي: خذ أيَّ كتابٍ شئت من كتب وكيع من المصنف، فإن شئت أن تسألني عن الكلام حتىٰ أخبرك بالإسناد، وإن شئتَ بالإسناد حتىٰ أخبرك أنا بالكلام»[1].

قلت: يريد بالكلام: المتن، أي: الحديث الذي يُتوصل إليه بالإسناد.

قال الإمام الذهبي: «وسمعت أبا إسماعيل الترمذي يذكر عن ابن نمير قال: كنت عند وكيع، فجاءه رجلٌ -أو قال: جماعةٌ من أصحاب أبي حنيفة- فقالوا له: هاهنا رجلٌ بغدادي يتكلم في بعض الكوفيين! فلم يعرفه وكيعٌ، فبينا نحن كذلك؛ إذ طلع أحمد بن حنبل، فقالوا: هذا هو، فقال وكيعٌ: هاهنا يا أبا عبد الله، فأفرجوا له[2]، فجعلوا يذكرون عن أبي عبد الله الذي يُنكرون، وجعل أبو عبد الله يحتجُّ بالأحاديث عن النبي ﷺ، وقالوا

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٦).

(٢) أوسعوا له.

لوكيع: هذا بحضرتك ترىٰ ما يقول! فقال -أي: وكيع: رجلٌ يقول: قال رسول الله ﷺ، أيش أقول له؟! ثمَّ قال: ليس القول إلَّا كما قلت يا أبا عبد الله، فقال القوم لوكيع: خدعك -والله- البغداديُّ!»[١].

«وعن أحمد الدورقي عن أبي عبد الله قال: نحن إذا كتبنا الحديث من ستة وجوه أو سبعة لم نضبطه، فكيف يضبطه مَن كتبه من وجهٍ واحد؟!

قال عبد الله بن أحمد: قال لي أبو زرعة: أبوك يحفظ ألف ألف حديث، فقيل: وما يدريك ؟ قال: ذاكرته، فأخذت عليه الأبواب».

قال الإمام الذهبي: «فهذه حكايةٌ صحيحةٌ في سَعَة علم أبي عبد الله، وكانوا يُعدون في ذلك المكرر والأثر وفتوىٰ التابعين، وما فُسِّر، ونحو ذلك، وإلَّا فالمتون المرفوعة القوية لا تَبلغ عُشر مِعشار ذلك»[٢].

«قال إبراهيم الحربي: رأيت أبا عبد الله كأنَّ الله جمع له علم الأولين والآخرين»[٣].

قال الخَلَّال: «أخبرنا المروذي: سمعت محمد بن يحيىٰ القطان يقول: رأيت أبي مُكرمًا لأحمد بن حنبل، لقد بذل له كتبه، أو قال: حديثه.

وقال القواريري: قال يحيىٰ القَطَّان: ما قَدِم عليَّ من بغداد أحبُّ إليَّ من أحمد بن حنبل.

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٦، ١٨٧).

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٧).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٧).

وقال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يقول: شقَّ علىٰ يحيىٰ بن سعيد يوم خرجتُ من البصرة.

وقال عمرو بن العباس: سمعت عبد الرحمن بن مهدي ذكر أصحاب الحديث، فقال: أعلمهم بحديث الثوري: أحمدُ بن حنبل؛ قال: فأقبل أحمد ابن حنبل، فقال: مَنْ أراد أن ينظر إلىٰ ما بين كتفي الثوري، فلينظر إلىٰ هذا»[١].

وقال أبو الوليد الطيالسي: «ما بالمِصْرَين[٢] رجلٌ أكرم عليَّ من أحمد ابن حنبل»[٣].

قال عبد الله بن أحمد: «سمعت أبي يقول: قدمتُ صنعاء أنا ويحيىٰ بن معين، فمضيت إلىٰ عبد الرَّزَّاق في قريته، وتخلَّف يحيىٰ، فلما ذهبت أدقُّ الباب؛ قال بقَّالٌ تجاه داره: لا تَدُقَّ؛ فإنَّ الشيخ يُهاب. فجلست حتىٰ إذا كان قبل المغرب خرج، فوثبتُ إليه، وفي يدي أحاديث انتقيتها، فسلمتُ عليه، وقلت: حدِّثْني بهذه الأحاديث، رحمك الله، فإني رجلٌ غريب؛ قال: ومَن أنت؟ وزبرني[٤]. قلت: أنا أحمد بن حنبل، قال: فتقاصر[٥]، وضمَّني إليه، وقال: بالله، أنت أبو عبد الله، قال: ثمَّ أخذ الأحاديث، وجعل يقرؤها

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٩، ١٩٠).

(٢) أي: البصرة والكوفة.

(٣) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٠).

(٤) أي: انتهرني.

(٥) أي: كَفَّ عن الحديث بشدة، ولَاَن له في الحديث.

٨- ورعه، وثناء العلماء عليه رحمه الله

قال الإمام الذهبي في «السير»: «قال الخلال: حدثنا الرمادي: سمعت عبد الرزاق، وذكر أحمد بن حنبل، فدمعت عيناه، فقال: بلغني أن نفقته نفدَت، فأخذت بيده فأقمته خلف الباب، وما معنا أحدٌ، فقلت له: إنه لا تجتمع عندنا الدنانير؛ إذا بِعنا الغَلَّة أشغلناها في شيءٍ، وقد وجدتُ عند النساء عشرة دنانير فخذها، وأرجو ألاَّ تنفقها حتىٰ يَتهيأ شيءٌ. فقال: يا أبا بكر، لو قَبِلْتُ من أحدٍ شيئًا- قَبلتُ منك.

وقال عبد الله: قلت لأبي: بلغني أنَّ عبد الرزاق عَرَض عليك دنانير؟ قال: نعم.

وأعطاني يزيد بن هارون خمس مئة درهم- أظنُّ- فلم أقبل، وأعطىٰ يحيىٰ بن معين وأبا مسلم، فأخذا منه»[1].

قال المروذي: «قال لي أبو عبد الله: كنَّا عند يزيد بن هارون، فوهم في شيءٍ، فكلمته، فأخرج كتابه، فوجده كما قلتُ، فغيَّره، فكان إذا جلس يقول: يابن حنبل، ادْنُ هاهنا! ومرضتُ فعادني، فنطحه البابُ»[2].

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٢، ١٩٣).

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٤).

قال المروذي: سمعت بعض الواسطيين يقول: ما رأيت يزيد بن هارون ترك المزاح لأحدٍ إلَّا لأحمد بن حنبل[١].

«وقال قتيبة: خيرُ أهل زماننا ابنُ المبارك، ثمَّ هذا الشابُّ، يعني: أحمد ابن حنبل»[٢].

«وقال حَرْمَلةُ: سمعت الشافعيَّ يقول: خرجتُ من بغداد، فما خلَّفت بها رجلًا أفضلَ، ولا أعلمَ، ولا أفقهَ، ولا أتقىٰ من أحمدَ ابن حنبل»[٣].

«وقال نصرُ بن علي الجَهْضِمُّي: أحمدُ أفضلُ أهل زمانه»[٤].

«وقال إمام الأئمة ابنُ خزيمة: سمعت محمد بن سحنون: سمعت أبا عمير بن النحاس الرملي، وذكر أحمد بن حنبل، فقال: رحمه اللهُ، عن الدنيا ما كان أصبره! وبالماضين ما كان أشبهه! وبالصَّالحين ما كان أَلْحَقَه! عُرضت له الدنيا فأَبَاها، والبدع فنَفَاها»[٥].

«وقال قُتيبة: لولا الثوريُّ لمات الورعُ، ولولا أحمد لأحدثوا في الدِّين؛ أحمدُ إمامُ الدنيا»[٦].

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٤).
(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٥).
(٣) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٥).
(٤) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٧).
(٥) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٧).
(٦) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٥).

«وروي عن إسحاق بن راهويه: أحمدُ حُجَّةٌ بين الله وبين خلقه.

وعن ابن المديني قال: أعزَّ اللهُ الدِّينَ بالصِّديق يوم الرِّدة، وبأحمد يوم المحنة»[١].

«وقال النفيلي: كان أحمدُ بن حنبل من أعلام الدين.

وقال علي بن خشرم: سمعت بشر بن الحارث يقول: أنا أُسألُ عن أحمد ابن حنبل! أحمد بن حنبل أُدخل الكير، فخرج ذهبًا أحمر.

وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن علي بن المديني وأحمد بن حنبل، أيهما أحفظ؟ فقال: كانا في الحفظ متقاربين، وكان أحمدُ أفقه، إذا رأيتَ مَنْ يحب أحمد، فاعلم أنَّه صاحبُ سُنَّة.

وقال أبو زرعة: أحمدُ بن حنبل أكبرُ من إسحاق وأفقه، وما رأيت أحدًا أكمل من أحمد.

وقال ابن وارة: كان أحمدُ صاحبُ فقه، صاحبُ حفظ، صاحب معرفة.

وقال النسائي: جمع أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث والفقه والورع والزهد والصبر»[٢].

قال الخَلَّال: أخبرني محمد بن موسىٰ، قال: رأيت أبا عبد الله؛ وقد قال له خراساني: الحمدُ لله الذي رأيتك، قال: اقعد، أي شيءٍ ذا، من أنا؟!

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٦).

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٧-١٩٩).

وعن رجلٍ قال: رأيتُ أثر الغم في وجه أبي عبد الله، وقد أثنىٰ عليه شخصٌ، وقيل له: جزاك الله عن الإسلام خيرًا، قال: بل جزىٰ اللهُ الإسلامَ عني خيرًا؛ من أنا؟! وما أنا؟!

قال الخلال: أخبرنا علي بن عبد الصمد الطيالسي، قال: مسحتُ يدي علىٰ أحمد بن حنبل، وهو ينظر، فغضب، وجعل ينفض يده، ويقول: عمَّن أخذتم هذا؟![1].

«قال عبد الله بن بِشْر الطَّالَقَاني: سمعتُ محمد بن طارق البغدادي؛ قلت لأحمد بن حنبل: أستمدُّ من مَحبرتك، فنظر إليَّ، وقال: لم يبلغ وَرَعي وورعك هذا، وتبسَّمَ»[2].

وقال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يقول: وددت أني أنجو من هذا الأمر كفافًا، لا عليَّ ولا لي.

وقال المروذي: أدخلت إبراهيم الحصري علىٰ أبي عبد الله وكان رجلًا صالحًا- فقال: إنَّ أمي رأت لك منامًا هو كذا وكذا، وذكرت الجنة، فقال: يا أخي، إنَّ سهل بن سلامة كان النَّاسُ يُخبرونه بمثل هذا، وخرج إلىٰ سفك الدماء، وقال: الرؤيا تسرُّ المؤمن ولا تغرُّه[3].

وترجم للإمام أحمدَ ابنُ كثير في «البداية والنهاية» في (ج١٠/ ٣٥٩- ٣٦٥)، وذكر نَسَبه كما قلناه من «سير أعلام النبلاء» إلىٰ بكر بن وائل، ثمَّ أوصله إلىٰ

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٢٥).
(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٢٥).
(٣) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٢٧).

نزار بن معد بن عدنان، وأنَّه قَدَم به أبوه من مَرْو إلىٰ بغداد وهو حملٌ، فوضعته أمُّه ببغداد في عام ١٦٤هـ في ربيع الأول منه، وزاد: وتُوفِّي أبوه وهو ابن ثلاث سنوات، وكفلته أمُّه، وكان في حَدَاثته يختلف إلىٰ مجلس القاضي أبي يوسف، ثم ترك ذلك، وأقبل علىٰ سماع الحديث[1].

وقال ابنُ أبي حاتم، عن أبيه، عن حَرْمَلة: سمعت الشافعيَّ قال: وَعدَني أحمدُ بن حنبل أن يَقدم عليَّ مصر، فلم يقدم.

قال ابن أبي حاتم: يُشبه أن تكون خِفة ذات اليد منعته أن يَفِي بالعدة.

وقد طاف أحمدُ بن حنبل في البلاد والآفاق، وسمع من مشائخ العصر، وكانوا يُجلونه ويحترمونه في حال سماعه منهم، وقد سرد شيخنا في «تهذيبه» أسماء شيوخه مُرتبين علىٰ حروف المعجم، وكذلك الرواة عنه.

قال البيهقي بعد أن ذكر جماعةً من شيوخ الإمام أحمد: وقد ذكر أحمد بن حنبل في «المسند» وغيره الرواية عن الشافعي، وأخذ عنه جملةً من كلامه في أنساب قريش...

قلت (القائل ابن كثير): قد أفرد ما رواه أحمد عن الشافعي؛ وهي أحاديث لا تبلغ عشرين حديثًا، ومن أحسن ما رويناه عن الإمام أحمد عن الشافعي، عن مالك بن أنس، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**نَسَمةُ المؤمن طائرٌ تعلَّق في شجر الجنة حتىٰ**

(١) انظر «البداية والنهاية» (٧/ ٣٥٩).

يرجعه الله إلىٰ جسده يوم البعث»[١].

وقال الشافعيُّ لأحمدَ لما اجتمع به في الرحلة الثانية إلىٰ بغداد في ١٩٠هـ، وعمر أحمد إذ ذاك نيفٌ وثلاثون سنة؛ قال: يا أبا عبد الله، إذا صحَّ عندكم الحديث فأعلمني به؛ أذهب إليه؛ حِجازيًّا كان، أو شاميًّا، أو عراقيًّا، أو يمنيًّا[٢].

وقول الشافعي له هذه المقالة تعظيمٌ لأحمد، وإجلالٌ له، وأنَّه عنده بهذه المثابة؛ إذا صحَّح أو ضعَّف يرجع إليه.

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وروىٰ البيهقيُّ عن الربيع؛ قال: بعثني الشافعيُّ بكتابٍ من مصر إلىٰ أحمد بن حنبل، فأتيتهُ، وقد انفتل من صلاة الفجر، فدفعتُ إليه الكتاب، فقال: أقرأته؟ فقلت: لا. فأخذه، فقرأه، فدمعت عيناه، فقلت: يا أبا عبد الله، وما فيه؟ قال: يَذكر أنَّه رأىٰ رسولَ الله ﷺ في المنام، فقال: اكتب إلىٰ أبي عبد الله أحمد بن حنبل، واقرأ عليه مني السَّلام، وقل له: إنَّك ستُمْتَحن وتُدْعىٰ إلىٰ القول بخَلْق القرآن، فلا تُجبهم، يرفع الله لك عَلَمًا إلىٰ يوم القيامة».اهـ[٣].



(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥/ ٦٥) (١٥٧٨٧)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٤١٣٨).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٦٠).

(٣) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٦٥).

٩- أوصافه الشخصية رَحِمَهُ اللَّهُ

قال الإمام الذهبي في «السير»: «قال ابن ذَرِيح العكبري: طلبتُ أحمدَ بن حنبل، فسلَّمت عليه، وكان شيخًا مَخْضُوبًا طِوالًا أسمر، شديد السُّمرة.

وعن محمد بن عباس النحوي؛ قال: رأيتُ أحمدَ بن حنبل حَسَن الوجه، رَبْعَةً؛ يخضب بالحِنَّاء خضابًا ليس بالقاني، في لحيته شعراتٌ سود، ورأيت ثيابه غلاظًا بيضًا، ورأيته معتمًّا، وعليه إزار.

وقال المروذي: رأيت أبا عبد الله إذا كان في البيت عامة جلوسه مُتربعًا، خاشعًا، فإذا كان برًّا لم يَتبين منه خشوعٌ، وكنت أدخل والجزء في يده يقرأ.

وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: تزوَّجت وأنا ابن أربعين سنةً، فرزَقَ اللهُ خيرًا كثيرًا.

وقال أبو بكر الخلال في كتاب: «أخلاق أحمد»، وهو مجلد: أملىٰ عليَّ زهير بن صالح بن أحمد قال: تزوَّج جدي عبَّاسة بنت الفضل من العرب، فلم يُولد له منها غير أبي، وتُوفِّيت، فتزوَّج بعدها ريحانة، فولدتْ له عبد الله عمي، ثمَّ توفيت، فاشترىٰ حُسْنَ، فولدت له أُمَّ عليٍّ زينبَ، وولدت له الحسن والحسين توأمًا، وماتا بقرب ولادتهما، ثم ولدت الحسن ومحمدًا،

١٠- ثباته في المحنة في عهد المعتصم

ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» ما جاء في محنة أبي عبد الله؛ أحمد بن محمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ في أيام المأمون، ثمَّ المعتصم، ثمَّ الواثق بسبب قولهم في القرآن العظيم: إنَّه مخلوق، وما أَصَابه بسبب ذلك من الحبس الطويل، والضرب الشديد، والتهديد بالقتل، وسوء العذاب، وأليم العقاب، وقلة مبالاته بما كان منهم في ذلك إليه، وصبره عليه، وتمسكه بما كان عليه من الدِّين القويم والصراط المستقيم، وكان أحمدُ عالمًا بما ورد بمثل حاله من الآيات المتلوة والأخبار المأثورة... إلىٰ أن قال: «قال الله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١-٣]، وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٧﴾ [لقمان:١٧]».

ثمَّ أورد حديثَ سعد بن أبي وقاص عند أحمد في «مسنده» من طريق ابنه مصعب بن سعد، عن أبيه قال: سألتُ رسول الله ﷺ: أيُّ الناس أشد بلاءً؟ قال: «**الأنبياء، ثمَّ الأمْثَلُ، فالأمثل**»[1]. اهـ.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٨٧) (١٤٩٤)، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «التعليقات =

قلت: وفي هذا الحديث بشارةٌ لأصحاب البلاء بوافر الأجر وعظيم الذخر عند الله عَزَّوَجَلَّ، حيث قَرَنهم بالأنبياء.

وذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في (ص ٣٦٥) ملخص الفتنة والمحنة من كلام أئمة السُّنَّة، فقال: «قد ذكرنا فيما تقدم أنَّ المأمون كان قد استحوذ عليه جماعةٌ من المعتزلة؛ فأزاغوه عن طريق الحق إلىٰ الباطل، وزَيَّنوا له القولَ بخَلْق القرآن، ونفي الصفات عن الله عَزَّوَجَلَّ.

قال البيهقي: ولم يكن في الخلفاء قبله من بني أمية وبني العباس خليفةٌ إلاَّ علىٰ مذهب السلف ومنهاجهم، فلمَّا ولي هو الخلافة اجتمع به هؤلاء، فحملوه علىٰ ذلك، وزيَّنوه له، واتفق خروجه إلىٰ طرطوس لغزو الروم، فكتب إلىٰ نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلىٰ القول بخلق القرآن، واتفق له ذلك آخر عمره قبل موته بشهور من سنة ثماني عشرة ومئتين، فلمَّا وصل الكتاب -كما ذكرنا- استدعىٰ جماعةً من أئمة الحديث، فدعاهم إلىٰ ذلك، فامتنعوا، فتهددهم بالضرب وقَطْع الأرزاق، فأجاب أكثرهم مُكرهين، واستمر علىٰ الامتناع من ذلك الإمام أحمدُ بن حنبل، ومحمد بن نوح الجنديسابوري، فحُملا علىٰ بعيرٍ، وسُيِّرا إلىٰ الخليفة عن أمره بذلك، وهما مُقيَّدان متعادلان في مَحملٍ علىٰ بعيرٍ واحدٍ.

=

الحسان» (٢٨٩٠): «حسن صحيح».

«البداية والنهاية» (١٠/ ٣٦٤).

فلمَّا كانا ببلاد الرحبة جاءهم رجلٌ من الأعراب من عُبَّادهم يقال له: جابر بن عامر، فسلم علىٰ الإمام أحمد، وقال له: يا هذا، إنَّك وافد الناس، فلا تكن شُؤمًا عليهم، وإنَّك رأس الناس اليوم؛ فإياك أن تُجيبهم إلىٰ ما يَدعونك إليه فيُجيبوا، فتحمل أوزارهم يوم القيامة، وإن كنت تحبُّ الله فاصبر علىٰ ما أنت فيه؛ فإنَّه ما بينك وبين الجنة إلَّا أن تُقتل، وإن لم تُقتل تَمُتْ، وإن عِشْتَ عِشْتَ حميدًا.

قال أحمد: وكان كلامُه مما قوَّىٰ عزمي علىٰ ما أنا فيه من الامتناع من ذلك الذي يدعونني إليه.

فلمَّا اقتربا من جيش الخليفة ونزلوا دونه بمرحلة، جاء خادم وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه، ويقول: يعزُّ عليَّ يا أبا عبد الله أنَّ المأمون قد سلَّ سيفًا لم يسله قبل ذلك، وأنَّه يُقسم بقرابته من رسول الله ﷺ لئن لم تُجبه إلىٰ القول بخَلْق القرآن ليقتلنَّك بذلك السيف.

قال: فجثا الإمام أحمد علىٰ ركبتيه، ورمق بطرفه إلىٰ السماء، وقال: سيدي، غَرَّ حِلْمُك هذا الفاجر؛ فتجرَّأ علىٰ أوليائك بالضرب والقتل؛ اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق، فاكفنا مؤنته.

قال: فجاءهم الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل.

قال أحمد: ففرحنا.

ثمَّ جاء الخبر بأنَّ المعتصم قد وَلي الخلافة، وقد انضم إليه أحمد بن أبي دؤاد، وأنَّ الأمر شديد، فردُّونا إلىٰ بغداد في سفينةٍ مع بعض الأسارىٰ، ونالني

منهم أذىٰ كثير، وكان في رِجليه القيود.

ومات صاحبُه محمد بن نوح في الطريق، وصلَّىٰ عليه أحمد.

فلمَّا رجع أحمدُ إلىٰ بغداد، دخلها في رمضان، فأُودع في السجن نحوًا من ثمانية وعشرين شهرًا، وقيل: نيفًا وثلاثين شهرًا.

ثمَّ أُخرج إلىٰ الضرب بين يدي المُعتصم، وقد كان أحمدُ -وهو في السجن- هو الذي يُصلي في أهل السجن والقيود في رجليه»[1].

ثمَّ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ذِكْرُ ضَرْبِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين يدي المعتصم**: لمَّا أحضره المعتصمُ من السجن، زاد في قيوده.

قال أحمد: فلم أستطع أن أمشي بها، فربطتها في التِّكَّة[2]، وحملتُها بيدي، ثمَّ جاؤوني بدابة، فحُملت عليها، فكدتُ أن أسقط علىٰ وجهي من ثِقل القيود، وليس معي أحدٌ يُمسكني، فسلَّم الله حتىٰ جئنا دار المعتصم، فأُدخلت في بيتٍ، وأُغلق عليَّ، وليس عندي سراجٌ، فأردت الوضوء، فمددت يدي، فإذا إناءٌ فيه ماء، فتوضأت، ثمَّ قمت، ولا أعرف القبلة، فلمَّا أصبحت، فإذا أنا علىٰ القبلة، ولله الحمد، ثمَّ دُعيت فأُدخلت علىٰ المعتصم، فلمَّا نظر إليَّ، وعنده ابن أبي دؤاد؛ قال: أليس قد زعمتم أنَّه حَدَث السن؟ وهذا شيخٌ مُكْهِلٌ!

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٦٤، ٣٦٥).

(٢) **التكة**: رباط السراويل.

فلمَّا دنوت منه، وسلَّمتُ، قال لي: ادْنُه، فلم يزل يُدنيني حتىٰ قربت منه، ثمَّ قال: اجلس.

فجلست، وقد أثقلني الحديد، فمكثت ساعةً، ثمَّ قلت: يا أمير المؤمنين، إلىٰ ما دعا ابنُ عمِّك رسولُ الله ﷺ؟

قال: إلىٰ شهادة أن لا إله إلَّا الله.

قلت: فإني أشهد أن لا إله إلَّا الله.

قال: ثمَّ ذكرتُ حديث ابن عباس في وفد عبد القيس، ثمَّ قلت: فهذا الذي دعا إليه رسول الله ﷺ.

قال: ثمَّ تكلم ابنُ أبي دؤاد بكلامٍ لم أفهمه، وذلك أنِّي لم أتفقه كلامه، ثمَّ قال المعتصم: لولا أنَّك كنت في يد مَن كان قبلي لم أتعرض إليك، ثمَّ قال: يا عبد الرحمن، ألم آمرك أن ترفع المحنة؟

فقلت: الله أكبر! هذا فرجٌ للمسلمين.

ثمَّ قال: ناظِرْه يا عبد الرحمن، كلِّمه.

فقال لي عبد الرحمن: ما تقول في القرآن؟

فلم أجبه، فقال المعتصم: أَجِبْه.

فقلت: ما تقولُ في العلم؟

فسكت.

فقلت: القرآن من علم الله، فمن زعم أنَّ علم الله مخلوقٌ، فقد كفر بالله، فسكت.

فقالوا فيما بينهم: يا أمير المؤمنين، كفَّرك وكفَّرَنا، فلم يلتفت إلىٰ ذلك.

فقال عبد الرحمن: كان اللهُ ولا قرآن.

فقلت: كان الله ولا علم!

فسكت.

فجعلوا يتكلمون من هاهنا، وهاهنا.

فقلت: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئًا من كتاب الله أو سُنَّة رسول الله حتىٰ أقول به.

فقال ابن أبي دؤاد: وأنت لا تقولُ إلَّا بهذا وهذا؟

فقلت: وهل يقوم الإسلامُ إلَّا بهما؟!

وجرت مناظراتٌ طويلةٌ.

واحتجوا عليه بقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء:٢]، وبقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢].

وأجاب بما حاصله: أنَّه عامٌّ مخصوصٌ بقوله[1]: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف:٢٥].

فقال ابن أبي دؤاد: هو -والله- يا أمير المؤمنين ضالٌّ مضلٌّ مبتدعٌ، وهنا قُضاتُك والفقهاءُ، فسَلْهم.

فقال لهم: ما تقولون؟

(١) هكذا في «البداية والنهاية»، والصواب: «بمثل قوله».

فأجابوا بمثل ما قال ابن أبي دؤاد، ثمَّ أحضروه في اليوم الثاني، وناظروه أيضًا في اليوم الثالث، وفي ذلك يعلو صوته عليهم، وتغلب حجتُه حُججهم، فإذا سكتوا، فتح الكلامَ عليهم ابنُ أبي دؤاد، وكان من أجهلهم بالعلم والكلام.

وقد تَنوَّعت بهم المسائل في المجادلة، ولا عِلم لهم بالنقل، وجعلوا ينكرون الآثار، ويردون الاحتجاج بها، وسمعت منهم مقالاتٍ لم أكن أظنُّ أنَّ أحدًا يقولها، وقد تكلم معي ابن غوث بكلامٍ طويلٍ ذَكَر فيه الجسم وغيره بما لا فائدة فيه.

فقلت: لا أدري ما تقول؟ إلَّا أني أعلم أنَّ الله أحدٌ صمدٌ؛ ليس كمثله شيءٌ.

فسكت عني، وقد أوردت لهم حديث الرؤية في الدار الآخرة، فحاولوا أن يضعفوا إسناده، ويُلفِّقوا عن بعض المُحدثين كلامًا يَتسلَّقون به إلىٰ الطعن فيه، وهيهات، وأنَّىٰ لهم التناوش من مكانٍ بعيدٍ.

وفي غضون ذلك كله يتلطف به الخليفة، ويقول: يا أحمد، أَجِبْني حتىٰ أجعلك من خاصَّتي، وممن يَطأ بِساطي.

وأقول: يا أمير المؤمنين، يأتوني بآيةٍ من كتاب الله أو سُنَّة رسول الله ﷺ حتىٰ أجيبهم إليها؟

واحتج أحمد عليهم حين أنكروا الآثار بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢﴾ [مريم:٤٢]، وبقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء:١٦٤]، وبقوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه:١٤]، وبقوله: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠﴾ [النحل:٤٠]، ونحو ذلك من الآيات.

فلمَّا لم يَقم لهم معه حُجَّةٌ- عَدلوا إلىٰ استعمال جاه الخليفة، فقالوا: يا أمير المؤمنين، هذا كافرٌ ضالٌّ مُضِلٌّ.

وقال إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد: يا أمير المؤمنين، ليس من تدبير الخلافة أن تُخلي سبيله، ويَغلب خليفتين.

وعند ذلك حَمي واشتدَّ غضبُه، وكان ألينهم عريكةً، وهو يظنُّ أنَّهم علىٰ شيءٍ.

قال أحمد: فعند ذلك قال لي: لعنك الله، طمعتُ فيك أن تُجيبني فلم تُجبني.

ثمَّ قال: خذوه، واخلعوه، واسحبوه.

قال أحمد: فأُخذت وسُحبت وخلعت، وجيء بالعقابين والسياط، وأنا أنظر، فجردوني، وصرْت بين العقابين، فقلت: يا أمير المؤمنين، الله، الله! إنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يَحِلُّ دَمُ امرئٍ مُسلم يَشهد أن لا إله إلا الله إلَّا**

بإحدىٰ ثلاث»[١]، وتلوتُ الحديث، وأنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أُمِرتُ أن أُقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلَّا الله، فإذا قالوها عَصَموا مني دماءهم وأموالهم**»[٢]، فَبِمَ تَستحلُّ دَمي، ولم آتِ شيئًا من هذا يا أمير المؤمنين؟ اذكر وقوفكَ بين يَدَي الله كوقوفي بين يديك!

وكأنَّه أمسك، ثمَّ لم يزالوا يقولون له: يا أمير المؤمنين، إنَّه ضالٌّ مُضلٌّ كافرٌ.

فأمرني، فقمت بين العقابين، وجيء بكرسيٍّ، فأقمتُ عليه، وأمرني بعضهم أن آخذ بيدي بأي الخشبتين، فلم أفهم، فتخلعت يداي، وجيء بالضرابين ومعهم السياط، فجعل أحدهم يضربني سوطين، ويقول له - يعني: المعتصم: شُدَّ؛ قطع اللهُ يديك!

وجاء الآخر فضربني سوطين، ثمَّ الآخر كذلك، فضربوني أسواطًا، فأغمي عليَّ، وذهب عقلي مرارًا.

فإذا سكن الضربُ - يعود عليَّ عَقْلي.

فقام المعتصم إليَّ يدعوني إلىٰ قولهم، فلم أُجبه، وجعلوا يقولون:

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ١٤٠) (٣٦٤١): عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدىٰ ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المُفارق للجماعة**»، وهو عند البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٤٤٩) (٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو عند البخاري (٣٩٢)، ومسلم (٢١).

وَيْحك! الخليفة علىٰ رأسك.

فلم أقبل، وأعادوا الضرب، ثمَّ عاد إليَّ فلم أجبه، فأعادوا الضرب، ثمَّ جاء إليَّ الثالثة، فدعاني فلم أَعْقل ما قال من شدة الضرب، ثمَّ أعادوا الضرب، فذهب عقلي ولم أحس بالضرب، وأرعبه ذلك من أمري، وأمر بي فأُطلقت، ولم أشعر إلَّا وأنا في حجرةٍ من بيتٍ، وقد أُطلقت القيود من رِجلي، وكان ذلك في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٢٢١هـ.

ثمَّ أمر الخليفةُ بإطلاقه إلىٰ أهله، وكان جملة ما ضرب نيفًا وثلاثين سوطًا، وقيل: ثمانين سوطًا، لكن كان ضربًا مبرحًا شديدًا جدًّا، وقد كان الإمام أحمد رجلًا رقيقًا، أسمر اللون، كثير التواضع رَحِمَهُ اللَّهُ». اهـ[1].



(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٦٨).

١١ - منعه رَحِمَهُ اللَّهُ من التحديث

كنت أعتقدُ أنَّه مُنع من التحديث من دولة ذلك الزمن، وحسب ما قرأت لم أجد ما يدل صراحةً علىٰ ذلك، والذي وجدته أنَّ الإمام أحمد لمَّا عاد إلىٰ بيته بعد الضرب، جلس في بيته؛ فلم يخرج منه لجمعةٍ ولا لجماعةٍ، وامتنع من التحديث.

قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «البداية والنهاية»: «ما كان من أمر الإمام أحمد بعد المحنة حين خرج من دار الخلافة: صار إلىٰ منزله حتىٰ برئ، ولله الحمد، ولَازَمَ منزله، فلا يخرج منه إلىٰ جمعةٍ ولا جماعة، وامتنع من التحديث، وكانت غَلَّتُه من ملْكٍ له في كل شهرٍ سبعة عشر درهمًا ينفقها علىٰ عياله، وتقنَّع بذلك رَحِمَهُ اللَّهُ صابرًا مُحتسبًا، ولم يزل كذلك مُدَّة خلافة المُعتصم، وكذلك في أيام ابنه محمد الوَاثِق»[1].

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٧١).

١٢ - المحنة في عهد الواثق

قال الإمام الذهبي: «قال حنبل: لم يزل أبو عبد الله بعد أن برئ من الضرب يحضر الجمعة والجماعة، ويُحدِّث ويُفتي حتىٰ مات المُعتصمُ، وولي ابنُه الواثق، فأظهر ما أظهر من المحنة؛ والميل إلىٰ أحمد بن أبي دؤاد وأصحابه، فلمَّا اشتدَّ الأمر علىٰ أهل بغداد، وأظهرت القضاةُ المحنةَ، وفرَّق بين فضل الأنماط وبين امرأته، وبين أبي صالح وبين امرأته؛ كان أبو عبد الله ليشهد الجمعة ويُعيد إذا رجع، ويقول: تُؤتىٰ الجمعة لفضلها، والصلاةُ تُعاد خلف من قال بهذه المقالة.

وجاء نفرٌ إلىٰ أبي عبد الله، وقالوا: هذا الأمر قد فَشَا وتَفَاقَم، ونحن نخافه علىٰ أكثر من هذا، وذكروا ابنَ أبي دؤاد، وأنَّه علىٰ أن يَأمر المُعلمين بتعليم الصبيان في المَكاتب: القرآنُ كذا وكذا، فنحن لا نرضىٰ بإمارته، فمنعهم من ذلك وناظرهم، وحكىٰ أحمدُ قصده في مُناظرتهم، وأَمرَهم بالصبر.

قال: فبينا نحن في أيام الواثق، إذ جاءه يعقوب ليلًا برسالةٍ من الأمير إسحاق بن إبراهيم يقول: إنَّ أمير المؤمنين قد ذَكَرَك، فلا يَجتمعنَّ إليك أحدٌ، ولا تساكنِّي بأرضٍ ولا مدينةٍ أنا فيها؛ فاذهب حيث شئْتَ من أرض

الله، فاختفىٰ أبو عبد الله مدة حياة الواثق، وكانت تلك الفتنة، وقُتل أحمدُ بن نَصْر الخُزَاعي، ولم يزل أبو عبد الله مُختفيًا في البيت، لا يخرج إلىٰ صلاةٍ، ولا إلىٰ غيرها حتىٰ هَلَك الواثق»[١].

«وعن أبي عبد الله البوشنجي قال: حدَّث أحمد ببغداد جهرةً، فرجعت من الكوفة، فأدركته في رجب سنة ٢٧٠هـ، يعني ومئتين، وهو يُحدِّث، ثمَّ قطع الحديث لثلاثٍ بقين من شعبان بلا منعٍ؛ بل كتب الحسنُ بن علي بن الجعد قاضي بغداد إلىٰ ابن أبي دؤاد: إنَّ أحمد قد انبسط في الحديث، فبلغ ذلك أحمد، فقطع الحديث إلىٰ أن تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ»[٢].

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٦٣، ٢٦٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٦٥).

١٣- انتهاء المحنة بولاية المتوكل على الله

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال حنبل: ولي المتوكلُ جعفر؛ فأظهر الله السُّنَّة، وفرَّج عن الناس، وكان أبو عبد الله يُحدثنا ويحدث أصحابه في أيام المتوكل، وسمعته يقول: ما كان الناس إلىٰ الحديث والعلم أحوج منهم إليه في زماننا. ثمَّ إنَّ المتوكل ذكره، وكتب إلىٰ إسحاق بن إبراهيم في إخراجه إليه، فجاء رسول إسحاق يأمره بالحضور، فمضىٰ أبو عبد الله، ثمَّ رجع، فسأله أبي عمَّا دُعي له، فقال: قرأ عليَّ كتاب جعفر يأمرني بالخروج إلىٰ العسكر، يعني: سُرَّ مَن رأىٰ.

قال: وقال لي إسحاق بن إبراهيم: ما تقول في القرآن؟

قلت: إنَّ أمير المؤمنين قد نهىٰ عن هذا.

قال أبو عبد الله: وقال لي إسحاق بن إبراهيم: لا تُعْلِمْ أحدًا أنِّي سألتك عن القرآن.

فقلت له: مسألة مُسترشد، أو مسألة مُتعنِّت؟

قال: بل مسترشد.

قلت: القرآنُ كلام الله، ليس بمخلوق».اهـ[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلمَّا ولي المتوكل علىٰ الله الخلافة، استبشر الناس بولايته؛ لأنَّه كان محبًّا للسنة وأهلها، ورفع المحنة عن الإمام، وكتب إلىٰ الآفاق: لا يَتكلم أحدٌ في القول بخلق القرآن، ثمَّ كتب إلىٰ نائبه ببغداد؛ وهو إسحاق بن إبراهيم أن يبعث بأحمد بن حنبل إليه، فاستدعىٰ إسحاق الإمام، فأكرمه وعظَّمه لما يعلم من إعظام الخليفة له وإجلاله إياه، وسأله فيما بينه وبينه عن القرآن! فقال له أحمد: سؤالك هذا سؤال تعنُّتٍ أو استرشادٍ؟ قال: سؤال استرشاد، فقال: هو كلام الله منزلٌ، غير مخلوق، فسكن إلىٰ قوله في ذلك، ثمَّ جهَّزه إلىٰ الخليفة في (سُرَّ مَن رأىٰ)»[٢].

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٦٥).

(٢) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٧١).

١٤- حال الإمام أحمد في دولة المتوكل

قال الإمام الذهبي: «قال صالح بن أحمد: قال أبي: قال لي إسحاق ابن إبراهيم: اجعلني في حِلٍّ من حضوري ضربك!

فقلت: قد جعلتُ كلَّ مَن حضرني في حِلٍّ.

وقال لي: من أين قلتَ: إنَّه غير مخلوق؟

فقلت: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، ففرَّق بين الخلق والأمر.

فقال إسحاق: الأمر مخلوق.

فقال: يا سبحان الله! أمخلوقٌ يخلق مخلوقًا؟!

قلتُ: يعني: إنَّما خلق الكائنات بأمره، وهو قوله: «كن».

قال: ثمَّ قال: عمَّن تحكي أنَّه ليس بمخلوق؟

قلت: عن جعفر بن محمد، قال: ليس بخالقٍ ولا مخلوقٍ.

قال حنبل: ولم يكن عند أبي عبد الله ما يتحمل به أو يُنفقه، وكانت عندي

مئة درهم، فأتيت بها أبي، فذهب بها إليه، فأصلح بها ما احتاج إليه، واكترىٰ[١] وخرج، ولم يمضِ إلىٰ محمد بن إسحاق بن إبراهيم، ولم يسلِّم عليه حين خرج.

وقال إسحاق بن إبراهيم للمتوكل: إنَّ أحمد خرج من بغداد، ولم يأت مولاك محمدًا.

فقال المتوكل: يُردُّ، ولو وَطِئ بِساطي.

وكان أحمد قد بلغ بُصرىٰ[٢] فرُدَّ، فرجع وامتنع من الحديث إلَّا لولده ولنا، وربما قرأ علينا في منزلنا.

ثمَّ إنَّ رافعًا رفع إلىٰ المتوكل أنَّ أحمد ربَّص[٣] عَلَويًّا في منزله، يريد أن يُخرجه ويبايع عليه.

قال: ولم يكن عندنا عِلْمٌ، فبينا نحن ذات ليلة نيامٌ في الصيف سمعنا الجَلَبة، ورأينا النيران في دار أبي عبد الله، فأسرعنا، فإذا به قاعدٌ في إزار، ومظفَّر بن الكلبي صاحب الخبر وجماعةٌ معهم، فقرأ صاحب الخبر كتاب المتوكل: وردَ علىٰ أمير المؤمنين أن عندكم عَلَويًّا ربَّصته؛ لتبايع له وتظهره في كلامٍ طويلٍ.

ثمَّ قال له مظفر: ما تقول؟

(١) أي: استأجر دابةً يُسافر بها، أو استأجر مَن يحمله معه في سفره.

(٢) بصرىٰ المشهورة بالشام، وهذه بصرىٰ أخرىٰ، من قرىٰ بغداد، قرب عُكبرا. انظر «معجم البلدان».

(٣) أي: خبَّأه للوقت المناسب.

قال: ما أعرف من هذا شيئًا، وإنِّي أرىٰ له السمع والطاعة في عُسري ويُسري، ومنشطي ومكرهي، وأثرةٍ عليَّ، وإنِّي لأدعو الله له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار في كلامٍ كثيرٍ.

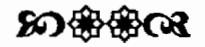
فقال مظفر: قد أَمَرني أمير المؤمنين أن أُحلِّفَك.

قال: فَأَحْلَفه بالطلاق ثلاثًا أنَّ ما عنده طلبة أمير المؤمنين.

ثمَّ فتشوا منزل أبي عبد الله، والسرب، والغرف، والسطوح، وفتشوا تابوت الكتب، وفتشوا النساء والمنازل، فلم يروا شيئًا، ولم يُحسوا بشيءٍ.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ﴾ [الأحزاب:٢٥].

وكتب بذلك إلىٰ المتوكل، فوقع منه موقعًا حسنًا، وعلم أنَّ أبا عبد الله مكذوبٌ عليه، وكان الذي دسَّ عليه رجلٌ من أهل البدع، ولم يَمت حتىٰ بيَّن اللهُ أمره للمسلمين؛ وهو ابن الثَّلْجي»[1].



(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٦٦، ٢٦٧).

١٥- جهاده لأهل البدع

قال الذهبي: «قال محمد بن إسماعيل الترمذي: كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أحمد بن حنبل، فقال له أحمد: يا أبا عبد الله، ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث، فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أبو عبد الله ينفض ثوبه، ويقول: زنديقٌ، زنديقٌ! ودخل البيت»(١).

وقال الذهبي: «قال أحمد بن محمد بن إسماعيل الأدمي: أخبرنا الفضل ابن زياد، سمعت أحمد بن حنبل يقول: مَنْ ردَّ حديث رسول الله ﷺ، فهو علىٰ شفا هَلَكة»(٢).

قال الحاكم: «حدثنا الأصَمُّ، سمعت محمد بن إسحاق الصَّغَاني، سمعت فوران صاحب أحمد يقول: سألني الأثرمُ وأبو عبد الله المعيطي أن أطلب من أبي عبد الله خلوة، فأسأله فيها عن أصحابنا الذين يفرقون بين اللفظ والمحكي؟

فسألته، فقال: كيف تصرف في أقواله وأفعاله، فهو غير مخلوق، فأمَّا أفعالنا فمخلوقة.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٩٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٩٧).

قلت: فاللفظية تُعِدُّهم يا أبا عبد الله في جملة الجهمية.

فقال: لا، الجهمية الذين قالوا: القرآن مخلوق.

وبه قال: وسمعت فوران يقول: جاءني ابن شداد برقعةٍ فيها مسائل، وفيها أنَّ لفظي بالقرآن غير مخلوق، فضرب أحمد بن حنبل علىٰ هذه، وكتب: القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال صالح بن أحمد: سمعت أبي يقول: مَنْ قال: «إنَّ أسماء الله مخلوقة»، فقد كفر.

وقال المروذي: سمعتُ أبا عبد الله يقول: مَنْ تعاطىٰ الكلام لا يُفلح، ومن تعاطىٰ الكلام لم يخل من أن يتجهَّم.

وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: من أحبَّ الكلام لم يُفلح؛ لأنَّه يؤول أمرهم إلىٰ حيرة؛ عليكم بالسُّنَّة والحديث، وإيَّاكم والخوض في الجدل والمراء؛ أدركنا الناس وما يعرفون هذا الكلام، عاقبة الكلام لا تؤول إلىٰ خيرٍ.

وللإمام أحمد كلامٌ كثير في التحذير من البدع وأهلها، وأقوالٌ في السُّنَّة، ومن نظر في كتاب «السُّنَّة» لأبي بكر الخَلَّال، رأىٰ فيه علمًا غزيرًا، ونقلًا كثيرًا، وقد أوردتُ يعني: الذهبي من ذلك جملةً في ترجمة أبي عبد الله في «تأريخ الإسلام»، وفي كتاب «العزة للعلي العظيم»، فتَّرَني عن إعادته هنا عدم النية، فنسأل الله الهدىٰ وحسن القصد، وإلىٰ الإمام أحمد المنتهىٰ في معرفة السُّنَّة علمًا وعملًا، وفي معرفة الحديث وفنونه، ومعرفة الفقه وفروعه، وكان

رأسًا في الزهد والورع والعبادة والصدق»[١].

وقال الذهبي: «قال المروذي: أخبرت أبا عبد الله أنَّ أبا شعيب السوسي الرَّقي فرَّق بين ابنته وزوجها لمَّا وقف في القرآن.

فقال: أحسن؛ عافاه الله، وجعل يدعو له.

ولمَّا أظهر يعقوب بن شيبة الوقف، حذَّر عنه أبو عبد الله، وأمر بهجرانه.

ولأبي عبد الله في مسألة اللفظ نُقُولٌ عِدَّة، فأول من أظهر مسألة اللفظ: حسين بن علي الكرابيسي، وكان من أوعية العلم، ووضع كتابًا في المدلسين يحطُّ فيه علىٰ جماعة، فيه أنَّ ابن الزبير من الخوارج، وفيه أحاديث يقوِّي بها الرافضة، فأُعلم أحمد، فحذَّر منه، فبلغ الكرابيسي، فتنمَّر، وقال: لأقولنَّ مقالةً حتىٰ يقول ابن حنبل بخلافها فيكفر، فقال: لفظي بالقرآن مخلوق.

فقال المروذي في كتاب «القصص»: فذكرت ذلك لأبي عبد الله أنَّ الكرابيسي قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وأنَّه قال: أقول: إنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق من كل الجهات إلَّا أنَّ لفظي به مخلوق، ومن لم يقل: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر. فقال أبو عبد الله: بل هو الكافر، قاتله الله، وأيُّ شيءٍ قالت الجهمية إلَّا هذا، وما ينفعه، وقد نقض كلامه الأخير كلامه الأول، ثمَّ قال: أَيْش خبرُ أبي ثورٍ، أوَافَقه علىٰ هذا؟ قلت: قد هجره. قال:

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٩١، ٢٩٢).

أحسن، لن يفلح أصحاب الكلام».اهـ[١].

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال إسحاق بن إبراهيم البغوي: سمعت أحمد يقول: من قال: «القرآن مخلوق»، فهو كافر، وسمع سلمة بن شبيب أحمد يقول ذلك، وهذا متواتر عنه.

وقال أبو إسماعيل الترمذي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: من قال: القرآن مُحدث؛ فهو كافر.

وقال إسماعيل بن الحسن السرَّاج: سألت أحمد عمَّن يقول: القرآن مخلوق! قال: كافرٌ. ومَن قال: لفظي بالقرآن مخلوق! فقال: جهمي...

قلت القائل: هو الذهبي: الذي استقرَّ الحال عليه أن أبا عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ كان يقول: من قال: «لفظي بالقرآن غير مخلوق»؛ فهو مبتدع.

وأنَّه قال: من قال لفظي: بالقرآن مخلوق فهو جهمي.

فكان رَحِمَهُ اللَّهُ لا يقول هذا، ولا هذا.

وربما أوضح ذلك، فقال: من قال: «لفظي بالقرآن مخلوق»- يريد به القرآن؛ فهو جهمي.

قال أحمد بن زنجويه: سمعت أحمد يقول: «اللفظية شر من الجهمية»[٢].

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٨٩) بتصرفٍ يسيرٍ.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٨٨، ٢٨٩) باختصارٍ.

١٦- وفاته

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مرضُه: قال عبد الله: سمعت أبي يقول: استكملتُ سبعًا وسبعين سنة، ودخلت في ثمان، فحُمَّ من ليلته، ومات اليوم العاشر.

وقال صالح: لمَّا كان أول ربيع الأول من سنة إحدىٰ وأربعين ومئتين حُمَّ أبي ليلة الأربعاء، وبات وهو محموم، يتنفس تنفسًا شديدًا، وكنت قد عرفت عِلَّته، وكنت أُمرِّضه إذا اعتلَّ، فقلت له: يا أبتِ، علىٰ ما أفطرت البارحة؟ قال: علىٰ ماء باقلاء»[1].

قلت: الباقلاء: هو الدجر، في لهجة أهل الجنوب.

فكان الإمام أحمد زاهدًا، لا يَقبل من أحدٍ شيئًا، وكان يعيش علىٰ سبعة عشر درهمًا يأخذها من إيجار البيوت خلَّفها له أبوه، والسبعة عشر درهمًا هي تساوي أربعة ريالات وربع، وكانت أهله تَغزل أحيانًا، وترسل غَزلها للسوق تبيعه بدرهمين أو نحوهما، ولمَّا أُخذت ملابسه وهو بمكة وافتقده بعض أصحابه، فبحث عنه، فإذا هو بخربة لم يستطع أن يخرج، فعَرَض أن يعطيه شيئًا، فأبىٰ، فقال له: قَرْضًا، فأبىٰ، فقال: أنسخ لك السَّمَاعات التي

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٣٤).

سمعناها من فلان، وأخذ منه علىٰ أنَّ ما أعطاه يكون أجرةً في النسخ، ولمَّا نفدت نفقته وهو بصنعاء، فعرض عليه شيخه عبد الرزاق رَحِمَهُ اللَّهُ دنانير، فأبىٰ أن يَقبلها، وأجَّر نفسه من الجمَّالين، والحكايات في زهده وتقشفه كثيرة.

والمهم أنَّه جلس يُمرَّض، وتوفي في ضحىٰ يوم الجمعة ١٢ من ربيع الأول.

قال صالح: «واجتمعت عليه أوجاع الحَصْر[١] وغير ذلك، ولم يزل عقله ثابتًا، فلمَّا كان يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول لساعتين من النهار توفي رَحِمَهُ اللَّهُ»[٢].

وكانت جنازته حافلةً لم يُرَ مثلُها.

قيل: حُزِرَ الذين صلَّوا عليه من الرجال بثمان مئة ألف، ومن النساء بستين ألف امرأة.

وقال الذهبي: «قال موسىٰ بن هارون الحافظ: يقال: إنَّ أحمد لمَّا مات مُسحت الأمكنة المَبْسوطة التي وقف الناس للصلاة عليها، فحزَروا مقادير الناس بالمسَاحة علىٰ التقدير بست مئة ألف أو أكثر، سوىٰ ما كان في الأطراف والحوالي والسطوح والمواضع المتفرقة أكثر من ألف ألف»[٣].

وقال الذهبي أيضًا: «وقال جعفر بن محمد بن حسين النيسابوري: حدثني الفتحُ بن الحَجَّاج، سمعت في دار ابن طاهر الأمير أنَّ الأمير بعث

(١) **الحَصْر**: احتباس الحَدَث في البطن.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٣٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٣٩).

عشرين رجلًا، فحزروا كم صلَّىٰ علىٰ أحمد بن حنبل، فحزروا، فبلغ ألف ألف وثمانين ألفًا سوىٰ مَنْ كان في السفن، فقال: بلغوا ألف ألف، وثلاث مئة ألف.

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت أبا زرعة يقول: بلغني أنَّ المتوكل أمر أن يُمسح الموضع الذي وقف عليه الناس حيث صلِّي علىٰ أحمد، فبلغ مقام ألفي ألف وخمس مئة ألف.

وقال أبو بكر البيهقي: بلغني عن أبي القاسم البغوي: أنَّ ابن طاهر أمر أن يُحزر الخَلق الذين في جنازة أحمد، فاتفقوا علىٰ سبع مئة ألف». اهـ[1].

وأقول: إنَّ بعض الروايات فيها مبالغة، ولعلَّ الرواية الأخيرة التي هي سبع مئة ألف تكون أقرب إلىٰ الصواب، والله أعلم.



(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٤٠).

١٧ - مؤلفاته، ومنهجه في التأليف

قال الذهبي: «قال ابن الجوزي: كان الإمامُ أحمدُ لا يرىٰ وَضْعَ الكتب، وينهىٰ عن كتابة كلامه ومسائله، ولو رأىٰ ذلك لكان له تصانيف كثيرة، وصنَّف «المسند»، وهو ثلاثون ألف حديث»[١].

قلت: كما في الطبعة المرقمة بـ (٢٨١٩٩) حديثًا، وهي طبعة (بيت الأفكار الدولية) للنشر والتوزيع.

واطَّلعنا علىٰ الترقيم في «المُسند» المُحقَّق في خمسةٍ وأربعين جزءًا، فوجدنا أنَّ الرقم الأخير (٢٧٦٤٧) حديثًا بتحقيق شعيب الأرناؤوط ومن معه من المُحققين، وذلك في طبعة مؤسسة (الرسالة).

«وكان الإمام أحمد يقول لابنه عبد الله: احتفظ بهذا المسند، فإنَّه سيكون للناس إمامًا، والتفسير وهو (١٢٠٠٠) ألف حديث، ولكنَّه مفقود، والناسخ والمنسوخ، والتأريخ، وحديث شعبة، والمُقدم والمؤخر في القرآن، وجوابات القرآن، والمناسك الكبير والصغير، وأشياء أخر»[٢].

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٢٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٢٧، ٣٢٨).

وبالجملة: لم يذكر الذهبيُّ ردَّ الإمام أحمد على الجهمية.

«**قلت القائل: هو الإمام الذهبي:** ومن مؤلفاته: كتاب الإيمان، وكتاب الأشربة، ورأيت له ورقة من كتاب الفرائض، وتفسيره المذكور شيءٌ لا وجود له، لو وُجِد لاجتهد الفضلاء في تحصيله، ولاشتهر، ثمَّ لو ألَّف تفسيرًا لما كان أزيد من عشرة آلاف أثر، ولاقتضى أن يكون في خمس مجلدات»[1].



(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٢٨).

١٨ - منهج الإمام أحمد في تأليف «المسند»

□ **التأليف ينقسم إلى أقسام:**

١- **التأليف على الأبواب:** كتأليف صَاحِبيَ «الصحيحين»: البخاري ومسلم، وأصحاب السنن: أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة.

٢- **التأليف على المسانيد:** وهو أن تجمع أحاديث كل واحدٍ من الصحابة في مكانٍ واحد، وهذه طريقة الإمام أحمد في «مسنده».

٣- **التأليف على طريقة المعاجم:** وهو أن يأتي بالأحاديث بحسب معجم شيوخه، والترتيب قد يكون في المسانيد والمعاجم علىٰ حسب الأقدمية في الفضل، أو الأقدمية في السِّن، أو الترتيب علىٰ حروف المعجم.

وإنَّ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ قد رتَّب كتابه «المسند» علىٰ مسانيد الصحابة كعادة أهل المسانيد، وهو أن يجعل حديث كل صحابي علىٰ حدة؛ صحيحًا كان أو حسنًا أو ضعيفًا من غير التفاتٍ إلىٰ الموضوعات والأبواب.

ويُتَّبَع في ترتيب مسانيد الصحابة طرائق عدة:

➢ فقد تُرتب علىٰ حروف الهجاء، أو علىٰ السابقة في الإسلام، أو الشَّرافة النسبية، أو غير ذلك.

➢ وقد يقتصر في بعضها علىٰ أحاديث صحابيٍّ واحد؛ كمسند أبي بكر، أو أحاديث جماعةٍ منهم؛ كمسند الأربعة، أو العشرة، أو طائفة مخصوصة يجمعها وصفٌ واحد؛ كمسند المقِلِّين من الصحابة، ومسند الصحابة الذين نزلوا مصر[١].

ويظهر أنَّ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ قد توخَّى ترتيب الصحابة في «مسنده» حسب اعتباراتٍ عدة:

➢ منها: الأفضلية.

➢ والسابقة في الإسلام.

➢ والشَّرافة النَّسَبية.

➢ وكثرة الرواية.

إذ بدأ مسنده بمسانيد الخلفاء الأربعة، ثمَّ مسانيد بقية العشرة المُبشرين بالجنة، ثمَّ مسند أهل البيت، ثمَّ مسانيد المُكثرين من الرواية؛ كالعبادلة الأربعة: ابن عباسٍ، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثمَّ مسند المكيين، ثمَّ مسند المدنيين، ثمَّ مسند الشاميين، ثمَّ مسند الكوفيين، ثمَّ مسند البصريين، ثمَّ مسند الأنصار، ثمَّ مسند النساء[٢].

(١) انظر «الرسالة المستطرفة» (ص٦٠، ٦١).

(٢) انظر مقدمة «المسند» في (ج١/ ٥٤، ٥٥) بتحقيق شعيب الأرناؤوط ومَن شاركه.

الخاتمة

الحمد لله علىٰ تمام هذه الترجمة لِعَلمٍ من أعلام الملة، وإمامٍ من أئمتها؛ فقد حرصتُ علىٰ أن تكون هذه الترجمة مختصرةً، وإلَّا فإنَّ الكتابات عن الإمام أحمد كثيرةٌ، وقد ترجم الذهبي للإمام أحمد في «سير أعلام النبلاء» في حوالي (١٨٠) صفحة، وخصص بعضهم ترجمته في التأليف، فجاءت مجلدًا مستقلًّا.

وفي النهاية ينبغي أن نتخذ من هذا الإمام الأسوة والقدوة حيث كانت أخلاقه وأعماله تُمثِّل السُّنَّة.

والله الموفق والمعين؛ وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه

كتبها

أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النَّجمي

في ٣/ ٧/ ١٤٢٦هـ



سيرة الإمام البخاري

سيرة الإمام البخاري

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وُلِدَ البخاريُّ عام ١٩٣هـ، وذَهَب بصرُهُ في صغره، فَرَأت أُمُّهُ إبرَاهيمَ الخليلَ يَقُولُ لها: يا هذِهِ، قَد ردَّ الله علىٰ ابنِكِ بَصَره بكَثرة دُعَائك له، فأَصبَحَ وقَد ردَّ الله بَصَره.

كَانَ سريعَ الحِفظِ جدًّا، فقَد ردَّ علىٰ أَحَد مشائخِهِ وهُوَ ابنُ إحدىٰ عشرة سنةً، قال حاشد بن إسماعيل: كَان البخاريُّ يَختلف معنا إلىٰ مَشَائخ البصرة وهُوَ غلامٌ، فَلَا يكتب حتىٰ أتىٰ علىٰ ذَلكَ أيَّامٌ، فَلُمنَاه بعد ستَّة عشر يومًا، فَقَال: قَد أَكثرتُم عليَّ، فاعرضُوا عليَّ ما كَتبتُم. قَالَ: فأَخرَجناه، فَزادَ علىٰ (١٥٠٠٠) خَمسة عشر ألفَ حديثٍ، فَقَرأها كُلَّها عَن ظَهر قلبٍ حتَّىٰ جَعَلنا نُحكم كُتُبنا من حفظِهِ.

وَقَالَ مُحمَّد بن أبي حاتم عَنِ البخاريِّ: «كنتُ فِي مَجلس الفريابي، فَقَالَ: حَدَّثنا سفيان، عَن أبي عُروةَ، عَن أبي الخَطَّاب، عَن أبي حَمزةَ، فلَم يَعرف أحدٌ من الحاضرين مَن فوق سُفيان.

قَالَ: فقلتُ لهم: أبو عُروة مَعمر بن رَاشِد، وأبو الخطَّاب قَتَادة بن دَعَامة،

وأَبُو حَمزة أنس بن مالكٍ، وَكَانَ الثَّوريُّ فَعُولًا لذَلِكَ، يُكنِّي المُشتهرين»[١].

ومِن أَعجَب ما حُكِيَ عَن حفظِهِ: أنَّه لمَّا قدمَ بَغدادَ عَمِلُوا له حَفلَ استِقبالٍ، وعَمَدوا إلىٰ مِئة حديثٍ، فَقَلَبوا أَسَانيدَها، وأَعطَوها لعَشرةٍ، فلمَّا استَقرَّ المجلسُ، قَامَ أوَّل العشرة، فَسَأله عَن أَوَّل حديثٍ، فَقَال: لا أعرفُهُ، ثمَّ الثَّاني، ثمَّ الثَّالث، إلىٰ العاشر، وهُوَ يَقُولُ: لَا أَعرفُهُ، ثمَّ قامَ الرَّجُلُ الثَّاني، وَسَأله كَذَلك، وَقَالَ: لا أعرفُهُ، حتَّىٰ انتهَىٰ العشرة الرِّجال، وهُوَ لَا يزيدُ علىٰ قولِهِ: لَا أعرفُهُ، فلَمَّا رأىٰ أنَّهم قَد انتَهَوا، التفَتَ إِلَىٰ الأَوَّل، فَقَال: قُلت في الحديث الأَوَّل كَذَا، والصَّوَابُ كَذَا حتَّىٰ انتهَىٰ، ثمَّ الرَّجل الثَّاني، ثمَّ الثَّالث...

وضع أبو عبد الله «صحيحه» في المدينة عند قَبر النَّبيِّ ﷺ، وَكَانَ لا يَكتُبُ حديثًا حتَّىٰ يَغتسلَ ويُصلِّي رَكعَتينِ.

وَقَالَ: «أَلَّفتُ كُتُبي ثلاث مَرَّاتٍ»، حَصَل له في آخر عُمُره فتنةٌ، وَسَعىٰ المُغرضونَ بينه وبين شيخِهِ مُحمَّد بن يَحيىٰ الذُّهلي، ونَقَلُوا عَنه أَنَّهُ قَالَ: «لَفظي بالقرآن مخلوقٌ»[٢]، فَوَقعت بَينهما وَحشةٌ، ونَهَىٰ الذُّهليُّ عن مُجَالسة البخاريِّ، وَطَلب مِنهُ وَالِي سَمَرقند أَن يأتي إلىٰ مَنزلِهِ ليُحدِّثه وأبناءَهُ بمُصنَّفاتِهِ، فأبىٰ، وَقَالَ: أنت أميرٌ، امنَعني من التَّحديث حتَّىٰ تكونَ لي عند الله حُجَّة في كَتمِ العِلمِ.

فَنفَاهُ الأميرُ من سمرقند، فَخَرج إلىٰ خرتنك، فمَرِضَ وتُوفِّي بها ليلةَ عيد الأَضحَىٰ من سنة ٢٥٨هـ، وله من العُمُر ٦٢ سنةً، وَثَلاثة عشرَ يومًا.

(١) انظر: «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١/ ٤٧٨).

(٢) انظر: «فتح الباري» (١/ ٤٩٠).

مَزيَّة «صحيح البخاريِّ» علىٰ غَيره من الكُتُب المُصنَّفة في الصَّحيح أو غَيره، ويَظهَرُ ذَلكَ بأُمُورٍ:

أَوَّلها: تَلقِّي الأُمَّة لصحيح البخاريِّ بالقَبُول، وتَقديمُهُ علىٰ «صحيح مسلم».

ثانيها: أَنَّ مَدَار الحديث الصَّحيح علىٰ الاتِّصال، وَإِتقَان الرِّجال، وعَدَم العِلَلِ، وعند التَّأمُّل يَظهر أنَّ «صحيحَ البخاريِّ» أَتقنُ رجالًا، وأَشدُّ اتِّصالًا من «صحيح مسلمٍ»، وتَبيَّن ذَلكَ مما يأتي:

١- أنَّ الرِّجال الَّذين انفَردَ البخاريُّ بالإخرَاج لهم دُونَ مسلمٍ هُم أَربَعُ مئةٍ، وبضعٌ وثَلَاثون رجلًا، المُتكلَّم فِيهِ بالضَّعف منهم ثَمَانون رجلًا.

والَّذينَ انفرَدَ مسلمٌ بالإخرَاج لهم دُونَ البخاريِّ (٦٢٠) رجلًا، والمُتكلَّم فيه بالضَّعف منهم مئةٌ وسِتُّون رجلًا.

٢- أنَّ الرِّجالَ الَّذين تُكُلِّم فيهم عند البخاريِّ لَم يخرج عَنهم إلَّا قليلًا.

أمَّا الَّذين تُكلِّم فيهم عند مسلمٍ فَقَد أخرج عنهم كثيرًا.

٣- أنَّ الَّذينَ تُكُلِّم فيهم عند البخاريِّ أَكثَرُهم من شُيُوخِهِ الَّذين مَارَسهُم، وعَرَف أَحوَالهُم، أَمَّا الَّذين تُكُلِّم فيهم عند مسلمٍ، فأَكثرهُم مِنَ الطَّبقَات العُليا الَّذين لَم يُعَاصرهم، ولَم يَلقَهم.

٤- أمَّا الاتِّصال، فإنَّ مُسلمًا مذهبُهُ أنَّ الحديثَ المُعَنعن حكمُهُ الاتِّصال إذا كان الرَّاوي قَد عَاصَر الرَّاوي عنه، وإن لَم يَثبُت لقاؤه ما لَم يَكُن الرَّاوي مُدلِّسًا، أَمَّا البخاريُّ فَلَا يَقبل ولا يُخرِّج في «صحيحِهِ» إلَّا ما ثَبتَ لقاء الرَّاوي لمَن رَوَىٰ عنه.

٥- أمَّا مَا يَتعلَّق بالعلَّة، فإنَّ الأَحاديثَ الَّتي انتقدت عَلَيهما بَلَغت مِئَتَي حديثٍ، وعَشرة أحاديث اختصَّ البخاريُّ من ذلك بأقلَّ من ثَمَانين، وَالبَاقِي اختصَّ بِهِ مسلمٌ.

ومِن أَجل ما ذُكِرَ، فَقَد ذَهَب أَكثَرُ العُلَماء إِلَىٰ تَقديم البخاريِّ عَلَىٰ مسلمٍ، وهُوَ مَذهبُ المُشَارقة عُمُومًا، أَمَّا المَغَاربةُ، فَقَد ذَهَب الكثيرُ منهم إلىٰ تَقديم مسلمٍ علىٰ البُخَاريِّ.

ولقَد أَحسَنَ مَن قالَ:

تَنـازَع قـومٌ في البخـاريِّ ومُـسلِمٍ ... لَـدَيَّ وقـالوا: أيُّ ذَيـن يُقـدَّمُ

فقُلتُ: لقَـد فَـاقَ البخـاريُّ صِـحَّةً ... كَمَا فَاقَ في حُسن الصِّناعَة مُسلم[1]

ترجمته:

هُوَ مُحمَّد بن إسماعيل بن إبرَاهيم بن المُغِيرَة بن بَردِزبَه الجُعَفي.

مَعنىٰ «بردزبه»: الزُّراع، ونُسِبَ إلىٰ الجُعَفيِّين؛ لأنَّ جدَّه المُغِيرَة أَسلَمَ علىٰ يَد اليَمَان الجعفيِّ، فنُسِبَ إليه عَلَىٰ مَذهب مَن يرىٰ أَنَّ مَن أسلمَ عَلَىٰ يَدِ شخصٍ نُسِبَ إليه بالوَلَاء، ويُسمُّونه: وَلَاءَ إسلامٍ، شَرَط البخاريُّ أَن يكونَ كلُّ واحدٍ مِمَّن يُخرَّج لهم عدلًا، تامَّ الضَّبط، مُتَّصل السَّند، غير معللٍ، ولا شاذٍّ، وأَن يكونَ كلُّ واحدٍ من الرُّواة قَد ثَبتَ لِقَاؤه لشيخه، ولَم يَكتفِ بمُجرَّد المُعَاصرة كَمَا فعل مسلمٌ، فَهو لَا يقبل الحديث المُعَنعن إلَّا ثَبتَ لقاءُ الرَّاوي لمَن رَوَىٰ عنه.

(١) «النور السَّافر عن أخبار القرن العاشر» للعيدروس (١/ ١٠٨).

السَّبب الباعث له علىٰ تَأليف «الجامع الصَّحيح»:

قَالَ: كُنَّا يومًا عند إسحاق بن راهويه، فَقَال: لو أفردتم الصَّحيح من سُنَّةِ رَسُول الله ﷺ. قَالَ: فمِن ثَمَّ وَقَع في نفسي ذَلكَ، وَبَدأت في جَمع الصَّحيح[1].

قَالَ الحافظُ نقلًا عَن ابن الصَّلاح: عَدَدُ أَحَاديث «صحيح البخاري»: (٧٢٧٥) بالأَحَاديث المُكرَّرة[2].

وتَبعَهُ النَّوويُّ وغيرُهُ، وتَعقَّبه الحافظ، فعدَّ جَميعَ الكُتُب والأَحَاديث الَّتي فيها، وَقَالَ في آخِرِ ذَلكَ: «فَجَميعُ ما في الكِتَابِ بالمُكرَّر تسعة آلاف، وَاثنَان وثَمَانون حديثًا، وهذِهِ العدَّة خارج عن المَوقُوفَات والمَقطوعاتِ»[3].

قلت: والعَدَدُ الَّذي في «فَتح الباري»، والَّذي اقتصَرَ علىٰ الأَحَاديث المُسندة دُونَ المَوقوفاتِ والمَقطوعاتِ مُبتدئًا برقم (١)، ومنتهيًا برقم (٧٥٧) حديث أبي هريرة: «**كَلِمَتَان خَفِيفَتانِ عَلَىٰ اللِّسان، ثَقِيلَتانِ في المِيزَانِ**»[4].

وَلَا شكَّ أَنَّ هَذَا العددَ المُسَلسل بالأَرقَام أضبط، أمَّا التعداد الأوَّل فهُوَ عُرضةٌ للسَّهو، والغَلَط، والتَّكرار، أو الإسقَاط، وباللهِ التَّوفيق.

(١) انظر: «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١/ ٧).

(٢) انظر: «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١/ ٤٦٥).

(٣) انظر: «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١/ ٤٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٠٦).

الفتح الرباني
في الدفاع عن الشيخ
محمد ناصر الدين الألباني

الفتح الرباني في الدفاع عن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني[1]

الحَمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلَام علىٰ رَسُول الله، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ.

وبَعد:

فقَد عَرَض عليَّ أخٌ لي في الله ما كَتبَه الدُّكتور مُوسَىٰ الدُّويش في رَدِّه عَلَىٰ كاتب المَجلَّة السَّلفيَّة[2] في كتابتِهِ بعنوان: «من التَّكفِير إلىٰ التَّفجير»، وأنَّ موسىٰ الدُّوَيش قَد تَحَامَل علىٰ الألبانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وظَلَمه بِافتِراءاتٍ هو مِنها بريءٌ.

وقَد رأيتُ أنَّ مِنَ الوَاجبِ عليَّ أن أُدَافعَ عن الألبانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ بالحقِّ، فأَقُول:

(١) ولهذِهِ الرسالة عنوان آخر سَمَّاها الشيخ بقوله: «رد المين والكذب والتهويش الذي لفَّقه علىٰ فضيلة الشيخ الألباني موسىٰ الدويش»، انظر رد شيخنا النجمي علىٰ الشيخ علي حسن الحلبي (٨/ ٤٥٤)، من مجموع مؤلفاته وآثاره رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) والَّتِي أَسَّسَهَا الأَخُ السَّلَفِيُّ الشَّيخ/ موسىٰ بن عبد الله آل عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، في عام ١٤١٥هـ، وهي مجلَّةٌ فصليَّةٌ، تَنشُر البُحُوثَ العِلميَّة والدِّرَاسَات المُعَاصِرة، والتَّراجِم، وهي تَصدُر مِن السُّعودية - الرياض، ص.ب (١٥٥٢٧)، رمز (١١٤٥٤)، والبحث الَّذي هو بعنوان: «مِن التَّكفِير إلىٰ التَّفجِير» موجودٌ في (العدد الثاني) من هذه المجلَّة، وقد صدر في عام ١٤١٧ هـ.

لقد طعَن ذَلِكَ الشَّابُّ المَغرورُ في الشَّيخ الألبانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ بمَطَاعِنَ:

١- مِنها: أنَّه تَكفيريٌّ.

٢- ومِنها: أنَّه له مَطمعٌ سياسيٌّ.

٣- وأنَّه قَلَّد سَيِّد قطب، وشَبَّهه تارةً بـ«حَسَن التُّرابي»، وأنَّه جَعَل نَفسه مع زيني دَحلان، والنَّبهَاني، وغَيرهم من الخُرافيِّين... إلىٰ غَير ذَلِكَ من الاتِّهاماتِ.

فأمَّا الدَّعوىٰ بأنَّ الألبانيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ تكفيريٌّ، يذهب مَذهبَ سَيِّد قطب في التَّكفير!

فأَقُولُ: هَذَا القولُ غير صحيحٍ، بل إنَّ الألبانيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُول: «مَن عَمِلَ عملًا يَقتضي الكفرَ، فإنَّه لا يَجُوزُ أن نَحكمَ عَلَيه بالكُفر حتَّىٰ نَعلمَ أنَّه يَستحلُّه»(١).

ويأخذ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بأثر ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قولِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة:٤٤]، قال: «مَن جَحَد ما أنزل الله، فقَد كَفَر، ومَن أقرَّ به، ولَم يحكم به فهو ظالمٌ فاسقٌ»(٢)، ذكر ذَلِك ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ من طريق عليِّ بن أبي طَلحَة، وعَزَاه إلىٰ ابنِ جَرِيرٍ، وقال: «ثمَّ اختار ابنُ جريرٍ أنَّ المراد بالآية: أهل الكتاب، أَو مَن جَحَد حُكم الله المُنزَّل

(١) انظر «فتنة التكفير» للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (ص١٦).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٥٧).

في الكِتَابِ»[١]، يعني من هَذِهِ الأُمَّة.

وقَد سمعتُ ذَلِكَ من الألبانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ بنَفسي، يقول: «لا يَجُوز أن نُطلقَ حُكمَ الكفر المُخرج من الملَّة علىٰ مَن عمل عملًا يَقتضي الكفر؛ كالحكم بغير ما أنزل الله حتَّىٰ نعلمَ أنَّه يَستحلُّه، فإذا استحلَّه بقلبِهِ، كَفَر، أمَّا الاستحلالُ العمليُّ، فهو فسقٌ، وليس بكُفرٍ مخرجٍ من الملَّة»[٢].

وللألبانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقٌ علىٰ «شرح الطَّحاوية» فقرة: «وَلَا نُكفِّر أحدًا بذنبٍ عَمِلَهُ ما لم يَستحلَّه»:

قال الشَّيخ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ هَذِهِ الفقرة: «قلت: يعني استحلالًا قلبيًّا اعتقاديًّا، وإلَّا فكلُّ مذنبٍ مستحلٍّ لذنبِهِ عمليًّا، أي: مرتكب له، ولذَلِكَ لا بُدَّ من التَّفريقِ بَينَ المُستحلِّ عملًا لا اعتقادًا، فهو مُذنبٌ يستحقُّ العذابَ اللَّائقَ به إلَّا أَن يغفرَ الله له، ثمَّ ينجيه بإيمانِهِ خلافًا للخَوَارج والمعتزلة الَّذين يَحكمون عليه بالخُلُود في النَّار، وإن اختَلفوا في تَسميتِهِ كافرًا، أو منافقًا، وقَد نَبتَت نابتةٌ جديدةٌ اتَّبعوا هؤلاء في تَكفيرهم جَمَاهيرَ المُسلمين؛ رؤوسًا ومرؤوسين، اجتمعت بطوائف منهم في سوريا، ومكَّة، وغيرها...»، إلخ.

ويقول: «وَلَهُم شُبُهات الخَوَارج مثل النُّصُوص الَّتي فيها: مَن فَعَل كذا فقَد كَفَر...»، إلخ، ثمَّ ذكر قوله: «وهنا أمرٌ يجب أن يُتفطَّنَ له، وهو أنَّ

(١) انظر «تفسير ابن كثير» (٣/ ١١٩).

(٢) هذَا سَمِعتُه من شريط.

الحكم بغَير ما أنزلَ اللهُ قَد يكون كفرًا يَنقل عن المِلَّةِ، وقَد يكون مَعصيةً؛ كبيرةً أو صغيرةً...»، إلىٰ آخر ما قال[1]، وهَذَا ما كَتبَه قبل حوالي (٣٠) عامًا، وهو عليه إلىٰ الآن. انظر رسالة: «التَّحذير من الوُقُوع في التَّكفير» للعريني (ص٢٤)، وبذَلِكَ يَتبيَّن كذبُ هَذَا المُدَّعي، وبُهتُهُ، هداه الله.

وأمَّا قولُهُ بأنَّ الألبانيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَلَّد سَيِّد قطب حين نقل عنه في مُقدِّمته «مختصر العُلو» للذَّهبي (ص٦١): «نَحن اليَوم في جَاهليَّةٍ كالجَاهليَّة الَّتي عَاصَرها الإسلامُ، أو أَظلم، كلُّ ما حولنا جَاهليَّةٌ؛ تَصوُّرات النَّاس، وعَقَائدهم، وعَادَاتهم، وتَقَاليدهم، ومَوَارد ثَقَافتهم، وفُنُونهم، وآدَابهم، وشَرَائعهم حتَّىٰ الكثير مِمَّا نحسبُهُ ثقافةً إسلاميَّةً، ومراجع إسلاميَّةً»:

وأقول: إنَّ القولَ بأنَّ «الألبانيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَابَعَ سَيِّدَ قُطب»: قولٌ باطلٌ، وبُهتٌ وكذبٌ، وأنَّ الكَاتِبَ -هَدَاه اللهُ- أَخَذ هَذِهِ الجُمَلَ مقطوعةً، وحَكَم بمُقتَضاها علىٰ الألبانيِّ أنَّه تابعَ سَيِّد قطب حين نَقَلها، ولَم يردَّ عليها، ولَستُ أَدري ما هي الدَّوافعُ إلىٰ تَلويثِ عِرضِ رَجُلٍ مَلَأت مُؤلَّفاتُهُ الَّتي خَدَم بها السُّنَّة النَّبويَّة المَكَاتبَ، فمَيَّز بَينَ صَحِيحِها وسقيمها، وحَبَس نفسه علىٰ ذَلِكَ ما يَزِيدُ علىٰ خَمْسين سنةً، وظَهَر ذَلِكَ في مُجلَّداتٍ كثيرةٍ، أَيُمكن أنَّ هَذَا الرَّجل الَّذي خَدَم السُّنَّةَ خدمةً لم يَسبق لها مثيلٌ، والَّذي نَعتقد أنَّه من أَفضل العُلَماءِ الَّذين جَاهَدوا في نَشر الدِّين (دين الحقِّ)، ولا نُزكِّيه علىٰ الله، ولا نَعتقد العِصمَةَ لَه، ولا لأحدٍ غَيره من أَهل العِلم مَهما عَلَا كعبُهُ، وعظم

(١) انظر: «تخريج الطحاوية» للألبانيِّ (ص٦٠).

قدرُهُ بَين المُؤمِنِينَ، فالنَّقصُ البشريُّ ملازمٌ لكلِّ مَخلوقٍ مَهما بَلَغ في العِلمِ[١].

ثانيًا: أنَّ الألبانيَّ رَحِمَهُ اللهُ حِينَ نقل هَذَا النَّقلَ كان يريد أن يردَّ به علىٰ وَضعٍ خاصٍّ، واعتقادٍ سَادَ في بَعض المُجتمعاتِ، ومَن قرأ المُقدِّمة الَّتي كَتبَها الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ لكتاب «مُختصر العلو» للذَّهبيِّ، عرف ذَلِكَ، وممَّا يدلُّ علىٰ ذَلِكَ قولُهُ في (ص٥٣، ٥٤) في الرَّدِّ علىٰ مَن أنكر العلوَّ لله تَعَالىٰ، **وبيَّنَ أنَّهم قِسمانِ**:

- **قسمٌ قالوا**: إنَّه في كلِّ مكانٍ.
- **وقسمٌ آخر قالوا**: لا فَوقَ، ولا تَحتَ، ولا يَمِين، ولا يَسَار، ولا أَمَام، ولا خَلفَ، ولا دَاخِلَ العَالَم، ولا خَارِجَه.

قال: «وَيَزِيد بَعضُهُم: ولا مُتَّصلًا بالعالم، ولا مُنفصلًا عنه...».

إلىٰ أن قال: «ومِمَّا يُؤسَف لـه شديد الأسف أنَّ المذهبَ الأَوَّلَ منهما هو السَّائد اليوم علىٰ أَلسِنَةِ النَّاس في هَذِهِ البلاد[٢]؛ عَامَّتهم، وخَاصَّتهم، فما تكاد تَجلس في مجلسٍ يُذكر الله فيه إلَّا بَادَرَك بعض الجَالِسِينَ بقولِهِ: اللهُ موجودٌ في كلِّ مكانٍ، وقَد يقول آخر: الله موجودٌ في كلِّ الوُجُود، فإذا سارعتَ إلىٰ بَيَان بُطلانِ هَذَا الكَلَام لما فيه من نسبةِ ما لا يَجُوزُ إلىٰ الله من كونِهِ مَظروفًا

(١) **وتتمة الكلام**: أيُمكن أنَّ هذا الرَّجل [يفعل هذا].

(٢) قطعًا يقصد بلاده سوريا. النَّجمي.

لخلقِهِ، وما فيه من المُخَالفةِ لصِفَةِ عُلوِّه علىٰ عرشِهِ، سَارَعَ بعضُ المُتَعالِمِينَ إلىٰ تَأويل ذَلِكَ القول بضَمِّ جُملة: «بعلمه» إليه، كأنَّما هو آيةٌ من كتاب الله، أو حديثٌ عن رسول الله ﷺ لا بدَّ من تأويلِهِ».

قلتُ: إنَّما وَقَع النَّاس فيما وَقَعوا فيه بسبب التَّأويلات البَاطِلَةِ للكتاب والسُّنَّة، والإعراض عن فَهم السَّلَف.

ثمَّ قال: «وَلَم يَدرِ هؤلاء المساكين أنَّها كلمةُ الجهميَّة، والمعتزلة، وعَقِيدَتهم، فإذَا سمعتَ تَأويلَهم إيَّاه بقَولِهِم: «بعلمِهِ» ظَننتَ خيرًا، ولكن سَرعان ما يَخِيبُ ظَنُّك حينما توجه السُّؤال المَوروث عن النَّبيِّ ﷺ المَعصُوم الكَاشِفِ عن إيمان المرءِ، أو مَبلغ معرفتِهِ بالله تعالىٰ، أو العكس، ألا وهو قولُهُ للجارية: «**أين الله؟**». قالت: في السَّماء. قال: «**من أنا؟**». قالت: أنت رسول الله. قال: «**أعتِقهَا؛ فَإنَّهَا مُؤمِنةٌ**»[1].

قال: فأَنتَ إذا وَجَّهتَ مِثلَ هَذَا السُّؤال إلىٰ العامَّة والخاصَّة، وَجَدتهم يُحَملقونَ بأَعينهم مُستنكرينَ إيَّاه؛ جَاهِلِينَ أو مُتَجاهلينَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ هو الَّذي سَنَّهُ لَنَا».

ثمَّ استمرَّ -جزاه الله خيرًا- في كلامٍ طويلٍ إلىٰ أن قال: «ألا ترىٰ إلىٰ ذَلِكَ الدُّكتور الَّذي قال في مُقدِّمة رسالته: «باطن الإثم»، وهو يَرسم للمُسلمينَ المُتفرِّقين المُتَدابِرينَ الدَّواء بزَعمِهِ: وما أظنُّ إلَّا أنَّنا جميعًا مؤمنون بالله إلهًا

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

واحدًا لا شريك له، بيده الخير والملك، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ».

قال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «نَعَم، نَحن مُؤمنُونَ بالله، وَلَكن إِيمَانُ المُؤمِنِينَ يَختلف أشدَّ الاختِلَافِ، وما نَحنُ فيه من صِفَةِ العُلوِّ أَوضَح مثالٍ».

ثمَّ استمرَّ في كلامٍ طويلٍ من ضمنه كلام سَيِّد قطب، وقَصَد به الرَّدَّ علىٰ ذَلِكَ الدُّكتور الَّذي زَعَم أنَّ النَّاس لا يَحتاجون إلىٰ بيان العقيدة؛ لأنَّهم كُلَّهم مُؤمِنونَ بالله، وإنَّما مُشكلتهم في الفَسَاد الخُلُقيِّ».

ثمَّ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبِاختِصَارٍ، فسواءٌ كنتَ معنا أو ضدَّنا في هَذِهِ العقيدة، فكُلٌّ من الطَّائِفتينِ يُمثِّل مَلَايين المُسلمينَ منذ مئات السِّنين حتَّىٰ اليوم، وفي الطَّائفة الَّتي تؤمن بالسُّؤال والجواب الوارد في الحديث المُشَار إليه آنفًا شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه المُحقِّق ابن قَيِّم الجوزيَّة، وجميع إخواننا الحنابلة اليوم الَّذين هُم من أتباع الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وكلٌّ من الطَّائفتين هُم -بلا شكٍّ- يَشملُهُم ظنُّك الواسعُ الَّذي عَبَّرتَ عنه بقَولك في الرِّسالة السَّابقة (ص٩): «وما أظنُّ إلَّا أنَّنا جميعًا مُؤمِنُونَ بالله إلهًا واحدًا لا شريك لـه، بيدِهِ الخير، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ».

وقال (أي: الألباني): «وأَمَّا أنا، فأقول: إنَّ كلًّا من الطَّرَفين إذا تَمسَّك بالآداب الإسلاميَّة سَيَقول بلسانِ حالِهِ أو مقالِهِ للطَّائفة المُخَالفة: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ:٢٤]، والدُّكتور يَعلم فيما أعتقد أنَّ إِحدَىٰ الطَّائفتين أيًّا كانت فَهِيَ علىٰ ضَلَالةٍ، ولَيسَ هِيَ بلا شكٍّ من حيث الخُلق، وإنَّما من جهة الفِكرَةِ والعَقِيدَةِ، وكلٌّ من الطَّائفتين يُمثِّل

مَلَايين المُسلمينَ اليَوم في هَذِهِ المسألة، وغيرها من مَسَائل الاعتقاد؛ أَفَليسَ هؤلاء المُختلفونَ بحَاجَةٍ إلىٰ الدِّراسات الفكريَّة؟».اهـ

هَذَا ما أردتُ نَقله، والمقصود بـ«الفكريَّة»، أي: العَقَائديَّة.

وقَد تَبيَّنَ من هَذِهِ الدِّراسة أنَّ المُجتمعاتِ الجاهليَّة هي الَّتي أَشَار إليها، بل بَينها في (ص٥٤) بقولِهِ: «ومِمَّا يُؤسَف له أشدَّ الأسف...»، إلخ.

ثالثًا: أَنَّ نَقل الألبانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ لكلام سَيِّد قطب يَقصد به الاحتِجَاجَ علىٰ مَن يَقُول من الدَّكَاترة أنَّ النَّاس ليسوا بحَاجةٍ إلىٰ العقيدة، وإنَّما هم بِحَاجةٍ إلىٰ الأَخلاقِ، حَيث قال في أوَّل (ص٦٤)[1]: «لَيسَ بالمُسلمينَ حاجةٌ بَعد اليوم إلىٰ مزيدٍ من هَذِهِ الدِّراسات الفكريَّة، فالمُسلمونَ عَلَىٰ اختلاف ثَقَافاتِهم أَصبَحوا يَملكُونَ من الوَعي في هَذِهِ النَّوَاحي ما يُتِيحُ لهم الحَصَانةَ الكافيةَ، وإنَّما هُم بِحَاجةٍ بَعد اليوم إلىٰ القوَّةِ الهائلةِ الَّتي تَدفع إلىٰ التَّنفيذِ، وهَيهَاتَ أن يكونَ بِيَدِ الفِكرِ، أو العَقل وَحده، والقوَّة الهَائلة الَّتي يَحتاجونها، إنَّما هي قوَّة الأَخلاقِ».

قلتُ[2]: وهَذِهِ الطَّريقةُ طريقةُ جماعةٍ من الحِزبيِّينَ مَعروفين، وهم الإخوان المُسلمونَ يُركِّزون علىٰ علاجِ الفَسَادِ الخُلُقيِّ، ويُهملونَ العقيدة، بل وَيَكُونونَ خَصمًا لمَن بَيَّنها، أو أراد الإنكارَ عليهم، أو عَلَىٰ غَيرهم فيها.

(١) أي: الدكتور صاحب كتاب: «باطن الإثم».

(٢) أي: شيخنا النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

رابعًا: أنَّ وَصفَ المُجتمعِ أو المُجتمعاتِ بأنَّها جَاهليَّةٌ لا يُخرجهم من الإسلامِ، ولا يُعَدُّ تكفيرًا لتلك المُجتمعاتِ الَّتي وُصِفت بهَذَا الوصف؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لأبي ذرٍّ حين قال لبلال: يابنَ السَّوداءِ! قال له: «**إنَّك امرؤٌ فيكَ جَاهليَّةٌ**»(١)، ولَم يكن ذَلِكَ تكفيرًا له، أمَّا سَيِّد قطب فلعلَّه قَصَد بها التَّكفيرَ؛ لأنَّ ذَلِكَ معروفٌ عَنه(٢).

خامسًا: أنَّ الألبانيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَد عدَّ ابنَ تيمية، وابنَ القيِّم، والحَنَابلةَ جميعًا؛ وَأَتْبَاع الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب- عَدَّهم جميعًا من الطَّائفة الَّتي تُؤمن بعُلُوِّ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ خَلقِهِ، وتُؤمن بالسُّؤال الَّذي سأله النَّبيُّ ﷺ تِلكَ الجارية، فقال لها: «**أين الله؟**». قالت: في السَّماء. قال: «**مَن أَنَا؟**». قالت: أنت رسول الله. قال: «**أَعتِقهَا؛ فَإِنَّها مُؤمِنَةٌ**»(٣)، فأَخرجَهم من المُجتمعاتِ الجاهليَّة، وبَيَّن أنَّهم من أَهل الحقِّ.

سادسًا: يَجب علىٰ كلِّ مَن ينقل عن شخصٍ نقلًا ليُبيِّن ما عنده من فِكرٍ وعَقِيدةٍ أن يستوعبَ النَّقلَ، وألَّا يَبترَه؛ فإنَّ البَترَ طريقةُ أَهلِ البِدَعِ، والَّذين لهم مقاصدُ سَيِّئةٌ.

(١) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١) من حديث المعرور بن سويد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وذلك كقول سَيِّد قطب في تفسيره «في ظلال القرآن الكريم» (٢/ ١٠٥٧): «ارتَدَّت البَشَريَّةُ إلَىٰ عِبَادَةِ العِبَادِ، وإلَىٰ جَورِ الأَديَان، ونَكَصَت عن «لَا إِلَهَ إِلَّا الله»، وإن ظَلَّ فَريقٌ منهَا يُرَدِّدُ في المَآذِن: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله».اهـ. ويقول أيضًا في «الظلال» (٣/ ١٦٣٤): «إنَّ المُسلِمِينَ اليَومَ لَا يُجَاهِدُونَ، ذَلِكَ أنَّ المُسلِمِين اليَومَ لَا يُوجَدُونَ، إنَّ قَضِيَّة وُجُودِ الإسلَام وَوُجُودِ المُسلِمِينَ هِيَ الَّتِي تَحتَاجُ إلَىٰ عِلَاج».اهـ

(٣) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث مُعَاوية بن الحكم السُّلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سابعًا: أُذَكِّر الدُّكتور[١] بما وَرَد في الحديث الَّذي رَوَاه الطَّبرانيُّ في «الكبير»، و«الأوسط» من طريق ابن عمر؛ قال الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد»: «رِجَالُهما رجالُ الصَّحيح إلَّا مُحمَّد بن منصور الطُّوسِي، وهو ثقةٌ»، بلفظ: «**ومَن بَهَتَ مؤمنًا أو مُؤمنةً، حَبَسهُ الله في رَدغة الخَبَال[٢] يوم القيامة حتَّىٰ يخرج مِمَّا قال، ولَيسَ بخارجٍ**». «مجمع الزَّوائد» (١٠/ ٩١)[٣].

وفي القرطبي (١٦/ ٣٣٨): «**ومَن بَهَتَ مؤمنًا أو مؤمنةً بِمَا ليس فيه، حَبسَه الله في طِينَةِ الخَبَالِ**»[٤]، ولَم يَعزُهُ.

ثامنًا: وأمَّا القول بأنَّ «الألبانيَّ له اتِّجاهٌ سياسيٌّ»:

ما أَرَىٰ إلَّا أنَّ هَذِهِ فِريَةٌ لَيسَت بأقلَّ من سَابِقَتِها، فالَّذي قَضَىٰ عُمُره الطَّويل في المكتبات الشَّرعيَّة، وبَينَ رُفُوف كُتُب الحَدِيثِ، والعقيدة، باحثًا ومُدوِّنًا، ومُؤلِّفًا للأجيال، ومُنقِّيًا للسُّنَّة مِمَّا عَلَق بها، أو بالأَحرىٰ ما أُدخِلَ فيها من أَحَاديثَ مَوضوعةٍ وضعافٍ؛ ضَحَّىٰ براحتِهِ، ونَومِهِ، ولَذَّتِهِ، ووقتِهِ، وبذَلَ نَفسه ونفيسه حتَّىٰ أَخرج لأُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ كُتُبًا عظيمةَ النَّفع، وأَصبح عُمُره علىٰ مَشَارف التِّسعين، أو يزيد عليها، يَأتي مُغرِضٌ، فيقول: إنَّ له

(١) أي: موسىٰ الدُّويش.

(٢) **ردغة الخبال**: الشيءُ المُختَلط مِن صَدِيد أهل النار.

(٣) أخرجه الطبرانيُّ في «المعجم الكبير» (١٣٤٦٩)، و«المعجم الأوسط» (٦٤٩١)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» (٤٣٧).

(٤) أورده القرطبيُّ في «تفسيره» (١٦/ ٣٣٨)، ولم يَعزُه، وأخرج أبو داود نحوه (٣٥٩٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٤٥).

مَطمعًا سِيَاسيًّا من أَجل كلمةٍ أو كلماتٍ قَالَها لها احتمالاتٌ من أَوجه الخير، هَذَا -واللهِ- الظُّلمُ والبُهتُ.

اللَّهمَّ إنِّي أبرأ إليك من هَذَا الظُّلمِ والبُهتِ؛ وأنا وإن كنتُ لا أَدَّعي للشَّيخ الألبانيِّ العصمةَ من الخطإ في اجتهادِهِ؛ سواءً كان ذَلِكَ في فقهِهِ، أو في حكمِهِ علىٰ الأَحَاديثِ، وهو في ذَلِكَ كأيِّ مُجتهدٍ غيره، إن أصاب فله أَجران، وإن أخطأَ فلَهُ أجرٌ واحدٌ[1]، وقَد تَحصُلُ منه اجتهاداتٌ يشذُّ بها، وكلٌّ يُؤخَذ من قولِهِ ويُرَدُّ إلَّا رسول الله ﷺ[2].

وأمَّا قولُهُ[3]: «لِيأخذ المُسلمونَ طريقةَ البدء بإقامة الدَّولة الإسلاميَّة في أَرضٍ من أراضي الله الواسِعَة»[4].

وأقول: إن صحَّ، فهُوَ يعني في أَرضٍ من أراضي الله الوَاسِعَة الَّتي لا يُقَام فيها دين الله، ولا يحكم فيها بتَشريعِهِ، ولا يظهر فيها دينُهُ، وكَم من أراضٍ وبُلدانٍ لله لا يُذكر فيها اسمُهُ، ولا يظهر فيها دينُهُ، ولا يُحكم فيها بشَرعِهِ إلَّا أنِّي أقول: إنَّ الدَّعوة أوَّل ما تكون إلىٰ التَّوحيد، كما أَمَر الله كلَّ رسولٍ في

(١) يشير الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ ما أخرجه أبو داود (٣٥٧٤)، وابن ماجة (٢٣١٤) عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر**»، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجة» (١٨٧٢).

(٢) قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في «**القراءة خلف الإمام**» (ص٢١٣): «قال ابن عباس ومجاهد: ليس أحدٌ بعد رسول الله ﷺ إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ».

(٣) أي: الإمام الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) كما نقل عنه الدكتور موسىٰ الدويش من شريط، وعقب عليه في (ص١١) من كتاب «باطن الإثم».

قولِهِ جلَّ من قائلٍ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

فكلُّ رسولٍ يُرسلُهُ الله إلىٰ أَهل الأرض يُؤمَر أن يَبدأ بالدَّعوة إلىٰ التَّوحيدِ، وكذَلِكَ يَنبغي لكلِّ داعٍ أن يَدعو إلىٰ التَّوحيد قبل كلِّ شيءٍ، وتَحكيم شَرع الله، فإذا اجتمَعَ معه جماعةٌ يُمكنهم أن يُكوِّنوا دولةً، ولَم يَكُونوا في دولةٍ مسلمةٍ، اتَّجه عليهم أَن يُكوِّنوا دولةً إِن أمكن، أمَّا إِن لَم يمكن، فإنَّه يجب عَلَيهم أَن يَستمرُّوا في الدَّعوة، ويَصبروا حتَّىٰ يَحكمَ اللهُ بَينهم وبَينَ عَدُوِّهم، وإِن كانوا في دولةٍ مسلمةٍ تُعِينُ علىٰ الدَّعوة إلىٰ الله، فَليَحمدُوا اللهَ، ويَستمرُّوا في إِصلَاحِها، والتَّعاون مَعَ القَائِمِينَ عليها.

وإِن كانوا في دَولةٍ مُسلمةٍ إلَّا أنَّها لا تَتعَاونُ مع الدُّعاة، ولا تَنصر الدَّعوةَ، فعَلَيهم أن يَستمرُّوا في الدَّعوة، ويَصبروا علىٰ ما يَحصل لهم حتَّىٰ يَحكُمَ اللهُ، وهو خَيرُ الحَاكِمِينَ.

والمهمُّ: أنَّ هَذَا التَّصريحَ قَد يُفهم منه مَفهومٌ غير صحيحٍ؛ وهو أَن يكون البدءُ بالدَّعوة إلىٰ إِقَامةِ دولةٍ، وهَذِهِ طريقةُ الحِزبيِّينَ الَّذين لا يَفهمُونَ دَعوة الرُّسُل صلوات الله وسلامه عليهم، والَّذي نَعتقدُهُ أنَّ الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لا يَقصد ذَلِكَ، أو أنَّه قَد حُذِف من الشَّريط ما يدلُّ علىٰ هَذَا المَعنىٰ.

وأخيرًا أقول: إِنَّ هَذِهِ الجملةَ ليس فيها إدانةٌ للشَّيخ الألبانيِّ أنَّه يُبيِّتُ للدَّولة شرًّا، ولَو كان الألبانيُّ له رغبةٌ في السِّياسة، واتِّجاهٌ إليها، لكان قَد ظَهَرت منه بوادرُ في بلادِهِ الَّتي يَسكنها.

وأمَّا تَبرير هَذَا الاتِّهام (أي: أنَّ له مَطمعًا سياسيًّا) بأَنَّ حَرَكةَ المهديِّ المَزعوم الَّتي اقتحَمَتِ المَسجدَ الحرام في مَطلع هَذَا القرن، وقَتلَتِ الرُّكَّعَ السُّجودَ بَين جَنبَات الكَعبة المُشرَّفة فرعٌ عَن دَعوة الألبانيِّ، كما في (ص٢١) من التَّعقيبِ[1].

وأقول: لا شَكَّ أنَّ حركةَ من سُمِّي بالمهديِّ، والَّتي اقتحَمَتِ الحرمَ المكِّيَّ في مَطلع القرن الخَامس عشر ظالمةٌ جائرةٌ، أَتَىٰ أَصحابُها منكرًا عظيمًا، فسَفَكوا الدِّماءَ المَعصومةَ، وأَزهَقوا الأرواحَ البريئةَ، وخَرَجوا علىٰ السُّلطانِ المُسلمِ في حَرَم الله الآمن؛ فَاستَحقُّوا بذَلِكَ الوَعِيدَاتِ المُترتِّبةَ علىٰ ذَلِكَ كُلِّه، وقَد نَصَر اللهُ عَلَيهم، ولَقوا جَزَاءَهم في الدُّنيا، وأَمرُهُم في الآخرة بَين يدي الله أصعب فيما نظنُّ؛ ولكن تَحميل الشَّيخ الألبانيِّ بشيءٍ من تَبِعَةِ ذَلِك الإثم بِدُونِ دليلٍ واضحٍ يُدَان به المُتَّهم، أمرٌ صعبٌ أيضًا، وسَيَكُونُ إثمُهُ عند الله أصعبَ.

فإن قيل: قَد كَانَ بَعضُهُم[2] من طُلَّابِهِ.

فأقول:

[**أولاً:**] لَيسَ مَن تتلمذ علىٰ شيخٍ، ثمَّ أَحدَثَ حدثًا، يكون شيخُهُ مسؤولًا عن ذَلِكَ الحَدَث، وقَد خَرَج من حلقة الحَسَن البصريِّ واصلُ بن عطاءٍ، وعمرو بن عُبَيد اللَّذان أَسَّسا عقيدة الاعتزال، ولَم يَعتِب أحدٌ من السَّلف

(١) أي: من تعقيب الدكتور موسىٰ الدُّويش علىٰ الشَّريط.

(٢) أي: من بعض الذين اقتحموا الحرم المكي من حركة ما يسمىٰ بالمهدي.

الأحياء في ذَلِكَ الزَّمن علىٰ الحَسَنِ البصريِّ، ويَزعم أنَّه شريكهم، علمًا بأَنَّ أَعراضَ المُسلمينَ حِمًىٰ إلَّا بحقٍّ واضحٍ، وبالأخصِّ العُلَماء الَّذين قَدَّموا للإسلام والمُسلمينَ خدماتٍ جُلَّىٰ، وبالله التَّوفيق.

وأَمَّا تَصريحات الشَّيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ، ونَيله من أَهلِ الحلِّ والعقدِ في المملكة، وعَلَىٰ رَأسِهم خادم الحَرَمين الشَّريفين حفظه الله ورَعَاه، فهَذَا منكرٌ نَستنكرُهُ، ونُنكرُهُ عَلَيه أشدَّ الإنكَارِ، ونَرَىٰ أنَّه يَخدش في سَلفيَّتِهِ، وإن كَانَ هو يشكر علىٰ نَشرِهِ للسُّنَّة بَينَ أَوكَارِ الرَّفض والتَّشيُّع إلَّا أنَّ تَصريحاتِهِ في ذَلِك الكتاب الَّذي سَمَّاه: «المَخرج من الفتنة»، ولَم نَره، ولا نريد أَن نَرَاه، والَّذي ثَارَت فيه ثائرةُ حقدِهِ علىٰ الدَّولة السُّعوديَّة (دَولة التَّوحيد)، والَّتي يُحكَّم فيها شَرع الله، ويُحكم به في مَحَاكِمِها، ويُدرَّسُ التَّوحيدُ في مَدَارسها ومَعَاهدِهَا، وجَامِعَاتِها، ولَيسَ فيها مشاهدُ تُزَارُ، وَلَا أضرحةٌ تُعبد، الأمرُ الَّذي اختُصَّت به دُونَ غيرها من الدُّول الَّتي تَنتمي إلىٰ الإسلامِ، ولَسنا نَدَّعي لها العِصمةَ، وكان الشَّيخ مقبل قَد فَعَل في ذَلِكَ ما فَعَل غيره مِمَّنِ استغلُّوا أَحقادَهم في النَّيل من هَذِهِ الدَّولة المُسلمةِ المُوحِّدة؛ كالمسعَري، ومُحمَّد سرور، وأمثالهم.

ولقَد كان الأَولَىٰ به -وهو صَاحِبُ حديثٍ، وهُوَ مِمَّن يَنتهجُونَ المنهجَ السَّلفيَّ، ويَعتقدونَ عقيدةَ أَهل السُّنَّة والجَمَاعة- أَلَّا تذهبَ به الأحقادُ كلَّ مَذهبٍ، وتُخرجُهُ من السَّلفيَّة إلىٰ العَصبيَّة المُنتنة، وتَنأىٰ به عن عَقِيدَةِ أَهل السُّنَّة والجماعة، ولَعلَّنا نرىٰ له كتابًا يُنَاقض ذَلِك الكتابَ، ويَعتذرُ فيه عَمَّا

صَدَر منه في الأوَّل، غَفَر الله لنا وله، وردَّه إلىٰ الحقِّ ردًّا جميلًا.

وقَد أَرَادَ اللهُ -جلَّ شأنُهُ- أن يَبتليَ هَذَا الرَّجل، وهو الشَّيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ، أرادَ اللهُ أن يُبتلىٰ بمرضٍ، فسَعَىٰ بَعضُ العُلَماءِ من أَهل الخَير عند الدَّولة[1] في استقدامِهِ إليها، وعلاجه فيها، فقَدِمَ إلىٰ المَملكة وهو مريضٌ، ومَعَه جميع أُسرتِهِ، فَاستقبلَتهُ الدَّولة استقبالَ الكُرَماءِ، فأَكرَمتهُ إكرامًا مُنْقَطع النَّظير، أسكنوه في سَكَنٍ يليق بأمثالِهِ، وأَغدَقوا عليه الأَرزَاقَ، وأَحَالوه إلىٰ المُستشفيات العُليا المُتخصِّصة علىٰ حِسَابِ الدَّولةِ.

ولـمَّا قرَّر الأَطبَّاءُ أنَّه بِحَاجةٍ إلىٰ العلاج خارج المملكة؛ أَرسَلوه إلىٰ أمريكا، ثمَّ إلىٰ ألمانيا علىٰ حِسَابِهِم، وعُولِجَ هناك، ولكنَّه قد اختَارَ الرُّجُوعَ والإقامةَ بالمملكة، فرَجَع، وبَقِيَ مُنَوَّمًا في مستشفىٰ الملك فيصل التَّخصُّصي بجدة، علىٰ حساب الدَّولة، وبَقِيَ فيه إلىٰ أَن تُوفِّي[2].

وقَد قابلتُهُ أنا وبَعض المَشَائخ في أَيَّام الحجِّ عدَّة مَرَّاتٍ، واتَّصلتُ به بَعد ذَلِكَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ للاطمئنان علىٰ صِحَّتِهِ، وقَد سَجَّل شريطًا في آخر حياتِهِ اعتَرفَ فيه بفَضل الدَّولة[3] حفظها الله تعالىٰ، وأَثنَىٰ عليها خيرًا، وقَرَّر بأنَّه لا يسمح بإعادة طَبع ما قاله في بَعض رجال الدَّولة، وأنَّه

(١) أي: الدَّولة السُّعودية.

(٢) وقد مات رَحِمَهُ اللَّهُ في مُستَهلِّ شهر ربيع الثَّاني، من عام اثنين وعشرين وأربع مئةٍ وألف من الهجرة النَّبويَّة.

(٣) أي: السُّعودية.

مُتأسِّفٌ علىٰ ذَلِكَ[١].

وقَد وَافته المَنيَّةُ بمُستشفىٰ الملك فيصل التَّخصُّصي بجدة، وصُلِّي عليه في الحَرَم المَكِّيِّ، ودُفِنَ في مقبرة العدل، فنسأل الله أَن يَتغمَّدنا وإيَّاه برحمتِهِ، وأَن يعفو عنَّا وعنه فيما حصل منَّا من الأَخطاءِ الَّتي لا يَسلمُ منها أحدٌ، وبالله التَّوفيق.

وأمَّا ثَنَاء كاتب «المَجلَّة السَّلفيَّة» علىٰ الألبانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَلَا أرىٰ أنَّه بذَلِكَ قد انتقَص من قَدر غيره؛ لأنَّ الأدلَّة الشَّرعيَّة تدلُّ علىٰ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَد أثنىٰ علىٰ كثيرٍ من أَصحابِهِ، ولَم يكن في ذَلِكَ هَضمٌ لحقِّ غير مَن أثنىٰ عليه، فقَد قال -صَلَواتُ الله وسلامُهُ عليه- في حقِّ أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَو كنتُ مُتَّخذًا من أُمَّتي خليلًا لاتَّخذتُ أبا بكرٍ خليلًا**»[٢].

وقال في عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**والَّذي نَفسي بيدِهِ، ما لَقِيَكَ الشَّيطان قطُّ سالكًا فجًّا إلَّا سَلَك الشَّيطانُ فجًّا غير فَجِّك**»[٣].

وقال عن عُثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَلَا أَستحيي من رَجُلٍ تَستحيي منه الملائكة**»[٤].

(١) إن أرَدتَ أن تَسمَع ثناءَ الشَّيخ مقبل الوَادِعِي لوُلَاة هذه البِلَادِ المباركة، فاسمع إلىٰ شريط بعنوان: «مشاهداتي في المملكة»، وسَتَجِد هذا الشَّريط -إن شاء الله- في تسجيلات «الأصالة» بجدة.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٧)، ومسلم (٥٣٢) من حديث أبي سعيدٍ، وابن عباس رضي الله عنهم جميعًا.

(٣) أخرجه البخاريُّ (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦) من حديث سعد بن أبي وَقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٠١) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وقال عن عَليٍّ رضي الله عنه: «**أَنتَ منِّي بمَنزلة هارون من موسىٰ إلَّا أَنَّه لا نبيَّ بَعدي**»(١).

وقال عن الزُّبير رضي الله عنه: «**لكلِّ نبيٍّ حواري، وحواريي الزُّبير**»(٢).

وقال عَن سَعْد بن أبي وَقَّاصٍ رضي الله عنه: «**هَذَا خالي؛ فَلْيُرِني امرؤٌ خَالَه**»(٣).

وقال عن أبي عُبَيدة بن الجرَّاح: «**لكُلِّ أُمَّةٍ أمينٌ، وأمينُ هَذِهِ الأُمَّة أبو عُبَيدة بن الجرَّاح**»(٤).

وقال ﷺ: «**وَأَفرضُهُم زيدُ بن ثابتٍ، وأَعلمُهُم بالحلال والحرام معاذ بن جبلٍ**»(٥)، إلىٰ غير ذَلِكَ.

ولَم يَكُن ثناؤُهُ علىٰ بَعضهم تَنقُّصًا لغيره، بل قال في عُمُومِهم ﷺ: «**لَا تَسبُّوا أَصحابِي، فو الَّذي نفسي بيدِهِ لَو أنفق أَحَدكُم مثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أَحَدهم، ولا نَصيفه**»(٦).

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤) من حديث سَعد بن أبي وَقَّاص رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤١١٣)، ومسلم (٢٤١٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الترمذيُّ (٣٧٥٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن الترمذي» (٢٩٥١).

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٨٢) من حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الترمذيُّ (٣٧٩١) من حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه، وصَحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن الترمذي (٢٩٨١).

(٦) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه.

ثانيًا: أنَّ الألبانيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَالِمُ سوريا، وَوَحِيدُها، وصاحبُ الجِهَادِ فيها، فالثَّناءُ عليه بجِهَادِهِ للتَّكفيريِّينَ والمُبتدعِينَ في بلدِهِ لا يكون انتقاصًا لعُلَماء السُّعوديَّة، فهُم لهم جِهَادُهُم في بَلَدهم، يُحرز لهم ما يَستحقُّون من الفَضلِ والثَّناءِ، واللهُ تَعَالىٰ يقول: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢].

ثالثًا: أنَّ تَشبيهَ الكاتب للألبانيِّ بـ«حَسَن التُّرَابِي»[1] الَّذي يَرَىٰ وحدة الأديان، ويرىٰ أنَّ النَّبيَّ ﷺ غير مَعصومٍ فيما يخبر به من أخبار الدُّنيا، ويرىٰ أنَّ لرُؤَسَاءِ الدُّول حقَّ التَّشريع، ويَرَىٰ أنَّ أحكامَ الشَّرع يَطرأ عليها التَّقادمُ، وأنَّه يَنبغي تَجديدُها، إلىٰ غَير ذَلِكَ من آرائِهِ الشَّاذَّة الَّتي تُوجِبُ الكُفرَ فمَا دُونَه.

وَالمُهِمُّ: أَنَّ تَشبِيهَ الأَلبَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ بالتُّرابي بهتٌ عظيمٌ، وجريمةٌ شَنعاء لا يَجُوز إقرارُهُ عليها، ولا السُّكُوت عليه فيها.

وأمَّا قولُهُ[2] في (ص١١): «لَا يَجُوز أَن يَتولَّىٰ إقامة الحُدُود غير الحاكم المسلم، وحينما يظهر الأَسَىٰ والأسف أَن لَيسَ هناك مَن يُقيمُ الحُدُود الشَّرعيَّة، فهَذَا لا يَنبغي أن يَفتح بابًا غير شرعيٍّ، ولكن يَنبغي أن يُذكِّرنا بتَبصير المُسلمينَ جميعًا في عَدَم وُجُود دَولةٍ مُسلمةٍ تُقِيمُ الحُدُودَ الشَّرعيَّة، بل تُنَفِّذ أحكام الشَّريعة الإسلاميَّة بحَذَافيرها، حينما نَتذكَّر هَذَا يجب ألَّا يَدفعنا إلىٰ أن نَعملَ لإقامة هَذِهِ الدَّولة المسلمة، وذَلِكَ كما تعلمون منَّا مرارًا

(١) كما في (ص٥).

(٢) أي: الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ كما نقل عنه موسىٰ الدويش.

وتكرارًا لا يكون ذَلِك بالهُتَاف، والحَمَاس، والصِّياح، ولكن بالجِهَادِ».

وأقول:

أَوَّلاً: قوله: «لَا يَجُوز أن يَتولَّىٰ إقامة الحُدُود غير الحاكم المسلم»:

قلت: هَذَا باتِّفاقٍ في الأحرار، والخلاف في الأَرقَّاء من العبيد والإماء؛ لقولِهِ ﷺ: «**إذَا زَنَت أَمَةُ أَحَدِكُم، فتَبَيَّن زِنَاهَا، فَليجلِدهَا الحَدَّ، ولا يُثَرِّب عليها**[1]، **ثمَّ إن زَنَت فَليَجلدها الحدَّ، ولا يُثَرِّب، ثمَّ إن زَنَتِ الثَّالثة، فتَبَيَّن زناها، فَليَبِعهَا ولَو بِحَبلٍ مِن شَعَرٍ**»[2].

ثانيًا: في قوله: «وَحِينَما يَظهرُ الأَسَىٰ والأَسَف أَن ليس هناك مَن يُقِيم الحُدُودَ الشَّرعيَّة...»، إلىٰ أَن قال: «فِي عَدَم وُجُودِ دولةٍ مسلمةٍ تُقِيم الحُدُودَ الشَّرعيَّة»:

فأقول: كَانَ الواجبُ علىٰ الشَّيخ أن يَستثني -فإنَّ الدَّولةَ السُّعوديَّة هي الدَّولة الوحيدة الَّتي تُقِيمُ الحُدُودَ- ولَكِي يَقطَع الطَّريقَ علىٰ الَّذين يَصطادون في الماءِ العَكِر، كما يقال.

ثالثًا: ويَنبغي أن نَحملَه علىٰ أنَّه يريد في بلدِهِ؛ لأنَّ المُسلمَ يَنبغي أن يُحمل كلامُهُ علىٰ أحسن المَحَامل ما وجدت.

رابعًا: في قولِهِ: «فهَذَا لا يَجُوز أن يَفتحَ بابًا غير شرعيٍّ»:

(١) **التثريب**: التوبيخ، واللَّوم علىٰ الذَّنب.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٣٩) ومسلم (١٧٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأقول: معناه: لا يَحملنا ذَلِكَ علىٰ القيام بأَعمالٍ غير شرعيَّةٍ؛ كالثَّورات، والإضرابات، والتَّظاهرات، والاغتيالات، والتَّفجيرات إتلافًا للأَموالِ، أو الأَنفس، أو الجُسُور، [و] إضرارًا بالأَفراد، والجَمَاعات، فهَذَا لا يَصدر من مسلمٍ يخاف الله عَزَّوَجَلَّ، وإنَّما تَصدر هَذِهِ الأَفعالُ من أَهل الهوىٰ المبنيِّ علىٰ الجهل، والبدع، والضَّلال من الحِزبيِّين الثَّوريِّين التَّكفيريِّينَ.

خامسًا: قوله: «ولكن يَنبغي أن يذكرنا بتَبصِير المُسلمينَ جميعًا...»، إلىٰ أن قال: «هَذَا يجب أن يَدفعنَا لإقامة الدَّولة المُسلمة، وذَلِكَ -كما تَعلمونَ منَّا مرارًا- لا يكون ذَلِكَ بالهُتَاف، والحَمَاس، والصِّياح، ولكن بالجهاد»:

وأقول:

أ- قطعًا أنَّه يَقصد بـ«تَبصِيرِ المُسلمينَ»: تَعليمهم بما يجب لله عَلَيهم، وذَلِك مُسَاهمةً في إصلاح الأَفراد الَّذين يَكُونونَ لَبِنَاتِ المُجتمع الَّذي تَقُوم علىٰ رأسِهِ الدَّولة، وهَذَا التَّفكير تَفكيرٌ إسلاميٌّ صحيحٌ.

ب- ويجب أن نَحمل كلامَ الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ أنَّه يَقصد التَّفكيرَ في إنشاءِ دولةٍ تُقِيمُ شرعَ الله علىٰ أرضٍ من أراضي الله الواسعة الَّتي لا يُقَام عليها شَرع الله.

ج- ونَقطع بأنَّه لا يَقصد إنشاء دولةٍ في قلبِ دولةٍ، كما يفعل الحِزبيُّون، ولا علىٰ أَنقَاضِ دولةٍ مسلمةٍ تُقِيم شَرعَ الله، فهَذَا إفسادٌ ولَيسَ بإصلاحٍ.

د- وَيَجِبُ أَن نَعلمَ أَنَّ سُلُوكَ الرَّجل مُنضبطٌ بعقيدتِهِ، وما قَرَّره في كُتُبِهِ

الكثيرة الوفيرة، فلا يَجُوز أن نَهدمَ ذَلِكَ كلَّه بكلمةٍ أو جملةٍ قالها في حالةٍ ما، اللهُ أعلمُ بدَوَافعها، ومُؤثِّراتها.

هـ- وهَذَا التَّأويلُ هو المُتعيَّن في حقِّ الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وقَد دلَّ عليه من كلامِهِ هَذَا قوله: «فهَذَا لا يَنبغي أن يفتحَ بابًا غير شرعيٍّ»، والشَّيخ معروفٌ باتِّباعِهِ للسُّنن، وسَيره عليها، وإن كان قَد ينفرد باجتهادٍ يشذُّ به، لكنَّ هَذَا في غير العقيدة.

و- ودَولتنا[1] -حَفِظَها الله، ونَصَرها، ووَفَّق القائمين عَلَيها لكلِّ خير- قَدِ اتَّسَع صَدرها لأُناسٍ ليسوا بأولئك في مُوَاطنتهم، فكَيف بعالمٍ من عُلَماءِ المسلمين صاحب عقيدةٍ سلفيَّةٍ، ومُتَابعة للسُّنَّة، قدَّم خدماتٍ عظيمةً للإسلام، فإنَّ المَظنون بدَولتنا وهي مَن هي في التَّأنِّي، والتَّثبُّت، وعَدَم الاستعجال في مِثلِ هَذِهِ الأُمُور ألَّا تُطِيعَ فيه المُغرضينَ، ومَن لهم هوىٰ اللهُ أعلمُ بدَوَافعِهِ.

حـ- وقَد تَبيَّن من هَذَا أنَّ الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لا يريد بكلمة «الجهاد» الواردة هنا: الجهاد المُسَلَّح، ولكن يريد التَّبصِير، والتَّعليم بالكلمة، ودَعوة النَّاس إلىٰ الكتاب والسُّنَّة، وفَهمهما علىٰ مَنهج السَّلف الصَّالح، وقَد أمضىٰ عُمُرَه الطَّويل المبارك علىٰ ذَلِكَ في تَأليفاتِهِ، وتوجيهاتِهِ، ومناظراتِهِ، ومَن سَرَّح نَظَره في مُؤلَّفاتِهِ وسيرتِهِ، اتَّضحَ له ذَلِكَ وُضُوحًا لا يَعتريه شكٌّ ولا ريبٌ أنَّ ما لَفَّقه ضدَّه المُرِيبُونَ ما هو إلَّا بهتٌ وافتراءٌ، اللهُ أعلمُ بدوافعِهِ.

(١) أي: المملكة العربية السعودية.

ط- وأمَّا قولُهُ: «بأنَّ الأصل والأفضل أن يكونَ المُسلمونَ تَحت إمامٍ واحدٍ، ورايةٍ واحدةٍ، فإن لَم يَتحقَّق ذَلِكَ، فإنَّ للضَّرورة قَدَرها في تَجويز تَعدُّد الحُكَّام، والسَّلاطين، وعقد بيعاتٍ جزئيَّةٍ لهم يَنتظم بها سلك رَعَاياهم ضمن قَوَاعد الشَّرع وأُصُولِهِ»:

فهَذَا القولُ لَم يَخرج به عن السَّلفيَّة؛ لأنَّ الخلافَ في ذَلِكَ جارٍ بَينَ العُلَماء، والخلاف في ذَلِكَ نظريٌّ، أمَّا الواقع فلَم يَقُل أحدٌ ببُطلانِ أَحكام سلطانٍ انفرَدَ بالسُّلطةِ في بَلَدٍ ما إلَّا علىٰ رأيٍ شاذٍّ لم يَبرز في وقتٍ إلىٰ حَيِّز المعارضة، وقَد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفَتَاوىٰ» (٣٤/ ١٧٥، ١٧٦) بـ(الحُدُود)[1]: «والسُّنَّة أَن يكونَ للمُسلمينَ إمامٌ واحدٌ، والبَاقُون نُوَّابَهُ، فإذا فرض أنَّ الأُمَّة خرجت عن ذَلِكَ لمَعصيةٍ من بعضها، وعجزٍ من الباقين، أو غير ذَلِكَ، فكان لها عدَّة أَئمَّة، لكان يجب علىٰ كلِّ إمامٍ أن يُقِيمَ الحُدُودَ، ويَستوفي الحُقُوق»، يعني: فيما تَحتَ يده.

فتَبيَّن أنَّ قولَ الألبانيِّ كقول شيخ الإسلام ابن تيمية، والحقُّ في نَظَري جَوَاز ذَلِكَ؛ لأنَّ الضَّرورة في هَذِهِ الأزمان أَصبحَت ملازمةً، وذَلِك لأُمُورٍ:

الأمر الأوَّل: لقولِهِ ﷺ في الحديث الَّذي رَوَاه مسلمٌ في كتاب (الإمارة)، باب (١٠)، (وُجُوب الوَفَاء ببَيعة الخُلَفاءِ الأوَّل فالأوَّل)، رَوَاه مسلمٌ بسَنَده إلىٰ أبي حازمٍ، قال: «قَاعَدتُ أبا هريرة رضي الله عنه خمسَ سنين، فسمعتُهُ يُحدِّث عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**كَانَت بنو إسرائيل تَسُوسُهم الأنبياءُ، كُلَّما هَلَكَ نبيٌّ**

(١) أي: في كتاب (الحدود)، من «مجموع فتاويه».

خَلَفه نبيٌّ، وأنَّه لا نَبِيَّ بَعدِي، وستكُون خُلَفَاء فتكثُر»، قَالُوا: فَمَا تَأمُرنا؟ قال: «فُوا ببَيعة الأوَّل فالأوَّل، وأَعطُوهُم حَقَّهم؛ فإنَّ اللهَ سَائِلهم عمَّا استَرعاهُم»[١]، فهَذَا الحديثُ مُشعرٌ بجَوَاز التَّعدُّد إذا كان كلٌّ مِنهما مُستقلٌّ ببلدٍ.

أمَّا إذا كانوا في بلدٍ واحدٍ، فَلَا، لقَوْله ﷺ: «إذا بُويعَ لخَلِيفَتينِ فَاقتُلوا الآخِر منهما»، رَوَاه مسلمٌ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه[٢].

وقوله ﷺ: «مَن أَتَاكُم وأَمرُكُم جميعٌ علىٰ رجلٍ واحدٍ يريد أن يشقَّ عَصَاكم، أو يُفرِّق جَمَاعتكم، فَاقتُلُوه»، رَوَاه مُسلمٌ عن عُرفُجة[٣]، وقَد أشار إلىٰ ذَلِكَ في الحديث السَّابق: «فُوا بِبَيعةِ الأوَّل فالأوَّل»[٤].

الأمر الثَّاني: أنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ، ومعاوية رضي الله عنهما قَد تَولَّىٰ كلٌّ منهما بلدًا، فأَقَامَا فيها حُدُودَ الله، ونَفَّذا أَحكامَه، والصَّحابةُ مُتَوافرون، فلَم يَقُل أحدٌ منهم لواحدٍ من الخليفتين: أَحكَامك فيما تحت يدك باطلةٌ، وكذَلِكَ استِقلالُ الدَّاخل[٥] بالأَندلس في آخِر عَهد التَّابِعينَ.

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٤٢).

(٥) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، الملقب بـ(صقر قريش)، ويُعرف بـ(الداخل الأُموي)؛ لأنَّه أوَّل مَنْ دخل الأندلس من ملوك الأمويين، وأسس الدولة الأموية فيها.

الأمر الثَّالث: أنَّ اتِّساعَ رُقعة الإسلام، وتَباعد أَقطاره جعلت التَّعدُّد ضرورةً؛ لأنَّه لا يَتمكَّن رجلٌ واحدٌ من السَّيطرة علىٰ جميع هَذِهِ الأَقطار بحَيث يكون الأمير فيها شبهَ مُستقلٍّ؛ لبُعد المسافة بَينهما، فدلَّ ذَلِكَ علىٰ جَوَاز التَّعدُّد.

والَّذي أعتقدُهُ أنَّ سلفيَّةَ الألبانيِّ هي سَلفيَّة عُلَماء المَملَكة، مثل: سَمَاحة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن بَاز، وابن عُثَيمِين، وابن فَوزان، والشَّيخ عبد العزيز آل الشَّيخ، وغيرهم، فهو يَعتقد ما يَعتقدُونَ في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، وصفاتِهِ، وفي باب القَدر، وأنَّ القرآنَ كلام الله، مُنزَّلٌ غير مَخلوقٍ... إلىٰ غير ذَلِكَ[1]، وإن كان هناك اختلافٌ طفيفٌ فهو في الأُمُور الاجتهاديَّة، أمَّا العقيدة فلَيس بَينه وبَينهم خلافٌ.

وأمَّا هل للألبانيِّ أَتبَاعٌ في المَملَكَة؟

فأقول: لا أعرف أنَّ له أتباعًا في المملكة؛ لأنَّه ليس له عقيدةٌ مُستقلَّةٌ، ولا سلفيَّةٌ مستقلَّةٌ حتَّىٰ يكون له أتباعٌ مَعروفونَ.

وأمَّا كونه يرىٰ للمملكة بيعةً لازمةً، فأقول:

نَعَم، وهو يُسمِّي المملكة: دولةَ التَّوحيد، وأنا أعرف ذَلِكَ من خِلَال قراءتي لكُتُبِهِ منذ زمنٍ طويلٍ، وهو كغيره من أَهل السُّنَّة والجماعة أَصحاب المنهج السَّلفيِّ، لا يَرَونَ الخُرُوجَ علىٰ البَيعَة المُنعَقدة لإمامٍ مسلمٍ، وفي تَعليقِهِ علىٰ «شرح الطَّحاوية» لأبي العزِّ الحنفي علىٰ وُجُوب لُزُوم الجماعة،

(١) أي: من مَسَائل عقيدة أهل السُّنَّة والجَمَاعة.

وطاعة الإمام، وعَدَم جَوَاز الخُرُوج عليه- ما يُشير إلىٰ ذَلِكَ.

وأمَّا القول بأنَّ بعض القائلين بجَوَاز الخُرُوج قَد طعنوا في روايات حديث حُذَيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذي في «صحيح مسلم»، وهي رواية أبي سلَّام عن حُذَيفة بلفظ: «**تَسمَعُ وتُطِيعُ للأَمِيرِ، وَإِن ضُرِبَ ظَهرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ؛ فَاسمَع وَأَطِع**»[1]، وهم الجُهَيمَانِيَّة[2].

قلتُ[3]: الطَّعن في رواية أبي سلَّام مَمطُور الحَبَشي عن حُذَيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذَلِكَ لأنَّ المَزنيَّ لما ذكر مَن روىٰ عنهم أبو سلَّام، ذَكَر منهم حُذَيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال مسلم: «مُرسل». «تهذيب الكمال» (٢٨/ ٤٨٤).

وقالَ الذَّهبيُّ في «سير أعلام النُّبلاء» (٤/ ٣٥٥): «حَدَّث عن حُذَيفةَ، وثوبانَ، وعليٍّ، وأبي ذرٍّ، وعمرو بن عَبسَة، وكثير من ذَلِكَ مراسيل كعادة الشَّامِيِّين يُرسلون عن الكبار».

وفي التَّعليقات علىٰ «تهذيب الكمال»: «لَم يسمع (يعني: أبا سلام) من حُذَيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا من نُظَرائِهِ الَّذين نَزَلوا العراق، ولأنَّ حُذَيفة مات بعد مَقتل عثمان بليالٍ».

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٧).

(٢) هي جماعة تَبع جُهيمان العتيبي، الذي قَامَ بِفتنةِ الحَرم المَكي علىٰ رأس سنة (١٤٠٠) هجرية، وزَعم أنَّ مَعه المَهدي المُنتظر، وطلب مِن الحَاضرين في الحَرم أن يبايعوه، وكان قد اتَّبعه بعضُ البُسَطاء والمُغفَّلين والأشرار، ثمَّ قَضَىٰ اللهُ علىٰ فِتنتهم بعد أن سَفكوا كَثيرًا مِن دِمَاء المُسلمين، وأَرَاح اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العبادَ من شَرِّهم.

(٣) أي: شيخنا النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

قلت: إن ضَعُفَت هَذِهِ الرِّواية، فإنَّ النَّهي من النَّبيِّ ﷺ وَاردٌ عن الخُرُوج علىٰ الوُلَاة، وعَدَم المنازعة لهم في سُلطانهم، وأنَّ مَن خرج علىٰ سلطانٍ مسلمٍ فمات، ماتَ ميتةً جاهليَّةً، ولقي الله لا حُجَّة له، وأنَّه يجب قتالُ الخارج، وقتلُهُ ما دام السُّلطان مسلمًا يقيم الصَّلاة، ولم يكن يأتي من المَعصية كفرًا بواحًا مع الخارج فيه من الله برهانٌ.

صحَّ ذَلِكَ عن عُبَادة بن الصَّامت، وابنِ عَبَّاسٍ، وابنِ عُمَر، وأبي هريرة، وأبي سعيدٍ، وعَرفَجَة الكِلَابي، وأُمِّ سَلَمة، وعوف بن مالكٍ، وعبد الله بن عمرو، وكُلُّها عند مُسلمٍ في الإمارة بأسانيدَ صحيحةٍ.

إذًا، ما أفادته تلك الزِّيادة المُضَعَّفَة، قَد أَفَادته تلك الأحاديثُ عن تسعةٍ من الصَّحابةِ، فإن ضَعُفَت فإنَّه لا يُقَول[1]: «إنَّ تَضعيفَها يُبِيحُ الخُرُوجَ علىٰ السُّلطان المُسلم» إلَّا جاهلٌ.

وقَد ذَكَر الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تِلكَ الأحاديثَ في كُتُبِهِ، وصَحَّحها، ولا إِخَالُه إلَّا يقول بها، بَل نَقطعُ قطعًا بذَلِكَ، فهو مَن عَرَفناه آخذًا بالسُّنَّة، قائلًا بها، وإن كان لَيسَ بمَعصومٍ شأنُهُ شأن غيره من العُلَماءِ.

وأمَّا هل دعوتُهُ -الَّتي يقول عنها: إنَّها انتشرت في العَالَم كُلِّه- مخالفةٌ لدعوة هَذِهِ البلاد، أو مُتَّفقةٌ معها؟

وأقول: بل مُتَّفقةٌ مَعَها، فهو يُصرِّح في غير مناسبةٍ أنَّه يَدعو إلىٰ فَهم

(١) أي: الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

الكتاب والسُّنَّة علىٰ فَهم السَّلَف، والمُحقِّقون من علماء المملكة يَدعون إلىٰ فَهم الكتاب والسُّنَّة علىٰ فَهم السَّلَف، ويَدعون إلىٰ تَقديم الدَّليل الصَّحيح علىٰ قَول إمام المَذهب؛ لأنَّ الله ﷻ كَلَّفنا باتِّباع رسول الله ﷺ، ولَم يُكلِّفنا باتِّباع أحدٍ سواه، فقال جلَّ من قائلٍ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢]، إلىٰ غير ذَلِكَ من الآيات.

وكذَلِكَ المُحقِّقون من علماء المَذهب يَأخذون بهَذَا، ويدعون إليه، وهو يُحَارب الجُمُودَ المذهبيَّ علىٰ أيِّ مذهبٍ كان، وكذَلِكَ المُحقِّقون من علماء هَذَا البلد يُحَاربون الجُمُودَ المذهبيَّ -علىٰ أيِّ مذهبٍ كَانَ- وتَركَ الدَّليل.

بل إنَّ كلَّ أئمَّة المذاهب يَدعون إلىٰ الأَخذ بالدَّليل، وتَرك أَقوالِهم إِن وُجِدَت مُخَالفةً لـه:

فمالكٌ يَقُول: «لَيسَ أحدٌ بعد النَّبيِّ إلَّا يُؤخَذ من قولِهِ ويُترَك إلَّا النَّبيَّ ﷺ»[1].

(١) قال الإمام الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صفة صلاة النبيِّ ﷺ» (ص٤٩): «نسبة هذا (ليس أحدٌ بعد النَّبِيِّ ﷺ إلَّا ويُؤخَذ مِن قَولِهِ ويُترك إلَّا النَّبي ﷺ) إلىٰ مالك هو المشهور عند المُتأخِّرين، وصَحَّحه عنه ابن عبد الهادي في «إرشاد السالك» (٢٢٧ /١)، وقَد رَوَاه ابن عبد البر في «الجامع» (٢/ ٩١)، وابن حزم في «أُصُول الأَحكام» (٦/ ١٤٥ و١٧٩) من قول الحكم بن عتيبة، ومجاهد، وأَورَده تقيُّ الدِّين السُّبكي في «الفتاوىٰ» (١/ ١٤٨) من قول ابن عَبَّاسٍ متعجبًا من حسنه، ثمَّ قال: وأخذ هذه الكلمة من ابن عباس مجاهد، وأخذها منهما مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واشتهرت عنه. قلت (أي: الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ): «ثمَّ أخذها عنهم الإمام أحمد، فقد قال أبو داود =

والشَّافعيُّ يقول: «إذا صحَّ الحديثُ فَاضربوا بمَذهبي عُرضَ الحَائِطِ»(١).

وأحمد بن حنبل يقول: «لا تُقلِّدني، ولا تُقلِّد مالكًا، ولا الشَّافعي، ولا الأَوزاعي، ولا الثَّوري، وخُذ من حَيث أَخَذوا»(٢).

ويقول أبو حنيفة: «وَيحك يا يعقوب (هو أبو يُوسُف)! لا تكتب كلَّ ما تسمع مِنِّي، فإنِّي قَد أرىٰ الرَّأي اليوم وأتركُهُ غدًا، وأرىٰ الرَّأي غدًا وأتركُهُ بعد غدٍ»(٣).

والمُهِمُّ: أنَّ ما فهم من كلامِهِ(٤)، وكلام تلاميذِهِ من مُحَاربة المذهبيَّة، فإنَّما المراد منه مُحَاربة المَذهبيَّة المُتطرِّفة الَّتي تُقدِّم قولَ المذهب وإِن

=

في «مسائل أحمد» (ص٢٧٦): سمعت أحمد يقول: ليس أحدٌ إلَّا يؤخذ من رأيه ويترك ما خلا النَّبي ﷺ». اهـ

(١) انظر: «حواشي الشرواني علىٰ تحفة المحتاج بشرح المنهاج» لعبد الحميد الشرواني (٦/ ٥٥)، طبعة دار الفكر، بيروت.

(٢) انظر: «إيقاظ الهمم» (١١٣) للشيخ صالح الفُلَّاني، و«إعلام الموقعين» (٢/ ٣٠٢) لابن القيم بواسطة الشيخ الألبانيِّ في كتابه «صفة الصلاة» (ص٥٣)، طبعة مكتبة المعارف.

(٣) انظر: «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» (ص١٤٥) لابن عبد البر، و«إعلام الموقعين» (٢/ ٣٠٩) لابن القيم، و«الحاشية» (٦/ ٢٩٣) لابن عابدين، و«رسم المفتي» (ص٢٩ و٣٢) بالرواية الثانية والثالثة، رواها عباس الدوري في «التاريخ» لابن معين (٦/ ١/٧٧) بسندٍ صحيحٍ عن زفر، وورد نحوه عن أصحاب زفر، وأبي يُوسُف، وعافية بن يزيد كما في «الإيقاظ» (ص٥٢)، وجزم ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ٣٤٤) بصِحَّتِهِ عن أبي يُوسُف، والزيادة في «التعليق علىٰ الإيقاظ» (ص٦٥) نقلًا عن ابن عبد البر، وابن القيم، وغيرهما (بواسطة «صفة الصلاة» للشيخ الألبانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ص٤٦). اهـ

(٤) أي: الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

خالفَ الدَّليلَ، وهَذَا المسلكُ حَارَبه جميعُ أَئمَّة الحديث، ومنهم البخاريُّ، وأحمد بن حنبل، وغيرهم.

وقَد عَقَد شيخُ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ بابًا في كتاب «التَّوحيد» لِذَمِّ ذَلِكَ، فقال: باب (مَن أطاع العُلَماء في تَحليل ما حَرَّم الله، أو تحريم ما أحلَّ الله، فقد اتَّخذهُم أربابًا)، ثمَّ استدلَّ بالآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١]، إلَّا أنَّه قَد تَحْصُلُ منهم[1] مبالغةٌ لا يُوَافقون عليها؛ كقول عيد عباسي في كتابِهِ: «بدعة التَّعصُّب المذهبي»: «وهُم يعدُّون العالم فيهم مَن فَهِمَها، وحَفِظَها (يَعني: كُتُب الفِقه في المَذْهَب)، ويُجِيزُونَ له تَولِّي القضاء والإفتاء؛ بل إنَّهم ليَستبيحونَ بِمَا في هَذِهِ الكُتُب الدِّماءَ، والفُرُوجَ، والأموالَ.

وأقول: أ- إنَّ كُتُبَ الفقه حَوَت علمًا، والفقيه حقًّا مَن عرف كلَّ قولٍ بدليلِهِ من الكتاب والسُّنَّة، ولهَذَا قالوا في تَعريف الفقه في الأُصُول: «مَعرفة الأحكام الشَّرعيَّة من أَدلَّتها التَّفصيليَّة».

أمَّا مَن يَعرف الحُكمَ في مذهبٍ ما، ولا يَعرف دَلِيلَه، فمعرفتُهُ ناقصةٌ.

ب- ولا شكَّ أَنَّ كُتُبَ الفقه قد اعتَمدت في بَعض الأحكام علىٰ أحاديثَ ضعيفةٍ.

ج- أمَّا مَا تُستباحُ به الدِّماءُ، والفُرُوجُ، والأموالُ، فلا تعتمد فيها كُتُب

(١) يظهر أن المراد بهم طلاب الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

المَذهب إلَّا علىٰ أدلَّةٍ صحيحةٍ من كتاب الله، وسُنَّةِ رسولِهِ ﷺ، ذَلِكَ لأنَّ إمامَ المَذهبِ مُحَدِّثٌ كبيرٌ.

د- إلَّا أنَّه قَد يحصل الخلافُ فيما دلَّ عليه الدَّليلُ لوُجُود احتمالٍ فيه، فيَختلف فيه الفقهاءُ.

هـ- والخطأ في الاجتهاد قَد يحصل في هَذَا المَذهبِ أو ذاك.

و- علمًا بأنَّ هَذَا الكاتبَ[١] لا يَستطيع أن يأتي بحُكمٍ واحدٍ حكم فيه المذهب بقَتل نفسٍ، أو إقامةِ حدٍّ، أو أَخذ مالٍ اعتَمد فيه علىٰ حديثٍ ضعيفٍ ضعفًا يجب به اطِّراحُهُ، ولقَد كان الأَولىٰ به تَرك هَذِهِ المُبَالغة الَّتي تَجعلُهُ موضعَ انتقادٍ.

ز- وأخيرًا حُصُول مثل هَذَا لا يدلُّ أنَّ لهم[٢] نِيَّةَ سوءٍ نحو المملكة، أو أنَّهم يريدون الإطاحةَ بها، ويُضمرون سُوءًا لها، وإنَّما هَذَا وأمثالُهُ يُعتبر نقدًا علميًّا لا يُشكِّل خطرًا سياسيًّا.

وأمَّا قوله[٣] في (ص١٩): «بَل إنَّ الدُّكتور ربيع بن هادي المدخلي ذَهَب إلىٰ ما هو أَبعد حيث فَضَّل الكثير من أَتباع المَذهب الزَّيدي وعوامهم، والمذهب الإباضي عَامَّتهم علىٰ أتباع المَذَاهب الأربعة، فقال في كتاب «أهل الحديث هُم الطَّائفةُ المنصورةُ»، (ط٢): «وهناك أَتبَاع المَذهب الزَّيدِي

(١) أي: عيد عباس في كتابه «بدعة التعصب المذهبي».

(٢) أي: طلاب الشيخ الألباني رحمه الله.

(٣) أي: الدكتور موسىٰ الدُّويش.

وعَوَامِّهم، وأتباع المَذهب الإبَاضِي وعَوَامِّهم؛ فإنَّ كثيرًا منهم أقربُ إلىٰ الفطرة والتَّوحيد من كثيرٍ من أتباع المذاهب الأربعة، وأَبعد عن الشِّركِ والخُرَافاتِ والقُبُوريَّة والصُّوفيَّة من عامَّة أصحاب المَذَاهب الأربعة». اهـ

وأقول:

أولاً: إنَّ تَفضيلَ الشَّيخ ربيع لأتباع المَذهب الزَّيدي، والمذهب الإباضي وعوامهم؛ لكَونهم أقرب إلىٰ التَّوحيد من كثيرٍ من أتباع المَذَاهب الأربعة وعوامهم، وأَبعد عن الشِّرك، والخُرَافة والقُبُوريَّة، والصُّوفيَّة رغم ما عندهم من عقائدَ مُنحرفةٍ، فهَذَا تفضيلٌ من ناحيةٍ واحدةٍ إلَّا أنَّ هَذِهِ النَّاحية هي الأساسُ والأصلُ، لهَذَا يعني توحيد العبادة.

وثانيًا: مِنَ المَعلوم عند جميع أَهل العلم أنَّ التَّفضيلَّ الجزئيَّ لا يَلزم منه تفضيلٌ كليٌّ، فلو قيل مثلًا: «زيدٌ أعلم من عمرٍو في اللُّغة»: لم يلزم من ذَلِكَ تفضيلُ زيدٍ علىٰ عمرٍو في جميع العُلُوم.

وثالثًا: أنَّ المجتمعَ السُّعوديَّ ودَولته لم يكن معنيًّا بهَذَا الكلام؛ لأنَّه ليس فيه شركٌ، ولا وَثنيَّةٌ ظاهرةٌ كسَائِر المُجتمعاتِ الإسلاميَّة من أَتبَاع المَذَاهب الأَربعة، فإنَّ الشِّرك فيها ظاهرٌ، والوثنيَّة فيها ظاهرةٌ بما فيها من المَشَاهد، والأَضرحة، والقُبُور المأمومة للنَّاس بالدُّعاء، والذَّبح، والنُّذُور وسؤال الحَاجَات الَّتي لا تُطلب إلَّا من الله، فتَبيَّن من هَذَا بطلانُ ما يَدَّعيه هَذَا الرَّجل علىٰ السَّلفيِّين، واتِّهامهم بما ليس فيهم.

أمَّا اتِّهامُ الألبانيِّ بأنَّه حزبيٌّ، أو يَتَّفق مع الحِزبيِّين، ويقرُّ الحزبيَّة، فهو

أيضًا افتراءٌ عليه، وهو يَقُول[١] في (شريط جَلسَة في ٢٢ رجب ١٤١٨هـ) يقول: «حَسَن البَنَّا ليس سَلَفيَّ العقيدة، ولا سلفيَّ المَنهج».

وقَد نَقَده[٢] في هَذَا الشَّريط في عدَّة نَوَاحٍ بَعد أَن قال: «إنَّ حَسَن البَنَّا يُشكَر في كونِهِ أَخرج الشَّباب الضَّائع من المَقَاهي، والمَلَاهي، والسِّينما، أو أنَّه أَخرجهم من بَعض الظُّلمات إلىٰ بعض النُّور».

قلت[٣]: وإذا كان قَد أَقرَّهم[٤] علىٰ الشِّرك الأكبر، فما هو النُّور الَّذي أَوجَده لهم؟! ولعلَّ الشَّيخ لم يَكُن علىٰ علمٍ بما وَقَع منه من الشِّرك الأكبر، ووحدة الوُجُود.

والمُهمُّ: أنَّه[٥] يُحَارب الحزبيَّة حربًا شَعواء، ويقول: «إنَّ أَخذ البيعاتِ في هَذِهِ المناهج يشدُّ من أَزر الفُرقة، فمَن بايع علىٰ منهجٍ لا بُدَّ أن يكون مُعَاديًا لغيره».

وأنا سأُرسِلُ لكم الشَّريط برُمَّتِهِ لأنِّي لو فرغت جميع ما فيه سَيَطُول الكلامُ مع أنِّي أُحَاول الاختصارَ والبيانَ بقَدر الإمكان.اهـ.

وأَمَّا القولُ بأنَّ الألبانيَّ قَد طَعَن في الوَهَّابيَّة، فقال: «وأَمَّا الوَهَّابيَّة فما لي

(١) أي: الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أي: موسىٰ الدويش نقد الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، والله أعلم.

(٣) أي: شيخنا النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) أي: حسن البنا.

(٥) أي: الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولها، أنا أنقدُها رُبَّما أكثر من غَيري، وإخواننا الحاضرون يَعلمون ذَلِكَ».

التَّعقيب (ص٥) من شريط بعنوان: «رحلة العقبة».

ثمَّ قال[١]: «هَذِهِ كلمةٌ خطيرةٌ، لو وَضَعناها في الإطار الشَّرعيِّ، فإنَّها تَعني البراءة من دَعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، خاصَّةً وأنَّه قَد وَضَع نفسه مع أعداءِ هَذِهِ الدَّعوة كـ«زيني دحلان، والنَّبهاني»، وبقيَّة الخُرافيِّين.

وأقول: اللَّهمَّ إنِّي أبرأ إليك من هَذَا الزَّعم الباطل، وأُشهِدُكَ عَلَىٰ لَومِ مَن قاله أو اعتقده لأُمُورٍ:

الأمر الأوَّل: إنَّ الواجبَ علينا، وعلىٰ كلِّ باحثٍ، ومُقيِّم لشخصٍ من العُلَماء أَن نحكم علىٰ العالم بما شَاعَ عنه، وذاعَ، واشتهر من أَمره في مُؤلَّفاتِهِ، ومُحَاضراتِهِ، ومُنَاظراتِهِ، فإن جاءت كلمةٌ، أو جملةٌ تُخَالف ما اشتهر عنه، رَدَدناها إلىٰ ما اشتهر عنه؛ لأنَّ تلك الكلمة لا تَخلو من أحد أمرين: إمَّا أن يكون ناقلها كاذبًا في نَقله، وإمَّا أن يكون للقائل فيها معنىٰ لا نَدريه.

الأمر الثَّاني: أنَّ الألبانيَّ قَد اشتهر عنه تعظيمُهُ للشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، وسَيره علىٰ نَهجه رَحِمَهُ اللَّهُ من الدَّعوة إلىٰ التَّوحيد، ومُحَاربة الشِّرك، ودعوته إلىٰ السُّنَّة، ومحاربة البدع، ودَعوته إلىٰ فَهم الكتاب والسُّنَّة علىٰ فَهم السَّلف، ونَبْذ ما يخالف ذَلِكَ، وعلىٰ ذَلِك قَد سار في مُؤلَّفاتِهِ وتخريجاتِهِ، ومناظراتِهِ، ورُدُودِهِ.

الأمر الثَّالث: أَنَّ مَن أراد أن يَقضي علىٰ تِلكَ المُؤلَّفات، والتَّخريجات،

(١) أي: الدكتور موسىٰ الدُّويش.

والرُّدُود، والمناظرات بكلمةٍ لها احتمالٌ علىٰ وجهٍ سليمٍ، فإنَّ ذَلِكَ يدلُّ علىٰ أنَّه مُبطِلٌ، وله هَوَىٰ.

الأمر الرَّابع: إنَّ كلمة «الوَهَّابيَّة» عند أهل البدع لها مفهومٌ سَيِّئٌ، وذَلِكَ أنَّهم يَقُولون: إنَّ الوَهَّابيِّين يُحرِّمون زيارةَ قبر النَّبيِّ ﷺ، ولا يُصلُّون عليه، بل ويَقتلون مَن صلَّىٰ عليه، أو يَضرِبُونه... إلخ ما زَعَموا، فلعلَّه إن كان قال تلك الجملة، فهو يَقصد بها الوَهَّابيَّة علىٰ هَذَا المَفهوم الباطل علىٰ حدِّ ما جاء في الأثر عن عمران بن حُصَين رضي الله عنه: «وإنَّ لكم في المعاريض مَندوحة عن الكذب»[1].

وعَلَىٰ هَذَا، فإنِّي أَقطَع جازمًا بأنَّ الألبانيَّ رحمه الله لا يَقصد بهَذِهِ الكلمة الطَّعنَ في منهج الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، وإنَّما قَصَد الطَّعنَ والتَّبرِّي من ذَلِكَ المفهوم السَّيِّئ عند المُبتدِعِينَ للوَهَّابيَّة.

وأَختم كِتَابَتي هَذِهِ بنَقل كلام كبار مَشَايخنا المُعتبرين في الألبانيِّ، وثَنائِهِم عليه، فمن ذَلِكَ قول سَمَاحة شيخنا الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله: «من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلىٰ حَضرة الأخ المُكرَّم الشَّيخ مُحمَّد إبراهيم الشَّيباني، وَفَّقه الله للخير، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد:

يا مُحِبُّ، كتابُكم الكَرِيمُ وَصَلَ، وَصَلكم الله بهُدَاه، وفهمت ما تَضمَّنه

(١) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (١٠/ ٥٩٤). **والمَندوحة:** الفُسحة والمُتَّسع.

من عَزمكم علىٰ كتابة تَرجمةٍ مُوسَّعةٍ لصاحب الفضيلة الشَّيخ العَلَّامة مُحمَّد بن ناصر الدِّين الألبانيِّ، ورغبتكم في كتابة رأينا في فضيلتِهِ، ونُفِيدُكُم أنَّ الشَّيخ المذكور معروفٌ لدينا بحسن العقيدة، والسِّيرة، ومُوَاصلة الدَّعوة إلىٰ الله ﷻ مع ما يَبذلُهُ من الجُهُود المَشكورة في العناية بالحديث الشَّريف، وبيان الحديث الصَّحيح من الضَّعيف من المَوضوع، وما كَتبَه في ذَلِكَ من الكتابات الواسعة، كلُّه عملٌ مشكورٌ، ونافعٌ للمُسلمينَ، نسأل الله أن يضاعفَ مَثُوبَته، ويُعِينه علىٰ مُوَاصلة السَّير في هَذَا السَّبيل، وأَن يُكلِّل جُهُودَه بالنَّجاح والتَّوفيق...»، إلخ ما قال.

فهَذِهِ شهادةٌ وتزكيةٌ من مفتي عام المملكة العربية السُّعوديَّة رَحِمَهُ اللَّهُ للشَّيخ الألبانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ بأنَّه حسن العقيدة، وحسن السِّيرة[1].

(١) ومِمَّا قاله أيضًا سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن الإمام الألبانيِّ ودعوَته، وثنائه -رحمة الله عليه- وعلىٰ ما دَوَّنه للمُسلِمينَ مِن المُؤلَّفَات العَظِيمَة ما نقلتُهُ عنه مجلة «الدَّعوة» في العدد (١٧١٢)، بتاريخ جمادىٰ الآخرة لعام ١٤٢٠هـ (ص٩)، حيث قال سماحتُهُ: «محمد ناصر الدين الألباني من خَوَاصِّ إخوَانِنَا المَعرُوفِينَ؛ قد عَرَفتُه قديمًا، فهو مِن خِيرَةِ العُلَمَاء، ومِن أصحَاب العَقِيدَةِ الطَّيِّبة، ومِمَّن فرَّغ وقتَه للحديث الشَّريف، وخِدمَة السُّنَّة، فهو جَديرٌ بكُلِّ احترام وعِنَايةٍ شَرعِيَّةٍ، وهو جَدِيرٌ بأن يُنتَفَع بكُتُبِه، ويُستَفَاد منها، وأنا مِمَّن يَستَفِيدُ منها؛ طالَعتُ الكثير من كُتُبه، فهي كتبٌ مفيدةٌ، وهو أخٌ صالحٌ، وصَاحِب سُنَّة، وليس مَعصومًا مثل غيره من العلماء».اهـ.

ويقول الشَّيخ خالد بن عبد الرَّحمن الشَّايع في نفس العدد من هذه المجلة (ص٦٠) بعنوان: «وفاة شيخ السُّنَّة... العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ»: «وقد أثنَىٰ أئمَّة العُلَمَاء علىٰ الشَّيخ الألبَانيِّ، وشَهِدُوا له بِسَعَةِ العِلم، وخاصَّةً في علم الحَدِيث، ودراسة الأَسَانيد؛ ولأَجل ذلك لقَد أُسنِد إليه تدريس الحديث وعُلُومه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام ١٣٨١هـ =

وقال الشَّيخ مُحمَّد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالَّذي عرفتُهُ عن مُحدِّث الشَّام فضيلة الشَّيخ مُحمَّد بن ناصر الدِّين الألبانيِّ من خلال اجتماعي به -هو قليلٌ- أنَّه حريصٌ جدًّا علىٰ العمل بالسُّنَّة، ومُحَاربة البدعة، سواء كانت في العقيدة أم في العمل، أمَّا من خلال قراءتي لمُؤلَّفاتِهِ، فقد عرفت عنه ذَلِكَ، وأنَّه علىٰ علمٍ جمٍّ في الحديث؛ روايةً ودرايةً، وأنَّ الله تعالىٰ قَد نَفَع بما كَتبَه كثيرًا من النَّاس من حَيث العِلمِ، ومن حيث المِنهاجِ، والاتِّجاه إلىٰ عِلمِ الحديثِ، وهَذِهِ ثمرةٌ كبيرةٌ للمُسلمينَ، ولله الحَمد». انتهىٰ بتَصرُّفٍ.

=

حتىٰ ١٣٨٣هـ، وكان رئيسها إذ ذَاك سماحة الشَّيخ العَلَّامة محمد بن إبراهيم، مفتي الدِّيار السُّعوديَّة في زمانِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وممَّن أثنىٰ عليه أيضًا سماحة الشَّيخ العلَّامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مفتي المملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء في حياته رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد سَمِعتُه يُثني عليه مرات كثيرة، ويذُبُّ عنه، ويَنهَر مَن يذمُّه، ويكُفُّه عن الوقِيعَةِ في عالمٍ كمثل الشَّيخ الألبانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ... إلخ».اهـ.

ثمَّ قال: «انظر كتاب «حياة الألبانيِّ وآثاره» (ص٧٤ و٧٥)، وقد نَقَلَت «جريدة المدينة» بعدَ وفَاتِه بأيَّامٍ قَلِيلَةٍ كلامًا لأَهل العِلمِ، مِن ذَلِكَ: ما قَالَه مفتي الديار السعودية سابقًا فضيلة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو (يعني: الشيخ محمد ناصر الدِّين الألباني) صاحب سُنَّة، ونصرَةٍ للحق، ومُصَادَمةٍ لأهل الباطل».اهـ. وقال عنه فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ الله رحمةً واسعةً: «إنَّه لا يُعلَم تحت أديم السَّمَاء أعلَم منه في الحديث في هذا العصر».اهـ. وقَد مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ قُبيل غروب شمس يوم السبت، لثمانية أيام بَقِيَت مِن شهر جمادىٰ الآخرة، من سنة ١٤٢٠هـ، وفقَ تاريخ ٢/١٠/١٩٩٩هـ؛ رَحِمَ الله أئمَّة الدَّعوَة، وخلَّف اللهُ للأمَّة الإسلَاميَّة مَن يقُودُها إلىٰ حِيَاضِ الحقِّ والسُّنَّة، والسَّير بهم علىٰ طَرِيقَة الأسلَاف؛ إنَّ ربِّي قريبٌ سميعٌ مُجِيبُ الدَّعَواتِ، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نَبيِّنا مُحَمَّدٍ، وعلىٰ آلِهِ وصَحبِهِ.

وهَذَا ما تَيسَّر تدوينُهُ في هَذِهِ العُجَالة، وأسأل الله أن يَتقبَّله منِّي، ويكتبه في ديوان حَسَناتي، وأن يَجعلَه خالصًا لوجهِهِ؛ مُبرَّءًا من شَوَائب الإحباط؛ إنَّه جوادٌ كريمٌ؛ غفورٌ رحيمٌ.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ سَيِّدنا ونَبيِّنا مُحمَّدٍ سَيِّد الأَوَّلين والآخرين، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أَجمعين.

كتبه

أحمد بن يحيى النجمي

في ٣٠ /٩ /١٤١٨هـ

ترجمة الإمام القرعاوي
(وصايا لطلبة العلم)

ترجمة الشيخ عبد الله القرعاوي
(وصايا لطلاب العلم)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه، وبعد:

ورد إليَّ خطابٌ من مندوب جريدة عكاظ بجازان، بدون رقم، بتأريخ ١٧/ ٨/ ١٤١٩هـ، وهو المدعو: محمد بن عبد الرحمن الدُّرييي، قال فيه: «مع إطلالة شهر رمضان المبارك تعتزم جريدة عكاظ من خلال صفحة الفكر، إلقاء الضوء علىٰ شخصيَّاتٍ إسلاميةٍ بارزةٍ أسهَمَت بجهودٍ وافرة في مجالات الدعوة والتعليم؛ ومن هذه الشخصيَّات المميَّزة الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لذلك نأمل من فضيلتكم التكرم بالإجابة علىٰ الأسئلة المرفقة، وأيَّ إضافاتٍ ترونها تُثري هذا الجانب الهام من حياة شيخنا القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والتكرم بإرسال الإجابة إلينا مشفوعةً بصورةٍ شخصية - وفَّقكم الله - مع كتابة الاسم والتوقيع، **وهذه الأسئلة علىٰ النحو التالي:**

س١/ نودُّ إعطاءنا نبذة عن بدايات هذا الداعية بالمنطقة؟

س٢/ بحكم معرفتكم الشاملة بفضيلة الشيخ عبد الله بن محمد

القرعاوي نرجو أن تُبيِّنوا لنا: أين تَلَقَّىٰ تعليمه؟ وما هي البلدان التي زارها لتلقي العلم؟

س٣/ اختيار منطقة جازان لتكون مقصد دعوته لا زال محلَّ سؤالٍ، كيف كان هذا الاختيار؟

س٤/ للشيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ صفاتٌ تُؤهله لمهمَّة الدعوة، فما هي هذه الصفات؟ وكيف كان أسلوبه في المعاملة مع الناس؟

س٥/ بصفتكم من أبرز تلاميذه منذ بداياتِ دعوته السلفية بصامطة، نرجو أن تبيِّنوا لنا: كيف انطلقت تلك البدايات المحدودة في مجال الدعوة والتعليم؟

س٦/ كانت الحالة الاجتماعية والاقتصادية بالمنطقة في حالة ضعف شديد، ونحن نسأل ونقول: كيف تَغلَّب الشيخ عبد الله علىٰ تلك المصاعب؟ ومَن ساعده في هذا السبيل في ذلك الوقت؟

س٧/ أين كانت بدايات دور العلم التي أنشأها فضيلة الشيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في المنطقة؟ وما هي وسائل دعمها؟

س٨/ عُرِفَت منطقة جازان بأنَّها بيئة عِلمية ذات عقيدة سلفية صحيحة، ولأهلها فطرةٌ سليمة، فهل ساعدت هذه العوامل علىٰ تسهيل مهمَّة الشيخ القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ؟

س٩/ ما هي العوامل التي أسهمت في نشاطات مدارس الشيخ عبد الله القرعاوي حتَّىٰ شملت المنطقة، وما جاورها من المناطق؟

س١٠/ ما مدىٰ تَقبل النَّاس وإقبالهم علىٰ دعوة الشيخ القرعاوي بالمنطقة وما جاورها؟

س١١/ تعددت وسائل الدعم ومؤازرة الدولة -وفقها الله- في عهد المغفور له -بإذن الله- الملك عبد العزيز، والملك سعود رحمهما الله، تعدد هذا الدعم بجهود الشيخ القرعاوي ومدارسه؛ نود أن تُحدِّثونا عن هذا الجانب؟

س١٢/ ما هي الثمار التي جَنَتها المنطقة وكانت محصِّلةً لجهود الشيخ القرعاوي وطلبته منذ تأسيس مدارسه ومعاهده العلمية؟

س١٣/ هل لكم -يا فضيلة الشيخ- من كلمةٍ أخيرةٍ تودُّ أن تقولها وفاءً بحق هذه الشخصية المميَّزة في عطاءاتها وجهودها المُوفَّقة؟

الإجابة على الأسئلة[١]

السؤال (١): نودُّ إعطاءنا نبذة عن بدايات هذا الداعية بالمنطقة؟

الجواب: لمَّا كانت الترجمة المطلوبة لشيخي رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان حقُّه عليَّ أكبر من ذلك بكثير، فقد لبَّيتُ الطلب؛ مستعينًا بالله عَزَّوَجَلَّ، فأقول:

عبد الله بن محمد القرعاوي، داعيةٌ معروف، ومعلِّمٌ قدير، عرفته منطقة جازان منذ أن قَدِم إليها عام ١٣٥٨هـ.

البدايات ثلاث:

١- بداية حياته، وهي مولده.

٢- بداية طلبه للعلم.

٣- بداية دعوته في المنطقة.

وكأنَّ المقصود بداية دعوته في المنطقة، ولكن لا بُدَّ من إلمامةٍ سريعةٍ بنسبه وولادته، وبداية طلبه للعلم.

فأمَّا نسبه: فهو عبد الله بن محمد بن حمد بن محمد بن عثمان بن

(١) **تنبيه:** تم إعادة كل سؤال قبل إجابته؛ لتتضح الإجابة.

علي بن محمد بن نُجيد القرعاوي، ولقِّبَ أحد أجداده بالقرعاوي؛ لأنَّه سكن قريةً يقال لها: القرعاء، من ضواحي بريدة.

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في يوم ١١ من ذي الحجة سنة ١٣١٥هـ، ونشأ يتيمًا في كَنَف والدته، وإشراف عمِّه، ذلك لأنَّ والده توفي وأمُّه حاملٌ به، وكانتِ امرأةً صالحةً، كما ذَكَر لنا، وقال: كانت بعد أن تصلي الفجر لا تُباشر شيئًا من أعمالها حتَّىٰ تقرأ شيئًا من القرآن.

فلمَّا بلغ سنَّ التمييز، درس القرآن الكريم، ثمَّ اشتغل بالتجارة مع عمِّه؛ لأنَّه كان فقيرًا حتَّىٰ بلغ من العمر خمسًا وثلاثين سنة، ثمَّ بعد ذلك اتجه إلىٰ دراسة العلم الشرعي؛ فدرس علىٰ علماء بلده؛ منهم: عمر بن سليم وأخوه، والشيخ محمد بن إبراهيم المفتي السابق، والشيخ محمد بن مانع، والشيخ عبد العزيز بن بشر.

وارتحل في طلب العلم مرَّتين؛ إلىٰ الهند (مدينة دلهي)، ودرس في المدرسة الرحمانية بها.

وكانت رحلته الأخيرة في عام ١٣٥٥هـ قرأ فيها الست الأمهات في الحديث، وقرأ شيئًا من علوم الآلة، وأخذ الإجازة في علم الحديث في ١٣/ ٧/ ١٣٥٧هـ، ثمَّ عاد إلىٰ بلده السُّعوديَّة.

والذي يظهر لي أنَّه لم يَمر علىٰ أهله في عودته، وإن كان مرَّ عليهم، فإنَّه لم يجلس عندهم، بل اتجه إلىٰ مكة، وجلس في مكتبة الحرم حوالي ستة أشهر -حسب ما ذَكَرَ لنا- قرأ فيها كتبًا كثيرة، وقال لنا: إنَّه كان لحرصه علىٰ القراءة لا يريد أن يشتغل بشيء.

قال: فكنت إذا خرجتُ للصلاة أشتري خبزًا، وأفتُّه بالماء، وآكله؛ فمكثت علىٰ هذا مدةً، فأحسست برأسي وشوشةً.

قال: فذهبت، فاشتريت تنكة سمنٍ؛ فكنت إذا أحسست بالجوع، آخذ شيئًا من الخبز، وأفتُّه بين السمن وآكله؛ فذهب عنِّي ما كنت أجد.

وفي هذه الأثناء فكَّر في الذهاب إلىٰ الجنوب، ولعلَّ الفكرة كانت تُراوده من قبل حين كان يدرس عند الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، وسمع في تلك الأثناء أنَّ في جنوب المملكة جهلًا كثيرًا من شِركيَّاتٍ وبدعٍ وغيرها.

وفي هذه المدَّة عُرِضت عليه الوظائف فأَباها، واستشار شيخه في الذهاب إلىٰ الجنوب، وقوَّىٰ مِن عزمه أنَّه رأىٰ النبيَّ ﷺ في النَّوم، وقال له في الرؤيا: اتَّجِه إلىٰ هذه الجهة! وأشار له إلىٰ الجنوب.

وفي يوم ٢٠ صفر اتجه إلىٰ جازان في سفينةٍ شراعيةٍ، ولمَّا وصل جازان اشترىٰ بضاعةً، واستأجر عليها جمَّالِين يحملونها، ورافقهم حتَّىٰ وصل صامطة؛ فاستأجر دكَّانًا، وأنزلها فيه، وقدم علىٰ قاضي صامطة في ذلك الحين، إذ وجد عنده طلابًا يدرسون شيئًا من المبادئ عنده، فكانت بداية تدريسه لهم، إذ كان القاضي مشغولًا لا يتفرغ لهم إلَّا أحيانًا في المساء، وهذا مبدأ دعوته في الجنوب.

وقد أعطاه الشيخ ناصر خلوفة طيَّاش مباركي جزءًا من داره، يبني فيه مدرسة؛ فبنىٰ فيها عريشًا، ومكث يدرِّس، وتسامع به الناس، وجاء إليه الراغبون في طلب العلم، وكان في البداية معه ستةٌ أو سبعة؛ هم: ناصر خلوفة، وعثمان حملي، وحسن حملي، ومحمد ماطر، ومحمد عثمان نجار،

ومحسن حملي، ويحيىٰ حسن مذكور.

وقد انضاف إليهم من الجرادية ثلاثة: هم محمد جابر صغير، ومنصور بهلول، ومرعي بن أحمد القحطاني.

ومن النجامية: حسن محمد شبير نجمي، وأخوه حسين محمد شبير نجمي.

وفي شهر رمضان عام ١٣٥٨هـ سافر الشيخ لزيارة أولاده، وعاد في ذي الحجة سنة ١٣٥٨هـ، ومرَّ بمكة، فأخذ شيئًا من الكتب وعاد إلىٰ الجنوب، وبنىٰ عريشًا كبيرًا مضافًا إلىٰ العريش الأوَّل، وبدأ التدريس في المدرسة في شهر ربيع الأول عام ١٣٥٩هـ، ولكن كثر الطلبة في عام ١٣٦٠هـ.

وكنت ممَّن انتظم في المدرسة باستمرار في أول عام ١٣٦٠هـ، ودخلت والشيخ حافظ ما زال يتداوىٰ من الختان.

السؤال (٢): بحكم معرفتكم الشاملة بفضيلة الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ، نرجو أن تُبيِّنوا لنا: أين تلقَّى تعليمه؟ وما هي البلدان التي زارها لتلقي العلم؟

الجواب: قد أشرت في بداية طلبه للعلم: أنَّه درس في المملكة علىٰ بعض علماء القصيم، وهم: عمر بن سليم وأخوه، وكان يدرُس في الرياض - أحيانًا - علىٰ الشيخ محمد بن إبراهيم المفتي السابق، وأنَّه درس في قطر علىٰ الشيخ محمد بن مانع، وعلىٰ الشيخ عبد العزيز بن بشر في الأحساء، وأنَّه

سافر إلىٰ الهند لطلب العلم مرتين، وذكر لنا أنَّه تعلم الكتابة في مدرسة الحلواني في مكة، وقد تجوَّل في كثير من البلدان، منها: مصر والشام وفلسطين والعراق؛ ليجد عالمًا سلفيًّا يدرسُ عليه، فلم يجد.

وأخيرًا، اتجه إلىٰ المدرسة الرحمانية في الهند، وهي مدرسةٌ يُدرَّس فيها الحديث علىٰ مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في العقيدة؛ فدرس بها أوَّل مرة، ورجع إلىٰ بلده حين كتبت له أُمُّه، فرجع، ووجد أنَّها قد توفيت قبل وصوله بأيامٍ قليلةٍ.

وسافر للهند السفرة الأخيرة في سنة ١٣٥٥هـ، ومكث فيها سنتين أو أكثر، قرأ فيها الأمهات، وأخذ الإجازة في ١٣/ ٧/ ١٣٥٧هـ من شيخه أحمد الله بن أمير القرشي.

لربما قال قائلٌ: فلِمَ لَم يطلب العلم في الأزهر، وهو المنارة المعروفة بالعلم آنذاك؟

وأقول: إنَّ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ نشأ في بلد توحيد، وتعلَّم التوحيد والعقيدة السلفية الصحيحة علىٰ مشائخ، وعرف أنَّ الدراسة في الأزهر علىٰ العقيدة الأشعرية، ورأىٰ من الشركيات في الأضرحة والمشاهد ما لا صَبر له عليه، وفي مصر من البدع المنتشرة ما قد جعلها النَّاس سُننًا؛ فرأىٰ ما لا طاقة له أن يتصدىٰ لها وينكرها، وإن سكت رأىٰ أنَّ السكوت علىٰ مثل ذلك أمرٌ عظيمٌ.

ثمَّ سافر إلىٰ بلاد فلسطين يسأل عن شيوخ العلم، فدُلَّ علىٰ شيخٍ، فلمَّا دخل عليه وجده جالسًا في وسط الحلقة، فقال: من أين جئت؟ قال: من الجزيرة العربية. قال: من أين منها؟ قال: مِن نجد. قال: أنت من الذين

يأكلون الشعير؟ قال: نعم. فقال له الشيخ: أتأذن يا شيخ؟ قال: نعم. قال: أليس النبيُّ ﷺ أكل الشعير؟ قال: بلىٰ. قال: أليس حين مات كان درعه مرهونة في ثلاثين صاعًا من شعير أخذها نفقةً لأهله؟ قال: بلىٰ. قال: فلِمَ تعيِّرنا بأكل الشعير؟! ألا تعلم أنَّ النبي ﷺ نهىٰ عن الجلوس وسط الحلقة؟ فقال: بلىٰ... فأفحمه.

والمهم: أنَّه قد سافر من حينه، فمرَّ علىٰ بيت المقدس، وعكَّا، وديار بكرٍ، وحلب، ودمشق، وغير ذلك، لكن لم يجد المشائخ السلفيين الذين يرضىٰ بالتلقي عنهم.

هذا فيما يظهر لي أنا، وإلَّا فإنَّه لم يشافهني بذلك، ولكنَّها الحقيقة.

السؤال (٣):اختيار منطقة جازان لتكون مقصد دعوته لا زال محلَّ سؤالٍ، كيف كان هذا الاختيار؟

الجواب: أوَّلًا وقبل كلِّ شيء: تلك عناية الله ومشيئته، أراد أن ينقذ بدعوته أقوامًا من الشرك والبدع والجهل والظلم إلىٰ التوحيد والسُّنَّة والعلم والعدل، ففعل.

جاء إلىٰ أقوامٍ متلهفين للعلم والمعرفة أشد من عطش الأرض المجدبة التي تتلهف للماء، فما هي إلَّا أيَّامٌ قلائل؛ فإذا هي قد توشحت بالخضِرِ والأزاهير، وما هي إلَّا أيامٌ قلائل وإذا بأُولئك الرجال قد انصبغت قلوبهم بصبغة الإيمان، وتعطرت ألسنتهم وأفواههم بتلاوة القرآن، وتَضوَّعت

جوارحهم بعبادة الرحمن، وكانوا دعاةً إلىٰ التوحيد، حربًا علىٰ أهل السحر والشعوذة وعبادة القبور والأوثان.

ولقد حصل لهم في أول الأمر ولشيخهم من أنواع الأذىٰ ما حصل، ونالوا من ذلك ما قد ضرب الله به في كتابه المَثل.

ولقد حصل لهم بوجود الدولة التي ما زالت تُؤيدهم وتُعضدهم خيرٌ كثير، وصرف الله عنهم بذلك شرًّا مستطيرًا.

وأخيرًا، توطدت دعائم دعوته، وانتشرت في جميع المنطقة، بل وخارجها بانتشار المدارس التي انتشر بها التوحيد، والحمد لله علىٰ ذلك، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

ومع ذلك فقد جعل الله لكلِّ شيءٍ سببًا، وكان السبب في اختيار هذه المنطقة بالذات بعد قضاء الله وقدره: أنَّ الشيخ عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ كان يجلس عند الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، فيسمع من أخبار المنطقة الجنوبية، وأنَّه يسود ويفشو فيها الشرك والبدع والظلم، وتنتشر فيها الملاهي والألعاب، ويختلط فيها الرجال بالنساء، وتقع بسبب ذلك مناكر عظيمة، وتُمنعُ المرأة من إرث أبيها، إلىٰ غير ذلك، فألقىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في قلب شيخنا ما جعله يُفكر في ذلك كثيرًا حتَّىٰ رأىٰ تلك الرؤيا، وهو مجاورٌ في الحرم، ويقرأ في مكتبة الحرم الليل والنهار؛ فزاد ذلك من رغبته، واستشار شيخه المفتي السابق الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، فأشار عليه، ودعا له بخيرٍ؛ فقوِيَ العزم، وتوطدت النية، وكان الإيمان عميقًا، والمحبة في الجهاد كبيرة، وحبُّ التضحية كثيرًا، فأحيا الله به قلوبًا، ونوَّر الله بعلمه أفئدةً حتَّىٰ أنَّه -فيما

أظنُّ- قلَّ ما أمسىٰ رجلٌ ولا امرأة في منطقة جازان إلَّا وله في عنقه مِنَّة؛ لأنَّه إمَّا أن يقرأ فيستفيد، وإمَّا أن يَسمع فيستفيد بالسماع.

السؤال (٤): للشيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ صفاتٌ تُؤهله لمهمَّة الدعوة، فما هي هذه الصفات؟ وكيف كان أسلوبه في المعاملة مع الناس؟

الجواب: إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وفَّقه رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ صفات الداعية المأمور بها شرعًا، وإن كان بعضها يتنافى مع جِبلته التي خُلق عليها أصلًا؛ فتخلَّق رَحِمَهُ اللَّهُ بضدها؛ فمثلًا كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في الأصل في خُلقه حِدَّة، ولكنه تَخلَّق بالصبر والحلم تأسيًا بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما في قوله جلَّ مِن قائل: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:٣٤].

فنقول:

أوَّلًا: إنَّ من أبرز صفات الشيخ التىٰ نال بها ما نال: الصبر؛ فقد كان يُخبرنا أنَّ فلانًا وَقَع فيه[1]، وافترىٰ عليه بأشياء؛ فيأتي إليه ذلك الشخص، فيقوم إليه، ويُرحب به ويُعانقه، وكأنَّ شيئًا لم يَحدث.

ثانيًا: ومن تلك الصفات: الحُلم: فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ حليمًا، يَحلم عمَّن أساء إليه.

(١) أي: في عرضه بالغيبة والبهتان.

ثالثًا: قوة التحمل: فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ قويَّ التحمل، ويقابل الإساءة بالإحسان.

رابعًا: عُمق الإيمان، الذي يجعله يتحمَّل الأمور العظيمة من غير تضجُّرٍ؛ رجاءً للثواب وعظيم الأجر من الله؛ عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

خامسًا: الأناة في الأمور، وعدم التسرع فيها؛ فقد كان يأتيه أحدُ طلَّابه منفعلًا، فيهدئه ويُصبره رَحِمَهُ اللَّهُ، ثمَّ يَتبيَّن للطالب فيما بعد أنَّ الصواب كان معه رَحِمَهُ اللَّهُ.

سادسًا: الكرم، وقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ يُكرم رؤساء القبائل إذا بدا من رئيس القبيلة معارضة لأمرٍ من أمور الدعوة، وقد أرسل أحد طُلَّابه إلىٰ قريته ليفتح مدرسة، فلمَّا علم شيخ القرية، قال لجماعته (وكانوا أصحاب ماشية): خَلُّوا (أي: اتركوا) أولادكم يُسرِّحون ماشيتكم، ما تنفعكم إلَّا دوابكم؛ لا تطاوعوا جماعة القرعاوي.

فجاء الطالب يشكو ما لَقيه من شيخ القرية وأهلها، فلقيَ الشيخُ بعد ذلك رئيسَ القرية الذي قال ما قال، فاستقبله واحتضنه ورحَّب به، ثمَّ أعطاه حبَّة جنيه ذهب، وقال له: خذ هذه ولا يراها أحد، ولا تُخبر بها أحدًا، ولم يَقل شيئًا بخصوص المدرسة، فلمَّا رجع، أرسل لأعيان قبيلته فحضروا، فقال لهم: أرسلوا أولادكم إلىٰ المدرسة، والدواب اجعلوا فيها

أُجراء؛ فالعلم هو الذي سينفع أولادكم، هذا الشيخ القرعاوي دُرَّةٌ ونعمةٌ ساقها الله إليكم.

نحو هذا بلغني من ثقةٍ من طلَّاب الشيخ، وممَّن هم قريبون من هذه القبيلة، وهذا يدل علىٰ ما كان يَتمتع به شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ من حكمةٍ، وحسنِ تَصرفٍ، وهذا كان في أوَّل الأمر.

ولمَّا أُعطي مدارس في عهد الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ، كان يجعل رئيس القبيلة مُراقبًا، وبعض الأعيان فرَّاشًا، وهذا يقاوله علىٰ إحضار الماء؛ فوظَّف رؤساء القبائل وأعيانهم، فصاروا كلُّهم خَدَمًا للدعوة.

السؤال (٥): بصفتكم من أبرز تلاميذه منذ بداياتِ دعوته السلفية بصامطة، نرجو أن تبيِّنوا لنا: كيف انطلقت تلك البدايات المحدودة في مجال الدعوة والتعليم؟

الجواب: كانت دعوة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تعتمد علىٰ التعليم أكثر منها علىٰ الكلمات الوعظية؛ فكان يُركز علىٰ تعليم مجموعةٍ من الشباب، ويختار منهم مَن يرىٰ أنَّه قد فهم شيئًا من أصول الدِّين، فيرسله مُعلِّمًا وداعيًا إلىٰ إحدىٰ القرىٰ، فيفتح له مدرسة.

وكان في مساء يوم الخميس من بعض الأسابيع يذهب مع بعض تلاميذه الكبار إلىٰ إحدىٰ القرىٰ، فيلقي عليهم المواعظ بخصوص التوحيد، والصلاة وصفتها، وغير ذلك.

وربما يُعطي بعض تلاميذه إشارةً بالخروج يوم الجمعة، وإذا سمعوا

بمشعوذٍ طاردوه؛ فإمَّا أن يُلقوا عليه القبض ويذهبوا به إلىٰ الأمير أو القاضي فيسجنه، أو يفرَّ إذا كان من غير أهل البلد، فلا يعود.

السؤال (٦): كانت الحالة الاجتماعية والاقتصادية بالمنطقة في حالة ضعف شديد، ونحن نسأل ونقول: كيف تَغلَّب الشيخ عبد الله على تلك المصاعب؟ ومَن ساعده في هذا السبيل في ذلك الوقت؟

الجواب: كان الأمر كما قلت، ولكن كانت عنايةُ الله ﷻ بذلك الداعية ودعوته عظيمةً؛ لأنَّه علىٰ حقٍّ، ويدعو إلىٰ حقٍّ؛ فألهمه الله -جلَّ وعلا- أنَّه إذا كان خصبٌ وزراعةٌ في ناحية من النواحي القريبة من صامطة، نقل المدرسة إلىٰ القرية المخصبة، واجتمع بكبار أهل القرية وأغنيائهم، ورغَّبهم فيما عند الله، وحثَّهم علىٰ مساعدة طلَّاب العلم، وكلُّ واحدٍ منهم يأخذ من الطلَّاب الذي يستطيع عليه؛ واحدًا أو اثنين أو ثلاثة أو أكثر.

ولمَّا عمَّ القحطُ في الجهات في عام ١٣٦٢هـ، فتح مدرسةً في البيض، وجعل بعض طلبته مُدرسًا فيها، ثمَّ افتتح مدرسةً في ضمد، وهكذا.

وفي رَجعته الأخيرة كان له مالٌ قليلٌ، وكان يعطي بعض أصحاب البيع والشراء في صامطة مُضاربة، وكان يجمع ما حصل له، ويشتري ذرة في أيام الحصاد عند رخص الذرة، ويشتري قوطة كثيرة (أي: طماطم)، ويُعامل بائعات الحِقْنَة[1] (أي: لبن البقر)، ويؤجر علىٰ الطحين (أي: الذرة

(١) هذه من اللهجات الدارجة عندنا في منطقة جازان.

المطحونة)، ولعلهم يخلطون معه شيئًا من البُر، ويجمع الطلبة لمدة ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر، وفي الضحىٰ يعطي كلَّ واحد نصف قرص من الذرة، ويجعل من طلبته مُدرسين لهؤلاء، وتكون الدراسة جِدِّيَّة؛ فإذا انتهىٰ ما عنده من الطعام، أو قَرُب ينتهي، فرَّقهم في القرىٰ مُدرسين، وكلُّ واحدٍ منهم يكتب له الشيخ إلىٰ رئيس القرية ليكون مُدرسًا فيها، ويتحمَّلون نفقته، ولو بالتداول كلَّ أسبوع عند واحد، أو كلَّ شهر عند واحد.

وهكذا أمضىٰ ما بين الستين إلىٰ ما يقارب عام ١٣٧٤هـ أو ١٣٧٥هـ ولمَّا وجد من طلَّابه موظَّفين، كان يُوزع بعض الطلبة المرابطين في المدرسة السلفية علىٰ بعض طلَّاب العلم المُوسرين.

والطريقة الأولىٰ كان معمولًا بها من دخول سنة ١٣٦٧هـ في موضعين؛ في بيش علىٰ يد الشيخ حافظ، وفي صامطة علىٰ يد الشيخ ناصر خلوفة، وبعد فتح المعهد، عادت كلُّها إلىٰ صامطة حين انتقل الشيخ حافظ إلىٰ صامطة مرَّة أخرىٰ، وبقي الشيخ ناصر علىٰ هذه الطريقة زمنًا بعد توقف عامَّة المدارس، رحم الله الجميع.

السؤال (٧): أين كانت بدايات دور العلم التي أنشأها فضيلة الشيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في المنطقة؟ وما هي وسائل دعمها؟

الجواب: كانت المدرسة السلفية بصامطة هي الأم، وظلَّت هي الأم، وقد افتتح مدرسةً في ضمد، وكان المدرس فيها هادي بن علي مطيع، وكذلك كان

مديرًا للمدرسة قبل أن يُعيَّن قاضيًا، وافتتح مدرسةً في فيفا، وكان المدرس فيها الشيخ محمد بن يحيىٰ القرني قبل أن يعيَّنَ قاضيًا.

وفتح مدرسةً في الدرب، وكان المدرس فيها يحيىٰ بهلول زمنًا.

وقد افتتح مدرسةً في بيش، وكان المدرس فيها عمر جردي، ثمَّ حسين عبد الله.

ثمَّ بعد ذلك انتقل الشيخ حافظ إلىٰ بيش؛ فكانت المدرسة في أمِّ الخشب من عام ١٣٦٧- ١٣٧٣هـ وقصده الطلَّاب من كلِّ ناحية، وكذلك أيضًا فتح مدرسةً في صبيا، وكان فيها الشيخ عمر جردي إمامًا ومُدرسًا.

وفتح مدرسةً في البيطارية، وكان فيها الشيخ أحمد جابر.

وفتح مدرسةً في المضايا، وكان فيها محمد عثمان نجار.

وفتح مدرسةً في البرك، وكان فيها حسن زيد قبل أن يُعيَّن قاضيًا.

والمهم: أنَّ المدارس التي بَقيت واستمرَّت هي مدرسة صامطة، ومدرسة ضمد، ومدرسة بيش، وهناك مدارس لم أذكرها، وهي مدرسة الطوال، وكان فيها الشيخ حسين بن محمد النجمي حتَّىٰ عُيِّن قاضيًا في عام١٣٧٢هـ ومدرسة المباركة وهي قريةٌ عنطوطة، وكان المدرس فيها الشيخ حسن بن محمد النجمي، وبقيَ إلىٰ أن عُيِّن قاضيًا في عام ١٣٧٢هـ ومدرسة النجامية كان فيها كاتب هذه الأسطر، وبقيتُ فيها إلىٰ أن عُيِّنتُ في المعهد العلمي عند افتتاحه، ومدرسة في اللقية، وكان فيها الشيخ منصور بهلول حتَّىٰ عيِّن قاضيًا، ومدرسة الجرادية، وكان فيها محمد جابر مدخلي، إلىٰ غير ذلك من المدارس.

ثمَّ فُتحت مدارس كثيرة بعد مجيء الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ المنطقة في عام ١٣٧٤هـ، حتَّىٰ خرجت عن منطقة جازان إلىٰ أبها ونجران وبيشة والقنفذة والباحة.

وأمَّا وسائل دعمها، فكان قبل عام ١٣٧٣هـ الذي تَحدثت عنه سابقًا وبعده، كان هناك وظائف ورواتب، واستمرت إلىٰ أن وُقِّفَت في عام ١٣٧٩هـ.

السؤال (٨): عُرِفت منطقة جازان بأنَّها بيئة عِلمية ذات عقيدة سلفية صحيحة، ولأهلها فطرةٌ سليمة، فهل ساعدت هذه العوامل على تسهيل مهمَّة الشيخ القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ؟

الجواب: القول بأنَّ منطقة جازان عُرفت بأنَّها منطقة علمية ذات عقيدة سلفية صحيحة، هذا فيه نظرٌ من وجهين:

الأول: أنَّ منطقة جازان ليست كلَّها ذات بيئة علمية، بل معظمها يسيطر علىٰ أهلها الجهل والجفاء، ولم تُعرَف البيئة العلمية قبل مجيء الدولة السُّعوديَّة إلَّا في ضمد؛ فقد عرف منهم علماء فطاحل، منهم: الشيخ محمد ابن ناصر الحازمي، ومنهم الشيخ الحسن بن خالد الحازمي، ومنهم الشيخ الحسن بن أحمد العاكشي، وما عدا أهل ضمد فالعلم قليل، بل يكاد يكون معدومًا.

الوجه الثاني: قولكم: «ذات عقيدة سلفية صحيحة»: هذا فيه نظرٌ أيضًا؛ فإنَّ المنطقة كانت قبل مجيء الشيخ وحين مجيئه تُسيطر عليها الخرافات

والسحر والشعوذة وشرك القبور والبدع، وتسيطر علىٰ أهلها عاداتٌ مخالفةٌ للإسلام.

نعم، كانت المنطقة سليمةً من عقائد التشيع والرفض، وخاليةً من عقائد الصوفية والتجهم والاعتزال، لكنَّها لم تَسلم من شرك القبور والسادة[1] والكهانة والسحر وغير ذلك؛ فأين تكون العقيدة السلفية الصحيحة من هذه المعتقدات والأعمال المخالفة للشرع، علمًا بأنَّ أهل العلم في المنطقة -وإن وجِدُوا- فإنَّهم لم توجد منهم دعوة إلىٰ ترك الشرك والعقائد المُنحرفة والبدع، وإن وجد منهم شيءٌ في المجال النظري؛ لم يوجد في المجال العملي.

والمهم: أنَّ إطلاق القول بأنَّ أهل المنطقة هنا علىٰ العقيدة السلفية الصحيحة غير واردٍ إلَّا من باب إطلاق المُؤرِّخين الذين يقولون: أهل بلادِ كذا سُنِّيون، ويقصدون أنَّهم غير شيعة، ولا خوارج، ولا معتزلة، [ولا] قدرية، ولا صوفية.

ولا شكَّ أنَّ خلو المنطقة من هذه العقائد المنحرفة ساعد الشيخ علىٰ نشر المذهب السنِّي السلفي، والعودة بأهل المنطقة إلىٰ العقيدة السلفية الصحيحة، وإزالة ما علقَ بها من شركيَّاتٍ وبدعٍ وخرافاتٍ.

ولا ننسىٰ أنَّ لدولة الملك عبد العزيز النصيب الأكبر، والحظ الأوفر في القضاء علىٰ كلِّ المظاهر المُنافية للشرع الإسلامي؛ فما إن يَستقر مُلكُه علىٰ

(١) السادة: هم الأولياء والمعظمون في نظر الجُهَّال.

بلدٍ إلَّا ويزيل منها مظاهر الشرك؛ فيأمر بالقضاء علىٰ الأضرحة، وهدم الأبنية التي تُقام علىٰ القبور، ويمنع البدع الظاهرة المنتشرة في البلاد التي يستولي عليها.

وأذكر وأنا صغير أنَّه عندما استقرَّت سلطة ابن سعود رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ منطقة جازان، مَنَعَ ما يسمَّىٰ بالوحشة، وهي تفرقة التمر والطعام عند الدفن للميت، ومَنَع الموالد التي كانت تُعمل في اليوم الثالث أو السابع بعد الموت، ومنع الختان الجاهلي، وهو السلخ إلىٰ السُّرَّة، أو كامل القصبة الذي كان سائدًا في المنطقة، ولمَّا تجاوز بعض النَّاس وختنوا علىٰ العادة الجاهلية، قُطِعت أيدي سبعة من الختَّانين في المنطقة، وكان في ذلك العلاج الحاسم لتلك العادة المُنكرة.

وقضىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ الختان العلني بحيث ألَّا يُختن الولد إلاَّ بعد أن يَظهر شاربه، ويجلسون شهرًا يلعبون، وفي يوم الختان يجعلون المدرَّمة، وهم الشباب الذين يريدون الختان علىٰ مكانٍ مرتفعٍ، ويكشفون عن ذكر الشاب أمام الرجال والنساء، ويسلخه الختَّان بعد أن يتدب ويبحجر بعينيه (أي: يبالغ في فتح عينيه)، فإن رفَّ طرفه، أي: تحرَّك جفنه، أو تحرَّكت منه بشرة. قالوا: تَرَغَّل (أي: جَبُن)، وسبُّوه جميعًا؛ الرجال والنساء، وإن سلَّمه الله شكروه، وقبَّلوا رأسه، فقضت الدولة علىٰ هذه المظاهر.

فرحم الله الملك عبد العزيز رحمة الأبرار الأخيار؛ لقد كان من المُجددين للإسلام الذين يُحيي الله بهم ما اندثر من الدِّين؛ لكون ذلك المَلِك صاحب سُنَّة، وكان حوله علماء أبرار، وأئمةٌ أخيار من آل الشيخ

وغيرهم، وكانت سُلطته تُعد امتدادًا لسلطة أجداده محمد بن سعود وأنجاله، رحمهم الله، والعلماء حوله علىٰ المنهج السلفي؛ لأنَّهم علىٰ منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وأنجاله، وتلاميذه، رحمهم الله رحمة الأبرار.

وقد جاء الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي علىٰ هذا الوضع، فأصلح ما بقي، وعلَّم النَّاس وعرَّفهم علىٰ السُّنَّة والتوحيد، وقضىٰ علىٰ ما بقي من مظاهر الشرك والبدع التي كانت من مُخلَّفَات الجاهلية، فاجتمع الإصلاح العلمي إلىٰ الإصلاح السياسي؛ فتواءما وتعاونا؛ إذ سار أولاد الملك عبد العزيز علىٰ نهج والدهم، رحم الله مَن وافىٰ أجله منهم، وحفظ الله من بقي، إلَّا أنَّه في الوقت الحاضر ينبغي التنبه للحزبيات الوافدة التي تغلغلت بطريقةٍ خفيةٍ، فحوَّلت بعض شبابنا عن المنهج السلفي الحق، وأدخلت فيهم ما أدخلت من العقائد الغريبة علىٰ الإسلام.

نسأل اللهَ أن يُثبتنا علىٰ دينه حتَّىٰ نلقاه علىٰ ذلك، وأن يُثبت دولتنا علىٰ الحق، ويبصرها بالخَلل، ويُعينها علىٰ إصلاحه.



السؤال (٩): ما هي العوامل التي أسهمت في نشاطات مدارس الشيخ عبد الله القرعاوي حتَّى شملت المنطقة، وما جَاوَرَها من المناطق؟

الجواب: أَوَّلًا: ذلك بعد عناية الله وتسديده وعونه.

ثانيًا: ومن ذلك معاضدة الدولة له سياسيًّا وماديًّا، جزىٰ الله الدولة خير

الجزاء علىٰ ما قدَّمته وتُقدمه من مُنَاصرةٍ للعقيدة السلفية وأهلها مِن مملكتنا الحبيبة.

ثالثًا: قد تقدَّم أن تحدثت عن هذا الموضوع، وكيف كان الشيخ يُحاول ويُدبر ويستعين بما يأتيه من الدولة من مساعدةٍ.

السؤال (١٠): ما مدى تَقبل النَّاس وإقبالهم على دعوة الشيخ القرعاوي بالمنطقة وما جاورها؟

الجواب: كان إقبال النَّاس علىٰ دعوة الشيخ ومدارسه عظيمًا، وبالأخص بعد أن لمسوا فائدتها، وعرفوا جدواها؛ لقد عارض بعض الآباء حين رحَّل الشيخ أوَّل دفعةٍ من المعهد بعد وفاة الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان قد رحَّلهم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ حسابه، فلمَّا نجحوا وعادوا مُدرسين، وبعضهم قضاة، عرف النَّاس جدوىٰ الدراسة، ولمسوا فائدتها؛ فجزىٰ الله ذلك الشيخ خير الجزاء، ورفع درجته في الفردوس الأعلىٰ؛ فجعلوا يتبارون بعد أن عرفوا الفائدة من وراء الدراسة، والحمد لله علىٰ ذلك.

السؤال (١١): تعددت وسائل الدعم ومؤازرة الدولة -وفقها الله- في عهد المغفور له -بإذن الله- الملك عبد العزيز، والملك سعود رحمهما الله، تعدد هنا الدعم بجهود الشيخ القرعاوي ومدارسه؛ نود أن تُحدِّثونا عن هذا الجانب؟

الجواب: إنَّ الشيخ كان حين بدأ دعوته وفتح مدرسته السلفية ليس له بيتٌ ولا مأوىٰ إلَّا المسجد، وبيت القاضي الشيخ إبراهيم العمودي رحمهما الله جميعًا، وكان لا بُدَّ لكلِّ مصلحٍ من مُعارضين يحاولون طمس الحق، وقَلب الحقائق، فرفع قومٌ من الأشرار فيه، وفي طلبته؛ فأرسل الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ هيئةً تَستطلع الخبر برئاسة الشيخ فيصل المبارك، والشيخ محمد علي البَيز؛ فنقل الشيخ المدرسة في المسجد، وأنزل الضيف في المدرسة، وواصلوا البحث والنقاش معه ومع طلبته، وخرجوا بصورةٍ مشرِّفة، واقترحوا فيما بلغنا أن يُعطىٰ الشيخ مرتَّبًا قدره ستون ريالًا شهريًّا، وكانت الستون ريالًا في ذلك الزمن شيئًا كثيرًا، وأن يُعطىٰ طلبته الثابتون علىٰ عشرة ريالات، وكانت نواة خير.

ثمَّ بعد ذلك تَوَاصل الخير، وتَوَاصل الدعم؛ ففي عام ١٣٦٥هـ، رفع أعداءُ الدعوة علىٰ عادتهم في طمس الحق وقلب الحقائق؛ فأرسل الملك عبد العزيز لجنةً من آل الشيخ، ومروا علىٰ المدارس، وأخذوا الحقائق، فأفادوا بأنَّ الشيخ وطلبته علىٰ العقيدة السلفية، وأوصوا بفتح ستٍّ وعشرين مدرسة، في كلِّ مدرسةٍ معلِّمٌ ومساعدٌ.

وفي عام ١٣٦٦هـ حجَّ الشيخ، وجلس في مكة يُراجع في إنجاز تلك المدارس حتَّىٰ نجحت، وقرَّروا لكلِّ مدرسٍ ثمانين ريالًا، ولكلِّ مساعدٍ ستين ريالًا.

ولم يزل الدعم يتواصل للشيخ وطلبته؛ فعُيِّنَ منهم قضاة، وكتَّابُ عدلٍ، ومُدراء مدارس، ومُدرسين، ورؤساء هيئةٍ، وأعضاء هيئة.

وفي عام ١٣٧٣هـ عُيِّن الشيخ معتمدًا للمعارف في منطقة جازان، وكانت مدارسُ المعارف تابعةً له.

وفي نهاية هذا العام اعتذر واستقال من المعارف.

وكان الشيخ قد راجع في فتح معهدٍ علميٍّ بصامطة؛ ففتح في عام ١٣٧٤هـ، وزَاره الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ حين زار المنطقة.

وأخيرًا وافق للشيخ القرعاوي علىٰ ميزانيةٍ خاصة لمدارسه؛ ففتح مدارس كثيرة تعدَّت المنطقة إلىٰ اليمن، وإلىٰ أبها، وبيشة، والباحة، والطائف، ونجران، والقنفذة.

والمهم: أنَّ الدولة دَعمت الشيخَ القرعاوي دعمًا عظيمًا؛ فجزىٰ الله دولتنا خير الجزاء علىٰ ما قدمت للدعوة السلفية من دعمٍ عظيمٍ.

السؤال (١٢): ما هي الثمار التي جَنَتها المنطقة وكانت محصِّلةً لجهود الشيخ القرعاوي وطلبته منذ تأسيس مدارسه ومعاهده العلمية؟

الجواب: إنَّ الحصيلة هي نشر العلم بدلًا من الجهل، والسُّنَّة بدلًا من البدعة، والتوحيد بدلًا من الشرك، والعدل بدلًا من الجور، والحق بدلًا من الباطل، والحمد لله علىٰ ذلك.

لقد كان قبل مجيء الشيخ يبحث الواحد عمَّن يحُلُّ له قضيةً فَرضيَّة فلا يجد، وقد يسافر إلىٰ مكان بعيد، ولـمَّا انتشرت مدارس الشيخ القرعاوي،

وُجِد الكثيرُ من طلَّاب العلم يَحلُّون المسائل الفَرضية أو بعضها، وإنَّك لتجد الفرقَ بين منطقة جازان وما يجاورها في الوعي الدِّيني، تجد الفرقَ كبيرًا، والبون شاسعًا؛ فالعلم نورٌ، والجهل ظلامٌ دامس؛ فانظر -رعاك الله- الفرق بين حال المنطقة الآن، وحالها قبل مجيئه.

السؤال (١٣): هل لكم -يا فضيلة الشيخ- من كلمةٍ أخيرةٍ تودُّ أن تقولها وفاءً بحق هذه الشخصية المميَّزة في عطاءاتها وجهودها المُوفَّقة؟

الجواب: ماذا أقول، وأنا أعتقد أنِّي مهما قلت، فلن أُوفِّي شيخي حقَّه؛ لأنَّه كان لنا ولجميع طلَّاب العلم الأب الحَنون بل أشد، وكان يبذل في نشر العلم كلَّ غالٍ ونفيس، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يُنفق كلَّ ما يملكه علىٰ طلَّاب العلم.

وأخيرًا إنَّ لشيخنا -نحن طلبته- في أعناقنا مِنَنًا؛ لأنَّه علَّمنا وربَّانا ووظَّفنا، فلم نُقدم في وظيفة، ولم نُراجع فيها، بل إنَّه لا يشعر الواحد منَّا إلَّا حين يقول له: أنت عُيِّنت في كذا، أو يعطيه القرار؛ فهذا قاضٍ، وهذا مدرس، وهذا مدير مدرسة، وهذا رئيس هيئة، وهذا عضو هيئة، وهذا إمامٌ وخطيب، وهذا مُقدِّر شجاج، وهذا مأذون عقود، وهذا كاتب ضبط، وهذا كاتب عدلٍ، إلىٰ غير ذلك.

فيا إخواني طلَّاب العلم القدامىٰ، وأنتم يا مَن درستم في المعهد العلمي الذي أسَّسه شيخُنا في هذه المنطقة، اعرفوا للشيخ حقَّه، وأكثروا من الدعاء والاستغفار له؛ فلعلَّكم إن فعلتم ذلك، تُؤدُّون بعض حقِّه عليكم.

وأنا أقول: إنَّه لم يَطلب من أحدٍ جزاءً إلَّا من الله، ولكن من باب مكافأة المعروف؛ فهذا نعتبره حقًّا واجبًا علينا، نأثم بتركه.

اللهمَّ اجزِ شيخنا عنَّا خير ما جَزيت شيخًا عن تلامذته، ومُحسنًا عمَّن أحسن إليهم.

وفي الختام: مَن أراد الاستزادة عن ترجمة الشيخ فعليه أن يَرجع إلىٰ كتاب «النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السُّعوديَّة لصاحبها فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي»، بقلم تلميذه الشيخ عمر بن أحمد جردي المدخلي، وإلىٰ كتاب «الطيف العابر»، لعلي بن قاسم فيفي، و«ترجمة الشيخ القرعاوي»، لتلميذه الشيخ موسىٰ بن حاسر سهلي.

وأخيرًا؛ أشكر اللهَ عَزَّوَجَلَّ علىٰ ما هَيَّأ من هذه المناسبة، ثمَّ أَشكر القائمين بجريدة «عكاظ» علىٰ اختيار هذه الشخصية الدعوية الفَذَّة؛ للتنويه بها، وإظهار فضلها الذي لعلَّه يخفىٰ علىٰ كثيرٍ من الناس؛ فجزاهم الله خيرًا، ووفَّقهم لما يُحبُّه ويرضاه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كتب هذا

أحمد بن يحيى النجمي

الغلو
أسبابه وعلاجه

الغلو أسبابه وعلاجه

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه، وبعد:

فقد أرسل الله ﷻ محمدًا عبده ورسوله ﷺ بالهدىٰ ودين الحق؛ ليظهره علىٰ الدين كله، ولو كره المشركون، وجعل دينه وسطًا بين طرفين مذمومين، وحقًّا بين باطلين مَنبوذين؛ أحدهما: طرف الغلو، وهو الزيادة عن الحق، والإيغال في التشدد. والثاني: طرف التقصير عمَّا أمر الله به بالتفريط في الواجبات، والتجرؤ علىٰ المحرمات؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

فهم الوَسَط في فِرَق هذه الأمة؛ كما أنَّ الأمة هي الوَسَط في الأمم قبلها.

فهم وسطٌ في باب صفات الله تعالىٰ بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المُشبِّهة.

وهم وسطٌ في باب أفعال الله تعالىٰ (القَدر) بين الجبرية، والقدرية النُّفاة.

وهم وسطٌ في باب الإيمان أيضًا بين الحَرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية.

وهم وَسَطٌ في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الرَّافِضة والخَوَارج.

إذ قد عُلم أنَّ الوسط هو مَقامٌ مُعتدل بين الغُلوِّ والجَفَاء، والتفريط والإفراط، وهو الطريق الذي أمر الله به تعالىٰ، وسار عليه رسوله ﷺ حتَّىٰ توفاه الله، وأخبر أنَّ السلامة في سلوكه، والهلكة في الزَّوَغان عنه؛ قال ﷺ: «**قَد تركتُكم علىٰ البيضاء، ليلها كنهارها، لا يَزيغ عنها بعدي إلَّا هالك**»(١).

فأخبر أنَّ الهلكة بالزوغان عنها، والميل عن سَمْتِها.

وهذا ما قرَّره اللهُ تعالىٰ في قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣]، وما قرره تعالىٰ في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية:١٨، ١٩].

تعريف الغلو، والأدلة على ذَمِّه:

الغُلو هو: المُبَالغة في الشيء، ورَفعه فوق منزلته، وإعطاؤه فوق ما يستحقه، يقال: غلا السِّعر، أي: ارتفع ثمن الطعام أو غيره فوق عادته، ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه: «أيها الناس، لا تُغالوا في صَدُقات النساء، فلو كان ذلك خيرًا لسَبقنا إليه رسولُ الله ﷺ»(٢).

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٨/ ٣٦٧) (١٧١٤٢)، وابن ماجة (٤٣) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح ابن ماجة» (٤٣).

(٢) أخرجه الترمذي (١١١٤)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «ألا لا تغالوا صدقة النساء؛ فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوىٰ عند الله، لكان أولاكم بها نبي الله ﷺ، ما علمت =

قال ابن منظور في «لسان العرب» في (١٥/ ١٣١، ١٣٢): «وأصل الغلاء: الارتفاع والمجاوزة في كل شيء...».

إلىٰ أن قال: «وغلا في الدِّين والأمر يغلو غُلوًّا: جاوز حدَّه، وفي التنزيل: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء:١٧١]...، وفي الحديث: «**إياكم والغُلوَّ في الدِّين**»[(١)]، أي: التشدد فيه ومجاوزة الحد؛ كالحديث الآخر: «**إنَّ هذا الدين متينٌ، فأَوغِل فيه برفق**»[(٢)]، وقيل: معناه: البحث عن بواطن الأشياء، والكشف عن عِللها، ومُتعبَّداتها، ومنه الحديث: «**وحامل القرآن غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه**»[(٣)]، إنَّما قال ذلك لأنَّ من آدابه وأخلاقه التي أمر الله بها القصد في الأمور، وخير الأمور أوسطها، ثمَّ كلا طرفي قصد الأمور ذميم». اهـ.

وإذا علمنا هذا فلا بُدَّ أن نعلم الأدلة الدالة علىٰ ذم الغلو وضده من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

=

رسول الله ﷺ نكح شيئًا من نسائه، ولا أنكح شيئًا من بناته علىٰ أكثر من ثنتي عشرة أوقية»، وقال: «حسن صحيح»، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترمذي» (١١١٤).

(١) أخرجه ابن ماجة (٣٠٢٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح ابن ماجة» (٢٤٥٥).

(٢) أخرجه البيهقي في «الكبرىٰ» (٣/ ٧) (٤٧٤٣) من حديث جابر رضي الله عنه، وضعفه الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع» (٤٨٣٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٤٣) عن أبي موسىٰ الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**»، وقال الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود» (٤٨٤٣): «حسن صحيح».

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ ﴾ [النساء:١٧٠].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾ [النساء:١٧١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: «يَنهىٰ اللهُ تعالىٰ أهلَ الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثيرٌ في النصارىٰ؛ فإنَّهم تجاوزوا حد التصديق بعيسىٰ حتَّىٰ رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلىٰ أن اتخذوه إلهًا من دون الله؛ يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غَلَوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنَّه علىٰ دينه؛ فادَّعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه؛ سواء كان حقًّا أو باطلًا أو ضلالًا أو رشادًا أو صحيحًا أو كذبًا، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم قال: زعم الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس، عن عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تُطروني كما أطرت النصارىٰ عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فإنَّما أنا عبدُ الله**

ورسولُه»[١]. ثمَّ رواه هو وعلي بن المديني عن سفيان، وهكذا رواه البخاري عن الحميدي، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري به، ولفظه: «**إنَّما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[٢].

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسىٰ، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رجلًا قال: «يا محمد، يا سيِّدَنا وابن سيدنا، وخيرَنا وابن خيرنا! فقال رسول الله ﷺ: «**أيُّها الناس، عليكم بقولكم، ولا يَستهوينَّكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبدُ الله ورسوله، والله ما أحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني اللهُ عَزَّوَجَلَّ**»، تفرد به أحمد[٣]. انتهىٰ. «تفسير ابن كثير» في (١/ ٥٩٠، ٥٩١).

وفي الحديث أيضًا: «**إيَّاكم والغُلوَّ في الدِّين؛ فإنَّما أهلك مَن كان قبلكم الغُلو في الدين**». انظر «صحيح الجامع» للألباني، برقم الحديث (٢٦٧٧)، وعَزَاه إلىٰ أحمد، والنسائي وابن ماجة، والحاكم، وأشار إلىٰ رقمه في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (١٢٨٣).

ما هي أقسام الغلو؟

وأقول: ينقسم الغلو إلىٰ أقسام، منها:

١- **الغلو في الأشخاص**؛ كغلو النصارىٰ في عيسىٰ ابن مريم، وغلو الشيعة في علي بن أبي طالب وذريته.

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٥) (١٥٤)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (١٥٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢٠/ ٢٣) (١٢٥٥١).

فالنَّصارىٰ ألَّهوا عيسىٰ عليه السلام، فادعوا فيه الألوهية، وزعموا أنَّه ابنٌ لله عزوجل، فردَّ عليهم في الأمرين؛ فقال جلَّ مِن قائل رادًّا عليهم في ادعاء الألوهية له ولأمِّه: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٥-٧٧].

ومثلُ غُلوِّ النصارىٰ في عيسىٰ عليه السلام غلوُّ الشيعة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذريته؛ فقد ادَّعىٰ بعضهم فيه الألوهية، وادعوا فيه العصمة هو وبنوه.

ومثلُ ذلك غلوُّ الصوفية في شيوخهم، وأمثال ذلك كثير.

٢- **الغلو في الفكر**؛ وهذا أخطر من الذي قبله؛ إذ أنَّ الغلو في الأشخاص يُهلك الغالي وحده، أما غلو الفكر فهو يُهلك الدِّين، ويهلك الأمم، ويهلك الدول والمجتمعات، ويُهلك كلَّ شيءٍ، وذلك كغلو الخوارج المفسدين الإرهابيين؛ فإذا وُجد هذا الفكر في قومٍ فقد هلكوا؛ لأنَّهم يُفسدون، ويزعمون أنَّهم يُصلحون، ويُخرِّبون ويزعمون أنَّهم إلىٰ الله يتقربون، ويُزهقون الأرواح البريئة، ويَسفكون الدماء المعصومة، ويزعمون أنَّهم يجاهدون في الله، وما حصل في مملكتنا الحبيبة أكبر دليل، وكذلك ما حصل في الجزائر سابقًا.

أيها المسلمون، إنَّ هذا الفكر إذا وُجد في قومٍ أشاع فيهم الفوضىٰ والخلاف وعدم الاستقرار، وأشاع فيهم الخوف وعدم الأمن، وأشاع فيهم القلق وعدم الطمأنينة؛ إذا فشا هذا الفكر - أي: فكر الخوارج - إذا فشا في قومٍ فقد ذهب منهم الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشجَّع الفساد والإفساد، فأيُّ خير في مجتمع ساد فيه أهل الفساد، واضطهد فيه المُصلحون وأهل الصلاح والتقوىٰ الذين يُوصفون عند أولئك المفسدين بأنَّهم ناكصون جبناء؛ لأنَّ هؤلاء إذا اقتنعوا بأنَّ مجتمعهم قد ارتدَّ، وأصبح أهلُه كافرين، استباحوا كلَّ مُحرَّم؛ لأنَّهم اعتقدوا أنَّ هؤلاء كفَّار، تَحِلُّ دماؤهم وأموالهم، فبنوا علىٰ هذا الاعتقاد استحلالَ دمائهم وأموالهم وأعراضهم وكل شيء منهم.

ولقد بلغنا أنَّ بعض مَن حمل هذا الفكر في الجزائر حين مرج الأمر عندهم أنَّ بعضهم استباح قتلَ أبيه وأمه!

ففكِّروا إلىٰ أيِّ حدٍّ وصل في التدني مَن فعل ذلك.

لقد حذَّر نبيُّ الهدىٰ ورسول الرحمة من هذا الفكر الغالي الفاسد المُفسد في أحاديث كثيرة بلغت حدًّا كبيرًا من الشهرة:

روىٰ مسلمٌ عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بَعَثَ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو باليمن بذُهَيبة في تُربتها إلىٰ رسول الله ﷺ، فقَسَمها رسولُ الله ﷺ بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس الحنظلي، وعُيينة بن بدر الفَزاري، وعَلقمة بن عُلاثة العامري، ثم أحد بني كِلاب، وزيد الخير الطائي، ثم أحد بني نبهان قال: فغضبت قريش فقالوا: أتعطي صناديد نَجد وتَدَعُنا؟! فقال رسول الله ﷺ:

«**إنِّي إنما فعلتُ ذلك لأتألَّفهم**»، فجاء رجل كثُّ اللحية، مُشرف الوجنتين، غائر العينين، ناتئ الجبين، محلوق الرأس، فقال: اتَّقِ الله يا محمد! قال: فقال رسول الله ﷺ: «**فَمَن يُطع اللهَ إن عصيتُه؟! أيأمَنُني على أهل الأرض، ولا تأمنوني؟!**». قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله، يرون أنه خالد بن الوليد، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من ضِئضِئ هذا قومًا يقرؤون القرآن، لا يُجاوز حناجرهم، يَقتلون أهل الإسلام، ويَدَعون أهل الأوثان، يَمرقون من الإسلام كما يمرقُ السهم من الرمية؛ لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قتل عاد**»، وقال البخاري: «فَغَضِبت قريشٌ والأنصارُ». رواه البخاري في (٦/ ٣٧٦)، رقم (٣٣٤٤)، وانظر رقم (٣٦١٠ و٤٣٥١ و٤٦٦٧ و٥٠٥٨ و٦١٦٣ و٦٩٣١ و٧٤٣٢ و٧٥٦٢).

وروى مسلمٌ عن أبي سعيد أيضًا قال: «بعث عليُّ بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذَهَبَة في أَدِيمٍ مَقروظ لم تُحصَّل من تُرابها[1]، قال: فقَسَمها بين أربعة نفر». وذكر الحديث بقريبٍ مما تقدَّم إلى أن قال: «فقام رجلٌ غائرُ العَينين، مُشرف الوَجنتين، ناشز الجَبهة، كثُّ اللحية، محلوق الرأس، مُشمَّر الإزار، فقال: يا رسول الله، اتق الله! فقال: «**وَيلَكَ! أَوَلَستُ أحقَّ أهل الأرض أن يتقي الله؟!**». قال: ثم ولَّى الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ فقال: «**لا، لعله أن يكون يُصلِّي**». قال خالد: وكم من مُصَلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه! فقال رسول الله ﷺ: «**إني لم أُومر**

(١) (**في أديم مقروظ**): أي في جلد مدبوغ بالقرظ، والقرظ: حب معروف يخرج في غلف كالعدس من شجر العضاه. (**لم تحصل من ترابها**): أي: لم تُميز ولم تُصف من تراب معدنها.

أن أَنقُبَ عن قلوب الناس[١]، ولا أشُقَّ بطونهم». قال: ثم نظر إليه وهو مُقَفٍّ[٢]، فقال: «إنَّه يخرج من ضِئضِئ هذا قومٌ يتلون كتاب الله رطبًا، لا يُجاوز حناجرهم، يَمرقون من الدين كما يَمرق السهم من الرمية». قال: أظنه قال: «لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قَتل ثمود»[٣].

وقال البخاري في بعض ألفاظ حديث أبي سعيد من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن وعطاء بن يسار: «يخرجُ فيكم قومٌ تَحقِرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامَكم مع صيامهم، وعملَكم مع عملهم». خرَّجه في باب: مَن راءىٰ بالقرآن، من كتاب فضائل القرآن[٤].

وروىٰ البخاري برقم (٧٥٦٢) عن أبي سعيد أيضًا، عن النبي ﷺ قال: «يخرج أناسٌ من قِبل المَشرق يقرؤون القرآن لا يُجاوز تراقيهم، يَمرقون من الدين مُروق السهم من الرَّمِيَّة، ثمَّ لا يعودون فيه حتَّىٰ يعود السهمُ إلىٰ فُوقِه». قيل: ما سيماهم؟ قال: «سيماهم التحليق - أو قال: التسبيد[٥]».

ويقول مسلم برقم (١٠٦٧) عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ بعدي مِن أُمَّتي -أو- سيكون بعدي من أمتي قومٌ يقرؤون القرآن لا يجاوز حَلَاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج

(١) أي: لم أومر أن أفتش وأكشف عن قلوب الناس، ومعناه: إني أمرت أن أحكم علىٰ النَّاس بالظاهر، والله يتولىٰ السرائر.

(٢) أي: مُوَلٍّ، قد أعطانا قفاه.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٦٤).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٥٨).

(٥) سيماهم: علامتهم. التحليق: إزالة الشعر. التسبيد: استئصال الشعر.

السهم من الرمية، ثمَّ لا يعودون فيه؛ شرُّ الخَلق والخليقة». قال ابن الصامت: فلقيت رافع بن عمرو الغفاري أخا الحكم الغفاري، فقلت: ما حديثٌ سمعته من أبي ذر كذا وكذا، فذكرت له هذا الحديث، فقال: وأنا سمعته من رسول الله ﷺ.

قوله: «**ثمَّ لا يعودون فيه**»، خرَّجه البخاري من حديث أبي سعيد، وليس في شيءٍ من طرقه: «**هم شرُّ الخلق والخليقة**».

وأخرج مسلمٌ عن زيد بن وهب الجهني برقم (١٠٦٦): «أنَّه كان في الجيش الذين كانوا مع عليٍّ الذين ساروا إلىٰ الخوارج، فقال علي: أيها الناس، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرج قومٌ من أُمتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلىٰ قراءتهم بشيء، ولا صلاتُكم إلىٰ صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلىٰ صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنَّه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذين يُصيبونهم ما قُضي لهم علىٰ لسان نبيهم لنَكَلُوا عن العمل، وآية ذلك: أنَّ فيهم رجلًا له عضدٌ، وليس له ذراع، علىٰ رأس عضده مثل حَلمة الثدي؛ عليه شعيراتٌ بيضٌ**»، فتذهبون إلىٰ معاوية وأهل الشام، وتتركون هؤلاء يَخلفونكم في ذراريكم وأموالكم، واللهِ، إنِّي لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم؛ فإنَّهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سَرح الناس[1]، فسيروا علىٰ اسم الله»، وذكر الحديث إلىٰ أن قال: «وقتل بعضهم علىٰ بعض، وما أُصيب

(١) أي: أغاروا علىٰ مواشيهم.

من النَّاس يومئذٍ إلَّا فلان، فقال عليٌّ: التمسوا منهم المُخدَج[١]، فالتمسوه فلم يجدوه، فقام علي رضي الله عنه بنفسه، فرأىٰ ناسًا قد قُتِل بعضهم علىٰ بعض؛ قال: أَخِّروهم، فوجدوه مما يلي الأرض؛ فكبَّر، ثم قال: صدَقَ اللهُ، وبَلَّغَ رسولُه؛ قال: فقام إليه عَبِيدة السلماني، فقال: يا أمير المؤمنين، آلله الذي لا إله إلَّا هو، لسمعتَ هذا الحديث من رسول الله ﷺ؟ فقال: إي والله الذي لا إله إلَّا هو، حتَّىٰ استحلفه ثلاثًا، وهو يحلف له».

وفي بعض ألفاظ الحديث: «**يأتي في آخر الزمان قومٌ حُدَثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خَير قول البرية، يَمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية؛ لا يجاوز إيمانُهم حناجرهم، فأينما لَقيتموهم فاقتُلوهم؛ فإن في قتلهم أجرًا لمَن قتلهم يوم القيامة**»[٢].

وصَحَّ عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**شرُّ قتلىٰ تحت أديم السماء**»، وقال: «**خَير قتلىٰ مَن قتلوه**»[٣].

وقال: «**طُوبىٰ لمَن قتلَهم أو قَتَلُوه**»[٤].

وقال: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإنَّ في قتلهم أجرًا عند الله**»[٥].

(١) ناقص الخلق.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١١) من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٠٠) عن أبي أمامة رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن»، وقال الألباني رحمه الله في «صحيح الترمذي» (٣٠٠٠): «حسن صحيح».

(٤) أخرجه البيهقي في «الكبرىٰ» (٨/ ٣٤٥) (١٦٧٨٣).

(٥) أخرجه البخاري (٦٩٣٠) من حديث علي رضي الله عنه.

وقال عنهم: «**كِلاب النار**»[١].

وقد تقدم أنَّه قال: «**لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قتل عاد**»[٢]، وفي رواية: «**قتل ثمود**[٣]»[٤].

وقال عنهم: «**أَمَا إنَّه ستمرق مارقةٌ يَمرقون من الدين مُروق السهم من الرمية، ثمَّ لا يَعودون إليه حتَّىٰ يرجع السهم علىٰ فُوقِه**[٥]»[٦].

ومعنىٰ «**مَرَق**»: خرج من الجانب الآخر.

قال في «**مختار الصحاح**» (ص٦٤٢): «مَرَق السهم من الرمية: خرج من الجانب الآخر، وبابه: دَخَلَ، ومنه سميت الخوارج: مَارقة؛ لقوله ﷺ: «**يَمرقون من الدين مروق السهم من الرمية**»، وجمع المارق: مُرَّاق». اهـ.

والخوارج يمرقون من الدين، أي: يخرجون منه، لا يَعلق بهم منه شيء.

حكم قتل الخوارج وقتالهم:

قتلُ الخوارج وقتالهم واجبٌ لهذه الأحاديث.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «**مجموع الفتاوىٰ**» في (٢٨/ ٥١٢- ٥١٨):

(١) أخرجه ابن ماجة (١٧٣) عن ابن أبي أوفىٰ رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح ابن ماجة» (١٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) «**قتل عاد**»، و«**قتل ثمود**»: أي: أستأصلهم بالقتل كما استؤصلت عاد وثمود.

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) **فوق السهم**: هو موضع الوتر منه.

(٦) أخرجه البخاري بنحوه (٧٥٦٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

«وقد استفاض عن النبي ﷺ الأحاديث بقتال الخوارج، وهي متواترة عند أهل العلم بالحديث، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحَّ الحديثُ في الخوارج من عشرة أوجه، وقد رواها مسلمٌ في «صحيحه»، وروىٰ البخاري منها ثلاثة أوجه: حديث علي، وأبي سعيد الخدري، وسهل بن حنيف، وفي السنن والمسانيد طرق أخر متعددة، وقد قال النبي ﷺ في صِفتهم: «**يَحقر أحدُكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يَمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، أين ما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإنَّ في قتلهم أجرًا عند الله لمَن قتلهم يوم القيامة؛ لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قتل عاد**».

وهؤلاء قاتَلَهم أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب بمَن معه من الصحابة، واتفق علىٰ قتلهم سلف الأمة وأئمتها، لم يتنازعوا في قتالهم كما تنازعوا في القتال يوم الجمل وصفين؛ فإنَّ الصحابة كانوا في قتال الفتنة ثلاثة أصناف: قومٌ قاتلوا مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقومٌ قاتلوا مع من قاتله، وقومٌ قعدوا عن القتال لم يقاتلوا واحدةً من الطائفتين.

وأمَّا الخوارج فلم يكن فيهم أحدٌ من الصحابة، ولا نهىٰ عن قتالهم أحدٌ من الصحابة...».

إلىٰ أن قال: «فإنَّ الأمة متفقون علىٰ ذم الخوارج وتضليلهم، وإنَّما تنازعوا في تكفيرهم علىٰ قولين مشهورين في مذهب مالكٍ وأحمد، وفي مذهب الشافعي أيضًا نزاع في كفرهم» اهـ

وقال في «المغني» في (١٢/ ٢٣٩- ٢٤٢): «الخَوَارِجُ الذين يُكفِّرون بالذنب، ويُكفرون عثمان وعليًّا وطلحة والزبير وكثيرًا من الصحابة، ويستحلون دماء

المسلمين وأموالهم إلَّا من خرج معهم، فظاهر قول الفقهاء من أصحابنا المتأخرين أنَّهم بُغاة، حكمُهم حُكمُهم -يعني: حكم البغاة، وهذا قول أبي حنيفة والشافعي وجمهور الفقهاء وكثيرٌ من أهل الحديث، ومالك يرىٰ استتابتهم؛ فإن تابوا وإلَّا قتلوا علىٰ إفسادهم، لا علىٰ كفرهم.

وذهبت طائفة من أهل الحديث إلىٰ أنَّهم كفار مرتدون، حكمُهم حكمُ المرتدين؛ تُباح دماؤهم وأموالهم، فإن تحيزوا في مكانٍ، وكانت لهم مَنَعة وشوكة صاروا أهل حرب كسائر الكفار، وإن كانوا في قبضة الإمام استتابهم كاستتابة المرتدين، فإن تابوا وإلَّا ضربت أعناقهم، وكانت أموالهم فيئًا، لا يَرثهم ورثتهم المسلمون...».

إلىٰ أن قال: «والصحيح إن شاء الله: أنَّ الخوارج يجوز قتلُهم ابتداءً، والإجازة علىٰ جريحهم؛ لأمر النبي ﷺ بقتلهم، ووعده بالثواب مَن قتلهم، فإنَّ عليًّا رضي الله عنه قال: لو لا أن تبطروا لحدثتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم علىٰ لسان محمد ﷺ، ولأنَّ بدعتهم وسوء فعلهم يقتضي حل دمائهم؛ بدليل ما أخبر به النبي ﷺ من عظم ذنبهم، وأنَّهم شرُّ الخلق والخليقة، وأنَّهم يمرقون من الدين، وأنَّهم كلاب النار، وحَثُّه علىٰ قتلهم، وإخباره بأنَّه لو أدركهم لقتلهم قتل عاد...» اهـ.

وذكر أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في كتابه «معرفة السنن والآثار» بتحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي في (١٢/ ٢٢٩)، باب: الخلاف في قتال أهل البغي، قال البيهقي برقم (١٦٥٣٠): «احتجَّ الشافعيُّ في جواز قتالهم بالآية» - قلت: هي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟

بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات:٩]- «وبما ذكرنا في أول هذا الكتاب من قتال الصحابة مانعي الزكاة بعد وفاة رسول الله ﷺ، واحتج في القديم... بحديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**تفترق أُمتي علىٰ فرقتين، فتمرق بينهم مارقةٌ يَقتلها أَولىٰ الطائفتين بالحق**»، أخرجه مسلم في «الصحيح» من وجه آخر عن أبي نضرة[1].

وبحديث مُسلم بن أبي بَكْرة، وسئل: هل سمعت في الخوارج من شيء؟ قال: سمعت والدي أبا بكرة يقول عن رسول الله ﷺ: «**أَلَا إنَّه سيخرج في أُمتي قومٌ أشدَّاء أحدَّاء، ذَلِقةٌ ألسنتهم بالقرآن، لا يجاوز تراقيهم، فإذا رأيتموهم فأَنِيموهم[2]، ثم إذا رأيتموهم فأنيموهم، فالمأجور مَن قتلهم**».

قال المُحقق: «رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٦، ٤٤)، والبيهقي في «الكبرىٰ»، وإسناده صحيح.

وبحديث عليٍّ الذي أخرجه البخاري في: المناقب، رقم (٣٦١١)، باب: علامات النبوة في الإسلام، وأخرجه في فضائل القرآن، وفي استتابة المرتدين، ومسلمٌ في: الزكاة رقم (٢٤٢٣)، باب: التحريض علىٰ قتل الخوارج مرفوعًا بلفظ: «**يخرج قومٌ يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، فإذا**

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٤) من حديث أبي موسىٰ الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين، يقتلها أولىٰ الطائفتين بالحق**».

(٢) **الإنامة**: المقصود بها: القتل؛ لأن الإنسان إذا قُتل فإنه يقع علىٰ الأرض كالنائم، وذلك ليسلم النَّاس من شرهم، ومعلوم أن النوم هو أخو الموت.

لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإنَّ في قتلهم أجرًا لمن قتلهم».

ثمَّ ذكر حديث عليٍّ المتقدم في ذكر الخوارج، فقال: فيهم رجلٌ مُخدج اليد[١]، أو مودن اليد[٢]، أو مَثدون اليد[٣]، لولا أن تَبطروا لحدثتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم علىٰ لسان محمد ﷺ». قال عَبيدة: قلت: آنت سمعتَه من محمد ﷺ. قال: إي ورب الكعبة! إي ورب الكعبة! إي ورب الكعبة!

ثمَّ قال الشافعي: «فأمر رسولُ الله بقتال أقوامٍ يخرجون فوصفهم، ولم نعلم أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ أنكر علىٰ عليٍّ رضي الله عنه قتالَه الخوارج».

ثمَّ قال البيهقي: «وقد تأول عليٌّ رضي الله عنه أنَّ الذين أمر النبي ﷺ بقتلهم هم الخوارج، وذاك أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**علامتهم رجلٌ مُخَدَّج...**». اهـ بتصرف.

قلت: وقد وُجِد ذلك الرجل في أهل النَّهْروان، فلم يَبق شكٌّ في أنَّهم هم؛ وفي الأحاديث الأخرىٰ ما يدلُّ علىٰ أنَّهم هم بالعلامات التي فيهم؛ فهم أشداء، وهم أحداء، وهم حدثاء الأسنان، وهم سفهاء الأحلام، وهم يقرؤون القرآن ويخالفونه، وذلك يدل علىٰ عدم إيمانهم، فهو لا يجاوز حناجرهم، وهم يقتلون أهل الإسلام ويَدَعون أهل الأوثان... إلىٰ آخر ما فيهم من العلامات، وهم يُكفِّرون المسلمين بالذنب، ولذلك يقول شاعرهم:

(١) القصير اليد، والمراد: رجل من الخوارج وصفه لهم النبي ﷺ.

(٢) ناقص اليد صغيرها.

(٣) صغير اليد مجتمعها.

صلِّ ما شئتَ وصُم فالدِّين لا ... يعرف العابد مَن صلى وصاما
أنتَ قِسيسٌ من الرهبان ما ... أنت من أحمد يَكفيك المَلاما

وإذا كان الله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة:٥]، والنبي ﷺ يقول لذلك الرجل الذي قال له: «يا رسول الله، متىٰ الساعة؟». قال النبي ﷺ: «**ما أعددتَ لها؟**». فكأنَّ الرجل استكانَ[1]، ثم قال: يا رسول الله، ما أعددتُ لها كبيرَ صيام، ولا صلاة، ولا صدقة، ولكني أحبُّ الله ورسوله. قال: «**أنتَ مع مَن أحببت**»[2]، فأقرَّه رسول الله ﷺ علىٰ أنَّ العبادة هي الصلاة والصوم وما يتبعها من أنواع العبادة، وهؤلاء الإرهابيون يَعمدون إلىٰ المسلمين المُوحدين المُصلين الصائمين المُتصدقين- فيكفِّرونهم بغير ما يُوجب الكفر، فالذنوب التي يُكفِّرون بها لا يَسلم منها أحدٌ، ولو كان الأمر علىٰ ما ذهبوا إليه لم يَبق علىٰ وجه الأرض مسلم، فهم يَقعون فيما يُكفِّرون النَّاس به ولا شك.

من هم المأمورون بقتل الخوارج؟

أمَّا المأمورون بقتلهم فهم ولاة الأمر الذين لهم السلطة، وهم يَحمون مَن تحت أيديهم من هذه الأفكار الدخيلة، والمُوغلة في الغلو، والتي توجب زعزعة المجتمعات وإشاعة الخوف فيها، وكثرة الفساد، وعدم الأمن، وما يستتبع ذلك ويترتَّب عليه من صعوبة العيش، حتَّىٰ يَفقد النَّاس قرص الخبز،

(١) خضع.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٥٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وفيما سمعناه عن بعض الدول التي شاع فيها الخوف، والقلق، وعدم الاطمئنان؛ كالصومال مثلًا، وفلسطين، والعراق، وأفغانستان، كل هذه البلدان كثُر فيها الخوف وزعزعة الأمن، وانعدمت فيها الراحة، والطمأنينة لأهلها.

وعلىٰ هذا، فإنَّ الواجب علىٰ ولاة الأمور أن يَحموا مجتمعاتهم من هذه الأفكار الهدامة، ويُحمل علىٰ ذلك قول النبي ﷺ: «**أينما لَقِيتموهم فاقتلوهم**»، «**فإذا رأيتموهم فأنيموهم**»؛ لأنَّا لو قلنا بجواز قتلهم لكل من لقيهم لأدىٰ ذلك إلىٰ الفوضىٰ، وتفاقم الأمر، ولا يُعالج الشر بشرٍّ منه، وفي منع ذلك عن غير ولاة الأمر ضمان المصلحة، واستعمال الحكمة، ودفع الشر.

ويتضح بهذا أنَّ الوجوب متجهٌ علىٰ ولاة الأمر، هذا هو الذي فيه السلامة والطمأنينة، وبالله التوفيق.

مَن هو الذي أحيا مذهب الخوارج في هذا العصر؟

الجواب: هم جماعة الإخوان المسلمين، وإليك ما يُثبت ذلك لتكون من هذه الجماعة علىٰ حذر، فهذا سيد قطب قد كفَّر أمَّة محمدٍ ﷺ كما في (٤/ ٢١٢٢) من تفسيره «في ظلال القرآن» حيث يقول: «إنَّه ليس علىٰ وجه الأرض اليوم دولةٌ مسلمة، ولا مجتمعٌ مسلم قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي»، وقال قريبًا من ذلك في تفسير سورة «يونس»، بل زعم فيها أنَّ مساجد المسلمين معابد وثنية.

وحرَّض علىٰ الانقلابات في تفسير سورة «الأنفال»، وزعم أنَّ الإسلام يأمر بذلك.

وقال في تفسير سورة «الأنعام» في (٢/ ١٠٥٧): «ولقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلىٰ البشرية بـ: لا إله إلَّا الله؛ فقد ارتدت البشرية إلىٰ عبادة العباد، وإلىٰ جَور الأديان، ونكصت عن: لا إله إلَّا الله، وإن ظلَّ فريقٌ منها يُردد علىٰ المآذن: لا إله إلَّا الله- دون أن يُدرك مدلولها».

وفي (٣/ ١٦٣٤) من «تفسيره» يقول: «إنَّ المسلمين الآن لا يُجاهدون، ذلك أنَّ المسلمين اليوم لا يُوجدون؛ إنَّ قضية وجود الإسلام ووجود المسلمين هي التي تحتاج إلىٰ علاج».

قال الشيخ عبد الله بن محمد نجمي أحد طلابي في رسالته «منبع الإرهاب المعاصر»: «ولقد شَهِد علىٰ تكفير سيد قطب للمجتمعات الإسلامية كبارُ (الإخوان المسلمين): فهذا يوسف القرضاوي الإخواني يقول في كتابه «أولويات الحركة الإسلامية» (ص١١٠): «في هذه المرحلة ظهرت كتبُ سيد قطب التي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره الذي يَنضح بتكفير المجتمع، وإعلان الجهاد علىٰ النَّاس كافة».

وقال فريد عبد الخالق أحد قادة الإخوان المسلمين في «ميزان الحق»، (ص١١٥): «إنَّ نشأة فكرة التكفير بدأت من بعض شباب الإخوان في سجن القناطر في أواخر الخمسينات وبداية الستينات، وأنَّهم تأثروا بفكر سيد قطب وكتاباته، وأخذوا منها أنَّ المجتمع في جاهلية، وأنَّه قد كَفَّرَ حكَّامه الذين تنكَّروا لحاكمية الله بعدم الحكم بما أنزل الله، ومحكوميهم إذا رضوا بذلك». اهـ.

قلت: وقد اعترف جماعةٌ من المُفجِّرين الذين ظهروا علىٰ شاشة التلفاز

السُّعودي بأنَّهم أخذوا فكرة التكفير من كتب سيد قطب، وبالأخص كتاب «في ظلال القرآن».

وهذا فيه ردٌّ علىٰ هؤلاء الذين يقولون: إنَّ ما حملهم علىٰ ذلك إنَّما هو البطالة، أو غير ذلك.

ثمَّ قال الشيخ عبد الله النجمي في تلك الرسالة- وهو يوضح بأنَّ جماعة (الإخوان المسلمين) تدعو إلىٰ الخروج والانقلابات علىٰ المجتمعات الإسلامية- فإليك بعضَ أقوالهم وأفعالهم؛ لتكون منها علىٰ بينة وحذر: «فهذا مؤسس حركة (الإخوان المسلمين) حسن البنا يُقرر هذا المنهج الفاسد، ويؤيد أساليب العنف والقوة ضد الحكومات الإسلامية، فيقول في كتاب «المدخل إلىٰ دعوة الإخوان»، (ص١٤): «هذه نَظَراتٌ يلقيها الإخوان المسلمين علىٰ أسلوب استخدام القوة قبل أن يقدموا عليه، والثورة أعنف مظاهر القوة، فنظر الإخوان المسلمين إليها أدقُّ وأعمق».

ثمَّ تابع فقال: «وبعد كل هذه النظرات والتقديرات أقول لهؤلاء المتسائلين: إنَّ الإخوان سيستخدمون القوة العملية حيث لا يُجدي غيرها، وحيث يثقون أنَّهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة، وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء وصرحاء، وسيُنذرون أولًا، وينتظرون بعد ذلك، ثمَّ يقدمون في كرامةٍ وعزة، ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضاءٍ وارتياح».

وقال أيضًا في «مجموعة رسائل البنا»، (ص١١٦): «قد يكون مفهومًا أن

يقنع المصلحون الإسلاميون برتبة الوعظ والإرشاد إذا وجدوا من أهل التنفيذ إصغاءً لأوامر الله، وتنفيذًا لأحكامه، وإيصالًا لآياته وأحاديث نبيه، أمَّا والحالة كما ترىٰ- التشريع الإسلامي في وادٍ، والتشريع الفعلي في وادٍ- فإن قعود المصلحين الإسلاميين لا يُكفره إلَّا النهوض، واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يَدينون بأحكام الإسلام الحنيف».

وفي (ص١٧٨) **يقول أيضًا**: «والإخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس مناهجهم».

ويقول حسن البنا في كتاب «الإخوان أحداث صنعت التاريخ»، (١/ ٤٣٥): «وتقوية الروابط بين الأقطار الإسلامية جميعًا تمهيدًا للتفكير الجدي العملي في شأن الخلافة الضائعة».

وقال سيد قطب في تفسيره «في ظلال القرآن»، في (٣/ ١٤٥١): «وإقامة حكومة مؤسسة علىٰ قواعد الإسلام في مكانها واستبدالها، وهذه المهمة - مهمة إحداث انقلاب إسلامي عام- غير منحصر في قُطرٍ دون قُطرٍ، بل مما يريده الإسلام، ويضعه نصب عينيه: أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع المعمورة، هذه غايته العليا ومقصده الأسمىٰ الذي يطمح إليه ببصره، إلَّا أنَّه لا مندوحة للمسلمين أو أعضاء الحزب الإسلامي في الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود، والسعي وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها».

ويقول أيضًا في (ص٢١٠) من كتابه «العدالة الاجتماعية»: «إنَّ الإسلام فكرةٌ انقلابية ومنهاجٌ انقلابي، يريد أن يهدم نظام العالم الاجتماعي بِأَسره،

ويأتي بنيانه من القواعد، ويؤسس بنيانه من جديد، حسب فكرته ومنهاجه العملي، ومن هناك تعرف أنَّ لفظ المسلم وصفٌ للحزب الانقلابي العالمي؛ الذي يكونه الإسلام وينظم صفوفه... إلخ».

وقال سعيد حوىٰ أحد مُنظِّري جماعة (الإخوان المسلمين) في كتاب «المدخل إلىٰ دعوة الإخوان»، (ص١٤): «ينبغي أن يَعرف العالم كيف نتعامل معه في حالة وصولنا إلىٰ الحكم؟».

واسمع لكلام محمود عبد الحليم أحد مُنظِّري منهج (الإخوان المسلمين)، وهو يقول في «مجموعة الرسائل»: «ولم يَعُد في مصر صوتٌ أعلىٰ من صوتها، ولا يد أقوىٰ من يدها، ولا كلمة أنفذ إلىٰ القلوب من كلمتها، وكانوا يعتقدون بعد أن رأوا نفوذها قد تعاظم أنَّ هذا النفوذ مهما تعاظم فمجاله مصر ولا يتعداها، فإذا بهم يُفاجَؤون بهذا النفوذ يصل إلىٰ أبعد البقاع العربية؛ فيديل دولة اليمن، ويقيم دولةً أخرىٰ بها، وتبسط الدولة الجديدة سلطانها، ويستتب لها الحكم، ومعنىٰ هذا: أنَّ هذه الحلقة من سلسلةٍ لا تلبث الدول العربية تقع واحدةً تلو الأخرىٰ، وتتحقق بذلك نواة الدولة الإسلامية». اهـ

وقد قرأتُ في كتاب «قافلة الإخوان المسلمين»، لعباس السيسي، الجزء الأول منه وقائع كثيرة تدل علىٰ أنَّ (الإخوان المسلمين) كانوا قد تربوا علىٰ الفكرة الإرهابية منذ بَدئهم.

انظر -أيها القارئ- في (١/ ٢٥٨): مقتل القاضي أحمد بك الخازندار غِيلة من قِبَل (الإخوان المسلمين).

وفي (ص٢٦٧) حادث نسف شركة إعلانات الشرقية.

وفي (ص٢٦٩ والصفحة بعدها) حادث السيارة الجيب.

وفي (ص٢٧١) محطة اللاسلكي، حيث وُجدت فيها ألغام زُرعت من قِبل أحد الإخوان المسلمين.

وفي (ص٢٧٢، ٢٧٣) ذكر الإخوان المتهمين في قضية سيارة الجيب، والحكم عليهم.

وفي (ص٢٧٥) أمر عسكري بحل جماعة الإخوان.

في (ص٢٨١) قرار حل جماعة الإخوان.

ونصُّ بيان القرار في صفحة (٢٨١ و٢٨٢ و٢٨٣)، وفي (ص٢٨٥) محاولة نسف محكمة الاستئناف.

وفي (ص٢٨٦) مقتل النقراشي في وزارته غِيلة من أحد الإخوان المسلمين.

كل هذا موجودٌ في آخر الجزء الأول من «قافلة الإخوان المسلمين»، لعباس السيسي، وهو أحد معتنقي هذا المنهج، وهو المُسجِّل للوقائع والمعترف بها.

وكل هذا وغيره حصل في حياة حسن البنا في الأعوام (١٩٤٧، ١٩٤٨م).

أليس في هذا دليل واضح بأنَّ الإخوان المسلمين حزبٌ تكفيري، يستعمل العنف والتفجير، وهو الإرهاب الذي يَعنيه العصر الحاضر.

النتائج الوخيمة لهذا التوجه :

اعلموا أنَّا في زمنٍ كثرت فيه الفتن، فلا تَسمع إلَّا ما يقذي العين، ويُحزن القلب، ويُشتت الذهن، ويُحيِّر الفكر، نحن في زمنٍ رَفَعَتِ الشياطينُ فيه أعناقها، وعاثت فسادًا في عباد الله؛ فلا تسمع إلَّا قتلًا وتشريدًا وغدرًا، وتفجيرًا، وهتكًا، وتدميرًا، سهلت علىٰ النَّاس الجريمة، وخفت علىٰ كثيرٍ منهم الفظائع الوخيمة.

وإنَّك لتعجب: كيف استهان النَّاس بالقتل، وسفك الدماء، وإتلاف الأموال، وفي الحديث: «**إنَّ بين أيديكم فِتنًا كقطع الليل المُظلم، يُصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي إليها**». قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «**كُونوا أَحلَاس بيوتكم**[1]»[2].

هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد، ولم يخرجاه، وهكذا رواه أبو بكرة الأنصاري، وسعد بن مالك عن رسول الله ﷺ، وفي حديث معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جُبير بن نُفير، عن المقداد بن الأسود: سمعت

(١) **أحلاس البيوت**: ما يبسط تحت حر الثياب فلا تزال ملقاة تحتها، وقيل: الحلس هو الكساء علىٰ ظهر البعير تحت القتب والبرذعة، شبهها به للزومها ودوامها. والمعنىٰ: الزموا بيوتكم والتزموا سكوتكم كيلا تقعوا في الفتنة التي بها دينكم يفوتكم. انظر «عون المعبود» (١١/ ٢٢٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٦٢)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح أبي داود» (٤٢٦٢).

رسول الله ﷺ يقول: «**لَقلبُ ابن آدم أسرع تقلُّبًا مِنَ القِدر إذا استجمعت غَليًا**»، وقال: «**إنَّ السعيدَ لَمَن جُنِّبَ الفتنَ**»، يُرددها ثلاث مرات، «**وإن ابتلي فصَبَر**»، وايم الله، لا أشهد لأحدٍ أنه من أهل الجنة حتَّىٰ أعلم ما يموت عليه بعد حديث سمعته من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لقلب ابن آدم أسرع انقلابًا من القِدر إذا استجمعت غليًا**»(١).

وفي رواية: «**إن السعيدَ لَمَن جُنِّب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمَن ابتلي فصبر، فَوَاهًا**(٢)»(٣)، وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**كيفَ أنت إذا بقيت في حُثَالة**(٤) **مِنَ النَّاس؟!**». قال: قلت: يا رسول الله، كيف ذاك؟ قال: «**مَرِجت**(٥) **عهودهم وأماناتهم، فكانوا هكذا**»، وشبَّك يونسُ بين أصابعه يصف ذاك». قال: قلت: فما أصنع عند ذاك يا رسول الله؟ قال: «**اتَّقِ الله، وخُذ ما تعرف، ودَع ما تُنكر، وعليك خاصتك، وإياك وعَوَامهم**»(٦)، وفي

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٥٢) (٧٣٥٤)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٢٩) (١١٩١٦): «رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها ثقات».

(٢) أي: طوبىٰ له لما حَصَّل.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٦٣)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود» (٤٢٦٣).

(٤) **الحثالة**: الرديء من كل شيء.

(٥) مرجت: اختلفت وفسدت.

(٦) أخرجه أبو داود بنحوه (٤٣٤٣)، وقال الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود» (٤٣٤٣): «حسن صحيح».

حديث عبد الله بن عمرو: «**إنَّها ستكون فتنةً تستنظف العرب**[1]، **قتلاها في النار، اللسان فيها أشدُّ مِن وَقع السيف**»[2]؟

أيها المسلمون، وإنَّ من أعظم الفتن في زماننا هذا فتنة المسعري، وسعد الفقيه، وأسامة بن لادن، وأمثالُهم الذين يريدون أن يُلبِّسوا علينا ديننا، ويُشتتوا علينا أمرنا، ويَشقوا عصانا؛ إنَّهم دعاة فتنة، ورُوَّاد فساد، وقادة ضَلال؛ فإياكم أن تَسمعوا لهم مقالًا، أو تُجيبوا لهم سؤالًا، أو تُصغوا إليهم، أو تُعطوهم آذانكم- فينفثوا فيها نفث الشياطين، فيقع في قلوبكم ضلالًا وشكًّا، لا تصدقوهم بكذبهم، ولا تسمعوا منهم؛ فإنَّهم قد تَسبَّبوا في حرمان أنفسهم مما تتمتعون به من أمنٍ وإيمان، ورغد عيش، وراحة بال، وهم يريدون أن يسلبوكم ذلك بما يوقعونه بينكم وبين دولتكم، إنَّ دولتكم دولة مسلمة، يشيع فيها الأمن والإيمان، وينتشر فيها العلم والدين، ويتمتع مَن فيها برغد العيش، وراحة البال.

وإنِّي أحذركم فتنة الفتانين من الداخل والخارج، أليس لكم عبرة فيمن حَولكم من الدول التي مَرج فيها الأمرُ، فأُزهقت فيها الأرواحُ، وسُفكت فيها الدماء، وانتهكت فيها الأعراض، وأُتلفت فيها الأموال، فاستبدلوا خوفًا بعد أمن، وجوعًا بعد شبع، وفرقةً بعد اجتماع، في كل يومٍ قتلٌ وسلبٌ ونهبٌ.

وإيَّاكم أن تكونوا كمن قال الله فيهم: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ

(١) أي: تستوعبهم هلاكًا.

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٧٨) وقال: «حديث غريب»، وضعفه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «ضعيف الترمذي» (٢١٧٨).

ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ [النحل:١١٢]؟

ما هو علاج الغلو والتكفير للمسلمين؟

العلاجُ لهذه الفتنة التي هي فتنة الغلو والتكفير للمسلمين والتي هي فتنة الخوارج - تكون بأمور، منها:

١- أن يُكتب موضوع عن الجهاد، ويُبين فيه أنَّ الجهاد الحق يُشترط فيه:

أ - أن يكون تحت راية الإمام؛ بدليل قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٦-٢٥١].

ب- وأنَّ من شروط الجهاد أن يكون جماعيًّا، وليس فرديًّا.

ج- ومن شرطه: أن يكون علىٰ الكفار لنشر الدين والدعوة إليه وإعزازه.

د- ومن شرطه: تحريم الغُلول والغَدر.

هـ - ومن شرطه: أن يكون نصرةً للإمام المسلم علىٰ مَن نازعه، وأراد أن يبتزَّ ما بيده من السلطة بدون مبررٍ شرعي.

٢- أن يُكتب موضوعٌ في ذم الخوارج، مدعمًا بالأدلة وأقوال السلف فيهم، وأنَّهم من الفئات الضالة.

٣- أن يُكتب موضوعٌ في بيان تحريم دم المسلم وماله وعِرضه.

٤- أن يُكتب تعريفٌ بالأحزاب الآتية: (الإخوان المسلمون، السرورية، القطبية، التحرير، التبليغ)، وأنَّ هذه الأحزاب مذمومة؛ لأنَّها تساهلت بالتوحيد، ولم تعطه حقَّه؛ ولأنَّها تهاونت بالشرك، ولم تُبيِّن جرمه وفظاعته، ولأنَّها تُربي علىٰ التكفير ومذهب الخوارج، ولأنَّها تتعبد بالبدع.

٥- أن يُكتب تراجم لكلٍّ مِن:

أ- **سيد قطب**: ويُبيَّن ما عنده من التكفير والحث علىٰ الانقلابات، وما عنده من الجهل بالتوحيد، وكلامه في نبيِّ الله موسىٰ عليه السلام، وكلامه في الصحابة... إلخ.

ب- **حسن البنا**: وما عنده من التصوف، والجهل بالتوحيد، بل وقوعه في الشرك، وسَنُّه لأتباعه التعبدَ بالبدع.

ج- **رموز الإخوان، والسرورية، والقطبية**: يبيَّن ما عندهم من الأخطاء، ويُحذر منهم.

٦- أن يُكتب عن الكتب الحزبية، ويُبيَّن ما فيها من قوارع، ويحذَّر منها ومِن مُؤلفيها، وتصفَّىٰ منها المكتبات عمومًا، ومكتبات المدارس خصوصًا.

٧- أن يُختار للوظائف القيادية؛ كإدارات التعليم، والإشراف علىٰ المكتبات- مِن طلاب العلم السلفيين الأقوياء الذين يستطيعون النهوض بالمسؤولية علىٰ الوجه المطلوب.

٨- تتبُّع الأشرطة التي فيها تكفيرٌ للمسلمين، وإغراءٌ بالخروج علىٰ الدولة، وتهييجٌ للعامة عليها، فما كان فيها من هذا النوع يُتلف ويُمنع.

٩- تمنع الرحلات الطلابية والخَرجات الليلية، فإنَّ معظمها يُستغل لمقاصد سيئة، إلَّا من عُرِف بسلامة المنهج.

١٠- أن يُكتب موضوع العلاج لظاهرة الغلو في المُقررات المدرسية، ويُكلف الموجهون بمتابعته، ومن وُجدت منه مخالفة لما فيه يُعاقب، وبالله التوفيقُ.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبها

أحمد بن يحيى النَّجمي

٢٨ /١١ /١٤٢٥ هـ

المعاهدون والمستأمنون

المعاهدون والمستأمنون

المعاهدون: هم قومٌ لهم عهدٌ من دولة الإسلام، أي: بين دولتهم ودولة الإسلام عهدٌ؛ فهم يدخلون إلىٰ بلد الإسلام بذلك العهد.

قال في «**المعجم الوسيط**»: «المعاهدة: ميثاقٌ يكون بين اثنين أو جماعتين، وفي القانون الدولي: اتفاق بين دولتين أو أكثر لتنظيم علاقات بينهما». اهـ[1].

وأقول: **المُعاهَد**: هو الشخص الداخل من الدولة المُعاهَدة إلىٰ الدولة المُعاهِدة؛ فيكون الداخل من إحدىٰ الدولتين إلىٰ الأخرىٰ علىٰ مقتضىٰ الشروط المتفق عليها بينهما داخلًا بالعهد، فلا يجوز لأحدٍ من الدولة الداخل إليها أن يُصيبه بأذًىٰ، ما دام مُلتزمًا بالشروط المتفق عليها بين الدولتين؛ كأن يدخل بجواز سفر من دولته إلىٰ الدولة المعاهَدة حسب النُّظُم والأعراف الدولية الأخيرة.

ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «**مَن قَتَل مُعَاهدًا لم يَرَح رائحةَ الجَنَّةِ؛ وإنَّ ريحَها ليُوجد مِن مسيرة أربعين عامًا**». «صحيح الجامع الصغير

(١) «المعجم الوسيط» (٢/ ٢٣٤).

وزياداته»، للألباني رقم (١١٤٠٣)، ورمز له (حم، خ، ن)، عن ابن عمرو، أي: أخرجه أحمد والبخاري والنسائي(١).

وفي الحديث الآخر برقم (٦٣٣٤): «**مَن قَتَلَ نَفسًا مُعاهدة بغير حِلِّها، حَرَّم اللهُ عليه الجنة أن يَشُمَّ رِيحَها**». ورمز له الألباني (حم، ن)، عن أبي بكرة، وقال: «صحيح»(٢).

وإنَّ هذا الوعيد من الشارع ﷺ لِمَن قتل مُعاهدًا بغير حقٍّ - لَيدُلُّ علىٰ حُرمة دمه واحترام العهد الذي دخل به، وقتلُه يُعدُّ إخفارًا لذمة ولي الأمر الذي عَقَد العهد معه أو مع دولته.

وفي الحديث: «**المُسلمون تَتكافأ دماؤهم، ويَسعىٰ بذمَّتهم أدناهم، ويُجير عليهم أقصاهم؛ وهم يدٌ علىٰ مَن سواهم، يَردُّ مُشِدُّهم علىٰ مُضعِفهم، ومُسرعُهم علىٰ قَاعِدهم، لا يُقتل مؤمنٌ بكافر، ولا ذو عهدٍ في عهده**». «صحيح الجامع»، للألباني رقم (١١٦٥٨) ورمز له: (د، هـ)، أي: أبو داود وابن ماجة، عن ابن عمرو، وقال: «حسن»(٣).

فهذه الأحاديثُ أدلةٌ قاطعةٌ علىٰ تحريم قتل الكافر المعاهد.

وكذلك المُستأمن يَحرم قتلُه؛ لأنَّه أمَّنه أحدُ المسلمين؛ سواء كان رجلًا أو امرأة، وسواء كان المُجير حرًّا أو عبدًا؛ لقوله في هذا الحديث: «يَسعىٰ

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦).

(٢) أخرجه أحمد (٣٤/ ١٥١، ١٥٢) (٢٠٥٢٣)، والنسائي (٤٧٤٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٧٥١)، وابن ماجة (٢٦٨٣).

بِذَمَّتِهم أدناهم، ويُجير عليهم أقصاهم».

وقد صحَّ أنَّ أمَّ هانئ جاءت إلىٰ النبي ﷺ يوم الفتح- فَشَكَت إليه أنَّها أجارت رَجُلين من أَحمَائها، وأنَّ أخاها عليَّ بن أبي طالب يريد قتلهما؛ فقال النبي ﷺ: «**قَد أَجَرنا مَن أَجَرت يا أمَّ هانئ**»(١).

فمَن أجاره أحدٌ من المسلمين وأمَّنه، فإنَّه يجب أن يَسري هذا الأمان علىٰ المسلمين جميعًا، ولا يجوز لأحدٍ أن يقتله، أو يأخذ ماله؛ فكيف إذا كان المُجير والمُؤمِّن هو ولي الأمر وصاحب البيعة الذي أوجب الله طاعته بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩]؟!

فطاعة ولي الأمر واجبةٌ إلَّا فيما كان معصيةً لله؛ لقول النبي ﷺ: «**لَا طَاعةَ لمخلوق في مَعصية الخالق**»(٢).

فمَن أخفر ذِمَّة ولي الأمر بقتل مَن أمَّنه؛ فإنَّه قد أتىٰ أمرًا عظيمًا وجُرمًا كبيرًا، فكيف إذا ضَمَّ إلىٰ ذلك الغدر والخيانة، وإخافة الآمنين، وسفك الدماء، وإزهاق الأرواح، وإتلاف الأموال، وغير ذلك من تكفير المسلمين، وإرادة سلب السلطة من أصحابها بغير حق؟!

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧)، ومسلم (٣٣٦) من حديث أم هانئ رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البغوي في «شرح السنة» (١٠/ ٤٤) (٢٤٥٥) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه وصححه الألباني: في «المشكاة» (٣٦٩٦).

فمَن فعل ذلك- فإنَّه خارجيٌّ إرهابيٌّ ظالم مُعتدٍ، يجب علىٰ السلطة قتلُه؛ لقول النبي ﷺ: «**يَخرجُ قومٌ في آخر الزمان حُدَثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون مِن خَير قولِ البَرِيَّة، يَمرقون من الدِّين كما يمرق السَّهم من الرَّميَّة؛ أينما لَقيتموهم فاقتلوهم؛ فإنَّ في قتلهم أجرًا عند الله يوم القيامة**»(١).

قال في «المغني» في مسائل الخرقي رقم (١٦٧٤) في كتاب (الجهاد) (١٣/ ١٥٢، وما بعدها)، تحقيق التركي والحلو: «مسألة: قال: مَن دخل إلىٰ أرض العدو بأمانٍ لم يَخنهم في مالهم، ولم يعاملهم بالربا؛ أمَّا تحريم الربا في دار الحرب فقد ذكرناه في باب الربا، مع أنَّ قول الله: ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:٢٧٥] وسائر الآيات والأخبار الدالة علىٰ تحريم الربا عامة تتناول الربا في كل مكانٍ وزمانٍ.

وأمَّا خيانتهم فهي محرمة؛ لأنَّهم إنَّما أعطوه الأمان مشروطًا بتركه خيانتهم، وأمنِه إياهم من نفسه، وإن لم يكن ذلك مذكورًا في اللفظ فهو معلوم في المعنىٰ، ولذلك مَن جاءنا منهم بأمانٍ فخاننا، كان ناقضًا لعهده.

فإذا ثبت هذا لم تَحلَّ له خيانتهم؛ لأنَّه غدرٌ، ولا يصلح في ديننا الغدر، وقد قال النبي ﷺ: «**المُسلمون عند شروطهم**»(٢).

(١) أخرجه البخاري (٣٦١١) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري مُعلقًا، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٧/ ٤٩) (١٤٤٣٣)، وصححه الألباني: في «الإرواء» (١٣٦٠).

ثمَّ قال: «فصلٌ: وأمَّا أهل الهدنة إذا نقضوا العهد حلَّت دماؤهم وأموالهم وسبي ذراريهم؛ لأنَّ النبي ﷺ قتل رجالَ بني قريظة، وسبىٰ ذراريهم، وأخذ أموالهم حين نقضوا عهده، ولمَّا هادن قريشًا فنقضت عهده، حلَّ له منهم ما كان حَرُم عليه منهم، ولأنَّ الهدنة عهدٌ مؤقت ينتهي بانقضاء مُدَّته، فيزول بنقضه وفسخه كعقد الإجارة بخلاف عقد الذمة».

ثمَّ قال: «فصلٌ: ومعنىٰ الهدنة: أن يعقد لأهل الحرب عقدًا علىٰ ترك القتال مدةً بعِوض وبغير عوض، وتسمَّىٰ: مهادنة وموادعة ومعاهدة، وذلك جائز بدليل قول الله تعالىٰ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾﴾ [التوبة:١]، وقال ﷻ: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال:٦١]». اهـ.

فائدة:

قال ابن قدامة في «المغني»: «فصلٌ: ولا يجوز عقد الهدنة ولا الذمة إلَّا من الإمام أو نائبه؛ لأنَّه عقد مع جملة الكفار، وليس ذلك لغيره، ولأنَّه يتعلق بنظر الإمام وما يراه من المصلحة، علىٰ ما قدمناه، ولأنَّ تجويزه من غير الإمام يتضمن تعطيل الجهاد بالكلية، أو إلىٰ تلك الناحية، وفيه افتئات علىٰ الإمام، فإنْ هَادَنَهُمْ غير الإمام أو نائبه لم يَصح، وإن دخل بعضهم دار الإسلام بهذا الصلح كان آمنًا؛ لأنَّه دخل مُعتقدًا للأمان، ويُرد إلىٰ دار الحرب، ولا يُقرُّ في دار الإسلام؛ لأنَّ الأمان لم يصح.

وإن عَقد الإمام الهدنة ثمَّ مات أو عُزل لم ينتقض عهدُه، وعلىٰ مَن بعده

الوفاء به؛ لأنَّ الإمام الأول عقده باجتهاده - فلم يَجز للحاكم الأخير نقض أحكام من قبله باجتهاده، وإذا عقد الهدنة لزمه الوفاء بها؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة:١]، وقال تعالىٰ: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡ﴾ [التوبة:٤]، ولأنَّه لو لم يفِ بها لم يسكن إلىٰ عقده، وقد يحتاج إلىٰ عقدها.

فإن نقضوا العقد جاز قتالهم؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ [التوبة:١]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡ﴾ [التوبة:٧].

ولمَّا نقضت قريش عهد النبي ﷺ خرج إليهم، فقاتلهم وفتح مكة، وإن نقض بعضهم دون بعض، فسكت باقيهم عن الناقض، ولم يوجد منهم إنكار، ولا مراسلة الإمام، ولا تبرؤٌ، فالكل ناقضون؛ لأنَّ النبي ﷺ لما هادن قريشًا دخلت خزاعة مع النبي ﷺ، وبنو بكرٍ مع قريش، فعَدَت بنو بكرٍ علىٰ خزاعة، وأعانهم بعض قريش، وسكت الباقون، فكان ذلك نقض عهدهم، وسار إليهم رسول الله ﷺ فقاتلهم». اهـ.

ثمَّ قال في (ص١٥٨): «فصلٌ: وإن خاف نقض العهد منهم جاز أن يَنبذ إليهم عهدهم؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال:٥٨]، يعني: أعلمهم بنقض عهدهم حتَّىٰ تصير أنت وهم سواء في العلم، ولا يكفي وقوع ذلك في قلبه حتَّىٰ يكون عن أمارةٍ تدل علىٰ

ما خافه، ولا يجوز أن يبدأهم بقتال ولا غارة قبل إعلامهم بنقض العهد للآية، ولأنَّهم آمنون منه بحكم العهد، فلا يجوز قتلهم، ولا أخذ مالهم».

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ **في (ص١٥٩)**: «وإذا عقد الهدنة فعليه حمايتهم من المسلمين وأهل الذمة؛ لأنَّه آمنهم ممن هو في قبضته وتحت يده، كما أمَّن مَن في قبضته منهم.

ومَن أتلف من المسلمين أو من أهل الذمة فعليه ضمانه.

ولا تلزمه حمايتهم من أهل الحرب، ولا حماية بعضهم من بعض؛ لأنَّ الهدنة التزام الكفِّ عنهم فقط». اهـ.

والشروط في عقد الهدنة تنقسم إلىٰ قسمين:

١- صحيح.

٢- فاسد.

فالشرط الصحيح مثل: أن يشترط عليهم مالًا أو معونةً للمسلمين عند حاجتهم إلىٰ ذلك، أو يشترط لهم أن يردَّ إليهم مَن جاءه من الرجال مسلمًا أو بأمانٍ، فهذا يصح.

قال ابن قدامة في «المغني»: «وقال أصحاب الشافعي: لا يصح شرط ردِّ المسلم إلَّا أن يكون له عشيرة تَحميه وتمنعه.

ولنا: أنَّ النبي ﷺ شرط ذلك في صلح الحديبية، ووفىٰ لهم به، فردَّ أبا جندل بن سهيل وأبا بصير، ولم يخصَّ بالشرط ذا العشيرة، ولأنَّ ذا العشيرة

إذا كانت عشيرته هي التي تفتنه وتؤذيه، فهو كَمَن لا عشيرة له، لكن لا يجوز هذا الشرط إلَّا عند شدة الحاجة إليه، وتعيُّن المصلحة فيه.

ومتىٰ شرط لهم ذلك لزم الوفاء به، بمعنىٰ: أنَّهم إذا جاؤوا في طلبه لم يمنعهم أخذه».

إلىٰ أن قال: «فيجوز حينئذٍ لمَن أسلم من الكفار أن يتحيَّزوا ناحيةً، ويقتلون مَن قدروا عليه من الكفار، ويأخذون أموالهم، ولا يَدخلون في الصلح، وإن ضمَّهم الإمام إليه بإذن الكفار دخلوا في الصلح، وحرم عليهم قتل الكفار وأموالهم».

إلىٰ أن قال: «**الثاني: شرطٌ فاسد**، مثل: أن يشترط ردَّ النساء أو مهورهنَّ، أو ردَّ سلاحهم، أو إعطاءهم شيئًا من سلاحنا أو من آلات الحرب، أو يشترط لهم مالًا في موضعٍ لا يجوز بذله، أو يشترط نقضها متىٰ شاؤوا، أو أنَّ لكل طائفةٍ منهم نقضًا، أو يشترط رد الصبيان أو رد الرجال مع عدم الحاجة إليه؛ فهذه كلها شروطٌ فاسدة لا يجوز الوفاء بها».

ثم قال: «وهل يفسد العقد بها؟

علىٰ وجهين بناءً علىٰ الشروط الفاسدة في البيع، إلَّا فيما إذا شرط أنَّ لكل واحد منهما نقضها متىٰ شاء، فينبغي ألَّا تصح وجهًا واحدًا».

قلت: لأنَّه لا معنىٰ للهدنة حيث إنَّه لا يأمن أحدٌ من الفريقين من الآخر أن ينقض العهد متىٰ سنحت له الفرصة.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنَّما لم يصح شرط رد النساء؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة:١٠]، وقال النبي ﷺ: «**إنَّ اللهَ منع الصُّلح في النساء**». انتهىٰ ما أردت نقله من «المغني» (١٣ / ١٦١، ١٦٢).

هذا ما يسَّر الله تدوينه من معاملة المعاهدين والمستأمنين.

كتبه

أحمد بن يحيى بن محمد النَّجمي

١٤٢٦/٤/٧هـ

التكفير وبيان خطره
وأدلة ذلك

المبحث الأول:

حقيقة التكفير

حقيقة التكفير: هي الحكم على المسلم الذي يشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، ويصلي، ويزكي، ويصوم، ويقرُّ بسائر أركان الإسلام- الحكم عليه بأنَّه كافرٌ حلالُ الدم والمال.

وهذا لا يحصل إلَّا عند انحراف الفكر، وتحول العقيدة.

فلا يحصل ذلك من مسلمٍ سليم العقيدة، صحيح الفكر؛ ذلك لأنَّ الأدلة الإسلامية كلها منصبَّة على أنَّ من شهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، واعتقد فرضية الصلوات الخمس، وفرضية الزكاة في أنصبتها المحددة، وفرضية صيام رمضان، وحج البيت، واعتقد حرمة دم المسلم وماله وعرضه- فهو المسلم الذي يجب اعتقاد أُخوته للمسلمين، وتعاونه معهم في أداء الواجبات بقطع النظر عن جنسيته ولونه وبُعده في النسب وقربه.

والأدلة على ذلك أكثر من أن تُحصى أو تحصر؛ فالله ﷻ يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة:٥].

ويقول: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات:١٠].

والنبي ﷺ يقول: «**لا يَحِل دم امرئٍ مُسلم يشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله إلَّا بإحدىٰ ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المُفارق للجماعة**»(١).

ويقول: «**المُسلم أخو المسلم؛ لا يَظلمه، ولا يُسلمه، ولا يَخذله**»(٢).

فمن كفَّر أخاه المسلم بدون ما يُوجب الكفر شرعًا؛ من شركٍ أكبر، وكفر صريح لا يَحتمل التأويل؛ من جحود فرضٍ مُجمعٍ عليه، أو استحلال محرَّمٍ مُجمعٍ علىٰ تحريمه، أو تحريم حلال مُجمعٍ علىٰ حِلِّه، أو إنكار ركنٍ من أركان الإيمان الستة- أقول: من كفَّر مسلمًا بدون تعاطيه لواحدٍ من هذه المُكفِّرات، فهو تكفيري خارجي إرهابي.

ومعلومٌ لدىٰ الجميع أنَّه لا يحصل ذلك إلَّا ممن ابتلي بمَن حوَّل عقيدته وفِكره مِنَ المُضلِّلين الخوارج، وهذا مجرَّبٌ، ومعروف.

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٥١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ومسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

المبحث الثاني:

نشأة التكفير في عهد السلف الصالح

أمَّا نشأة التكفير في عهد السلف الصالح، فأول نشأته هو ما وَرد في «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بَعَثَ عليٌّ رضي الله عنه وهو باليمن بذُهَيبة في تُربتها إلىٰ رسول الله ﷺ، فقَسَمها رسولُ الله ﷺ بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس الحنظلي، وعُيينة بن بدر الفَزاري، وعَلقمة بن عُلاثة العامري، ثم أحد بني كِلاب، وزيد الخير الطائي، ثم أحد بني نبهان؛ قال: فغضبت قريش فقالوا: أتعطي صناديد نَجد وتَدَعُنا؟! فقال رسول الله ﷺ: «**إنِّي إنما فعلتُ ذلك لأتَألَّفهم**»، فجاء رجل كثُّ اللحية، مُشرف الوجنتين، غائر العينين، ناتئ الجبين، محلوق الرأس، فقال: اتَّقِ الله يا محمد! قال: فقال رسول الله ﷺ: «**فَمَن يُطع الله إن عصيتُهُ؟! أيَأمَنُني علىٰ أهل الأرض، ولا تأمنوني؟!**» قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله، يرون أنه خالد بن الوليد، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من ضِئضِئ[1] هذا قومًا يقرؤون القرآن، لا يُجاوز حناجرهم، يَقتلون أهل الإسلام، ويَدَعون أهل الأوثان، يَمرقون من الإسلام كما يمرقُ السهم من الرمية؛ لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قتل**

(١) **الضئضئ**: هو الأصل والعقب، وقيل: كثرة النسل.

عاد»، رواه البخاري ومسلم من طريق أبي سعيد رضي الله عنه[1].

وروىٰ البخاري برقم (٧٥٦٢) من طريق أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يَخرج أناسٌ من قِبل المَشرق يقرؤون القرآن، لا يُجاوز تَراقِيَهم، يمرقون من الدِّين مُروق السهم من الرمية، ثمَّ لا يعودون فيه حتَّىٰ يعود السهم إلىٰ فُوقِه**[2]»، فهذه القصة بهذا الحديث هي أول ما ورد من أخبارهم.

وقد تحقق ذلك في زمن عثمان رضي الله عنه حيث اجتمع عليه جماعة من الخوارج، فحَصَروه في بيته، ثم قتلوه.

وفي عهد علي رضي الله عنه حين كان القتال بينه وبين معاوية رضي الله عنه، فرفع أصحاب معاوية المصاحف، وقالوا: بيننا وبينكم كتاب الله.

فأمر عليٌّ أصحابه بالاستمرار في القتال فأَبَوا، ولمَّا توقَّف القتال سعىٰ قومٌ بين عليٍّ ومعاوية في الصلح، واتفقوا علىٰ أن يُحكِّموا حَكَمين، فقالت الخوارج الذين كانوا في أصحاب عليٍّ لعليٍّ: كفَرتَ؛ لأنَّك حكَّمت الرجال، والله يقول: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧].

فلمَّا رجعوا إلىٰ العراق أعلنوا كُفر عليٍّ رضي الله عنه، فقاتلهم عليٌّ بعد أن أرسل إليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فناظرهم؛ فرجع منهم جماعة، وقُتل منهم عددٌ كبير في موقعة النهروان.

وما زالت الخوارج تخرج بين حينٍ وآخر، فتقاتلهم الولاة وتَقتُلهم،

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) **فُوق السهم**: هو موضع الوتر منه.

وتقوىٰ شوكتهم أحيانًا، وتضعف أحيانًا؛ غير أنَّه لم تقم لهم دولة من زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ الآن، وتحقق فيهم قول النَّبيِّ ﷺ: «**ينشأُ نَشءٌ يقرؤون القرآن، لا يُجاوز تراقيهم، كلما خَرَج قَرنٌ قُطِع**». قال ابن عمر: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**كُلَّما خرج قَرن قُطِع أكثر من عشرين مرةً حتَّىٰ يخرج في عراضهم**[1] **الدَّجَّالُ**»، رواه ابن ماجة، وقد حَسَّنه الإمام الأَلْبَانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «السِّلسلة الصَّحيحة» برقم (٢٤٥٥)[2].



(١) في خداعهم. وفي بعض النسخ: أعراضهم، جمع عَرْض، بمعنىٰ الجيش العظيم، وهو مستعارٌ من العرض بمعنىٰ الناحية من الجبل، وبمعنىٰ السَّحَاب الذي يسدُّ الأفق. «حاشية السندي علىٰ ابن ماجة» (١/ ١٥٩).

(٢) أخرجه ابن ماجة (١٧٤)

المبحث الثالث:

نشأة التكفير في هذا الزمن

أمَّا نشأة التكفير في هذا الزمن، فالذين أحيوا مذهب التكفير في هذا العصر هم جماعة الإخوان المسلمين.

وإليك ما يُثبت ذلك؛ لتكون من هذه الجماعة علىٰ حَذر، فهذا سيد قطب قد كفَّر أمَّة محمدٍ ﷺ كما في (٤/ ٢١٢٢) من تفسيره «في ظلال القرآن» حيث يقول: «إنَّه ليس علىٰ وجه الأرض اليوم دولةٌ مسلمة، ولا مجتمعٌ مسلم قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي».

وقال قريبًا من ذلك في تفسير سورة «يونس»، بل زعم فيها أنَّ مساجد المسلمين معابد وثنية.

وحرَّض علىٰ الانقلابات في تفسير سورة «الأنفال»، وزعم أنَّ الإسلام يأمر بذلك.

وقال في تفسير سورة «الأنعام» في (٢/ ١٠٥٧): «ولقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلىٰ البشرية بـ: لا إله إلَّا الله؛ فقد ارتدت البشرية إلىٰ عبادة العباد، وإلىٰ جور الأديان، ونكصت عن: لا إله إلَّا الله، وإن ظل فريقٌ منها يردِّد علىٰ المآذن: لا إله إلَّا الله، دون أن يُدرك مدلولها».

وفي (٣/ ١٦٣٤) من تفسيره يقول: «إنَّ المسلمين الآن لا يُجاهدون، ذلك أنَّ المسلمين اليوم لا يُوجدون؛ إنَّ قضية وجود الإسلام ووجود المسلمين هي التي تحتاج إلىٰ علاج».

قال الشيخ عبد الله بن محمد نجمي في رسالته «منبع الإرهاب المعاصر»: «ولقد شهد علىٰ تكفير سيد قطب للمجتمعات الإسلامية كبارُ (الإخوان المسلمين).

فهذا يوسف القرضاوي الإخواني يقول في كتابه «أولويات الحركة الإسلامية» (ص١١٠): «في هذه المرحلة ظهرت كتب سيد قطب التي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره الذي ينضح بتكفير المجتمع، وإعلان الجهاد علىٰ النَّاس كافة».

وقال فريد عبد الخالق أحد قادة الإخوان المسلمين في «ميزان الحق» (ص١١٥): «إنَّ نشأة فكرة التكفير بدأت من بعض شباب الإخوان في سجن القناطر في أواخر الخمسينات وبداية الستينات، وأنَّهم تأثروا بفكر سيد قطب وكتاباته، وأخذوا منها: أنَّ المجتمع في جاهلية، وأنَّه قد كَفَّر حكَّامه الذين تنكَّروا لحاكمية الله بعدم الحكم بما أنزل الله، ومحكوميهم إذ رَضُوا بذلك». اهـ.

قلت: وقد اعترف جماعةٌ من المُفجِّرين الذين ظهروا علىٰ شاشة التلفاز السُّعودي بأنَّهم أخذوا فكرة التكفير من كتب سيد قطب، وبالأخص كتاب «في ظلال القرآن».

وهذا فيه ردٌّ علىٰ هؤلاء الذين يقولون: إنَّ ما حملهم علىٰ ذلك إنَّما هو البطالة، أو غير ذلك.

قلت: فهل بقي شكٌّ في أنَّ نشأة التكفير في هذا العصر كانت من عند (الإخوان المسلمين)، وإن أردت أيها القارئ أو السامع أن أزيدك تأكيدًا أنَّ (الإخوان المسلمين) هم منبع الإرهاب في هذا العصر- فاقرأ في الجزء الأول من كتاب «قافلة الإخوان المسلمين» لعباس السيسي، وهو واحدٌ منهم- اقرأ في (ص٢٥٨) مقتل القاضي أحمد بك الخازندار غيلةً من قِبل (الإخوان المسلمين).

وفي (ص٢٦٧) حادث نسف شركة إعلانات الشرقية.

وفي (ص٢٦٩ والصفحة بعدها) حادث السيارة الجيب.

وفي (ص٢٧١) محطة اللاسلكي، حيث وجدت فيها ألغامٌ زُرِعت من قِبل أحد الإخوان المسلمين.

وفي (ص٢٧٢، ٢٧٣) ذَكَر الإخوان المتهمين في قضية سيارة الجيب، والحكم عليهم.

وفي (ص٢٧٥) أمرٌ عسكري بحَلِّ جماعة الإخوان.

وفي (ص٢٨١) قرار حَل جماعة الإخوان.

ونصُّ بيان القرار في صفحة (٢٨١ و٢٨٢ و٢٨٣).

وفي (ص٢٨٥) محاولة نسف محكمة الاستئناف.

وفي (ص٢٨٦) مقتل النقراشي في وزارته غِيلةً من أحد الإخوان المسلمين.

كل هذا موجودٌ في آخر الجزء الأول من «قافلة الإخوان المسلمين» لعباس السيسي، وهو أحد مُعتنقي هذا المنهج، وهو المُسجِّل للوقائع، والمُعترف بها.

وكلُّ هذا وغيره حصل في حياة حسن البنا في الأعوام (١٩٤٧، ١٩٤٨م).

أليس في هذا دليلٌ واضح بأنَّ الإخوان المسلمين حزبٌ تكفيريٌّ يستعمل العنف والتفجير؟ وهو الإرهاب الذي يَعنيه العصر الحاضر.

المبحث الرابع:

حكم التكفير

أمَّا حكمُ التكفيرْ للمسلم الذي لم يصنع ما يُوجبه فهو حرامٌ تحريمًا قطعيًّا؛ للأدلة الدالة علىٰ ذلك.

فقد روىٰ البخاري في كتاب الأدب من «صحيحه»، الباب (٤٤)، باب: (ما ينهىٰ من السباب واللعن)، حديث ثابت بن الضحاك - وكان من أصحاب الشجرة - حدثه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَن حَلَف علىٰ ملة غير الإسلام كاذبًا فهو كما قال، وليس علىٰ ابن آدم نذرٌ فيما لا يَملِك، ومَن قتل نفسه بشيءٍ في الدنيا، عُذِّب به يوم القيامة، ومَن لعن مؤمنًا فهو كقتله، ومَن قذف مؤمنًا بكفرٍ فهو كقتله**»[1].

ومن حديث عبد الله بن بريدة، حدثني يحيىٰ بن يعمر أنَّ أبا الأسود الدِّيلي حدَّثه عن أبي ذر رضي الله عنه أنَّه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا يَرمي رجلٌ رجلًا بالفسوق، ولا يَرميه بالكفر إلَّا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك**»[2].

قال الحافظ ابن حجر: «وفي رواية للإسماعيلي: «**إلَّا حَارَ عليه**».

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٤٥).

وفي رواية أخرىٰ: «**إلَّا ارتدت عليه**». يعني: رجعت عليه.

و«**حار**» بمهملتين، أي: رجع.

وهذا يقتضي أنَّ من قال لآخر: أنت فاسقٌ، أو قال له: أنت كافرٌ- فإن كان ليس كما قال كان هو المستحق للوصف المذكور...».

إلىٰ أن قال: «ووقع في رواية مسلم بلفظ: «**مَن دعا رجلًا بالكفر، أو قال عدوَّ الله، وليس كذلك- إلَّا حار عليه**».

ذكره في أثناء حديثٍ في ذمِّ مَن ادعىٰ إلىٰ غير أبيه...

إلىٰ أن قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال النووي: اختلف في تأويل هذا الرجوع، فقيل: رجع عليه الكفر إن كان مستحلًّا، وهذا بعيدٌ من سياق الخبر، وقيل: محمولٌ علىٰ الخوارج؛ لأنَّهم يكفرون المؤمنين». اهـ[1].

قلت: وهذا أمرٌ مشاهدٌ في الخوارج، ثابتٌ عنهم بالتواتر قديمًا وحديثًا، وإلَّا فما الذي حملهم علىٰ قتل خيار المؤمنين؛ فهم الذين قتلوا عثمان بن عفان، وقتلوا علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين غِيلةً؟ فهم لم يفعلوا ذلك إلَّا بعد أن حكموا عليهم بالكفر؛ إذ إنَّ من مبدئهم التكفير بالكبيرة.

وفي زمننا هذا ما قَتلوا مَن قتلوا من المسلمين والمُستأمنين إلَّا بعد أن استحلوا سفك دمائهم وإزهاق أرواحهم وإتلاف أموالهم، واستحلوا إخافة المسلمين والمستأمنين، وإشاعة الرعب بينهم، وشوَّهوا صورة الإسلام أمام الأعداء؛ أي: أمام أعداء الإسلام والمسلمين.

(١) فتح الباري (١٠/ ٤٦٦).

لم يفعلوا هذا كله إلَّا نتيجة لتكفيرهم للمسلمين جميعًا؛ ولاةً ورعيةً، علماء وأُميين؛ قادةً متبوعين وتابعين.

مع العلم أنَّ الخوارج في كل زمن يتبعون في تكفيرهم للمسلمين أمورًا وهميةً، فهم يكفرون بالذنب، وهم واقعون في نظيره، وقد يكون الذنب الذي كفَّروا به غير موجود فيمن كفَّروه، بل هو مختلقٌ فيه، ومكذوبٌ عليه، وقد يكون أنَّهم يزعمون ذنبًا ما ليس بذنب، ومكفرًا ما ليس بمكفر، يحملهم على ذلك الهوى، ويسوقهم إليه الرغبة في التكفير بغير علم عندهم ولا تحقيق.

فلذلك أخبر عنهم النبي ﷺ أنَّهم «**شَرُّ الخَلق والخليقة**»(١)، وأنَّهم «**كِلَاب النَّار**»(٢)، وأنَّهم «**شرُّ قتلىٰ تحت أَدِيم السماء**»(٣)، فهل بعد هذه الأوصاف من مقال يكون أشدَّ ذمًّا من هذا الذم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» في (٢٨/ ٥١٢- ٥١٨):

«وقد استفاض عن النبي ﷺ الأحاديث بقتال الخوارج، وهي متواترة عند أهل العلم بالحديث. قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: صحَّ الحديث في الخوارج من عشرة أوجه، وقد رواها مسلمٌ في «صحيحه»، وروىٰ البخاري منها ثلاثة

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٧) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بعدي من أمتي** -أو: **سيكون بعدي من أمتي- قوم يقرؤون القرآن، لا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة**».

(٢) أخرجه ابن ماجة (١٧٣) عن ابن أبي أوفىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح ابن ماجة» (١٤٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٠٠) من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترمذي» (٣٠٠٠): «حسن صحيح».

أوجه: حديث علي، وأبي سعيد الخدري، وسهل بن حنيف، وفي السنن والمسانيد طرق أخر متعددة، وقد قال النبي ﷺ في صفتهم: «**يَحقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يَمرُقون من الإسلام مُروق السهم من الرَّميَّة؛ أينما لَقِيتموهم فاقتلوهم، فإنَّ في قتلهم أجرًا عند الله لمَن قتلَهم يوم القيامة؛ لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قَتلَ عاد**»(١).

وهؤلاء قَاتلهم أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب بمَن معه من الصحابة، واتفق علىٰ قتلهم سلفُ الأمة وأئمتها، لم يتنازعوا في قتالهم كما تنازعوا في القتال يوم الجمل وصفين، فإنَّ الصحابة كانوا في قتال الفتنة ثلاثةُ أصناف: قومٌ قاتلوا مع علي رضي الله عنه، وقومٌ قاتلوا مع مَن قاتله، وقومٌ قَعَدوا عن القتال لم يقاتلوا واحدةً من الطائفتين.

وأمَّا الخوارج فلم يكن فيهم أحدٌ من الصحابة، ولا نهىٰ عن قتالهم أحدٌ من الصحابة».

إلىٰ أن قال: «فإنَّ الأُمَّة متفقون علىٰ ذم الخوارج وتضليلهم، وإنَّما تنازعوا في تكفيرهم علىٰ قولين مشهورين في مذهب مالكٍ وأحمد، وفي مذهب الشافعي أيضًا نزاعٌ في كفرهم». اهـ.



(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

المبحث الخامس:

مخاطر التكفير، وعواقبه الوخيمة

من مخاطر التكفير وعواقبه الوخيمة ما يلي:

١- **نقض العهود**؛ والتي أخذها الولاة علىٰ رعاياهم، فإنَّ من كفَّر الوالي رأىٰ أنَّه لا يستحق الوفاء.

ونقض العهد من كبائر الذنوب؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد:٢٥].

٢- **استباحة دم الوالي عند من كفَّره، واستباحة دماء عُمَّاله.**

٣- **استباحة مُنازعته والخروج عليه.**

٤- **استباحة دماء المسلمين عند مَن كفَّروهم، واستباحة دماء المستأمنين من باب أولىٰ.**

٥- **استباحة قتلهم وقتالهم**، ناسين أو متناسين قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء:٩٣].

٦- **ويترتب علىٰ ذلك: استباحة أعراضهم**؛ فيكذبون فيهم، ويفترون

عليهم، وينسبون إليهم ما ليس فيهم.

٧- **ويترتب على ذلك: استباحة إتلاف أموالهم**، أو أخذها من هؤلاء المُكفِّرين؛ أي: أنَّ المُكفِّرين يأخذون أموال الذين كَفَّروهم.

٨- **نشر الفوضى في المجتمعات الإسلامية، وإذهاب الأمن، والثقة بينهم.**

٩ -**زرع اختلاف الكلمة، وغرس بذور الفرقة.**

١٠- **امتداد أطماع الأعداء** الذين هم أعداء الإسلام والمسلمين في الاستيلاء عليهم، واستغلال ثرواتهم ومواردهم.

١١- ومتى استولى على المسلمين أعداؤهم، أذاقوهم الهوان والنكال، وحَكَموهم بقوانينهم الكُفرية.

١٢- ومن هنا نعلم: أنَّ الخوارج الإرهابيين أذاهم حاصلٌ على الأمة كلها؛ القائد والمقود، والعامي والمثقف، والذكر والأنثى، والصغير والكبير، فلا يبقى أحدٌ إلَّا وسيصل إليه قسطه من الضرر.

أرجو أن يكون هذا البيانُ مُقنعًا لكل عاقلٍ بأنَّ الخوارج الإرهابيين قومُ ضَلال وسوء، وحزبُ تخريب وإفساد، ودعاةُ شرٍّ، تترتب على أعمالهم التخريبية مفاسدُ لا تُحصى، وعواقبُ وخيمة لا تُعد، وبالله التوفيق.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

أحمد بن يحيى بن محمد النَّجمي

١٤٢٦/١/٣هـ

حوادث
التكفير والتدمير
ما سببها؟

حوادث التكفير والتدمير، ما سببها؟

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه.

وبعد:

[فقد] زعم أقوامٌ أنَّ ما حصل من التكفير والتفجير علىٰ أيدي بعض الشباب- إنَّما حَمَلهم علىٰ ذلك البطالة، وهذا كذبٌ واضحٌ وضوحَ الشمس في رابعة النهار؛ ذلك بأنَّا نسمعُ ويسمع النَّاس جميعًا في الأخبار المُذاعة أنه كلما قُبِض علىٰ جماعة منهم وُجِد معهم مالٌ كثير؛ قد يصل إلىٰ نصف مليون أحيانًا أو أقل أو أكثر، مع قلة عددهم، فلو كان السببُ في ذلك البطالة ما وُجِدت معهم هذه الأموالُ، وإن من يقول ذلك يعلم كَذِبَ نفسه، ومن جهةٍ أخرىٰ فكم من أُمم تُوجد فيها البطالةُ، ولم يُوجد فيها شيءٌ من ذلك؛ فدلَّ هذا علىٰ أنَّ هناك جَهة تُدرِّب وتُحرِّض وتَدعم.

وقال قوم: إنهم اكتسبوا التَّكفير من الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ!

وأقول: وهذا كذبٌ وبُهتٌ للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وافتراءٌ عليه.

إنَّ الشيخَ محمد بن عبد الوهاب لا يُكفِّر إلَّا مَن كفَّره اللهُ؛ فهو يُكفِّر المشركين شركًا أكبر.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون:١١٧].

وأيضًا: إنَّه لا يُكفِّر إلا بعد إقامة الحجة؛ وهذه كتبُه شاهدةٌ علىٰ مَن ادَّعىٰ عليه هذا الادعاء بالكذب الصُّرَاح.

وقال بعضهم: إنَّهم اكتسبوا التكفير من كتاب «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»!

وهذه كذبةٌ مثلُ صاحبتها؛ فمَن زعم أنَّ هذا الكتابَ يُكفِّر مَن لا يَستحق التكفير، فليدلنا علىٰ موضع ذلك من الكتاب بالجزء والصفحة والسطر؛ فإن لم يفعل فهو كذَّاب، سَاقط العَدالة.

والصحيح الذي لا مِرية فيه ولا شك: هو أنَّ الشباب المُكفِّرين إنما أخذوا هذا المذهب -مذهب التكفير والتفجير- من منهج (الإخوان المسلمين) قلبًا وقالبًا، تدريبًا وتربية، تحريضًا وإغراءً- زاعمين لهم أن ذلك هو الجهاد الذي دعا إليه القرآنُ وحَثَّ عليه؛ أخذوا ذلك من كتب سيد قطب الذي كفَّر أمةَ محمد ﷺ كما في (٤/ ٢١٢٢) من تفسيره «في ظلال القرآن» حيث يقول: «إنه ليس علىٰ وجه الأرض اليوم دولةٌ مُسلمة، ولا مجتمعٌ مسلم قاعدةُ التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي».

وقال قريبًا من ذلك في تفسير سورة «يونس».

بل زعم فيها أنَّ مساجد المسلمين معابد وثنية.

وحرَّض علىٰ الانقلابات في تفسير سورة «الأنفال»، وزعم أن الإسلام يأمر بذلك.

وقال في تفسير سورة «الأنعام» (٤/ ١٠٥٧): «لقد استدار الزمانُ كهيئته يوم جاء هذا الدينُ إلىٰ البشرية بـ «لا إله إلا الله»، فقد ارتدَّت البشريةُ إلىٰ عبادة العباد وإلىٰ جَور الأديان، ونكصت عن «لا إله إلا الله»، وإن ظلَّ فريقٌ منهم يُردِّد علىٰ المآذن: «لا إله إلا الله» دون أن يُدرك مدلولها».

وقد اعترف جماعةٌ من المُفجِّرين الذين ظهروا علىٰ شاشة التلفاز السُّعودي بأنهم أخذوا فكرة التكفير من كتب سيد قطب، وبالأخص كتاب «في ظلال القرآن».

وهذا فيه ردٌّ علىٰ هؤلاء الذين يقولون: إنَّ ما حملهم علىٰ ذلك هو البطالة، أو غير ذلك.

وقد قرأت في كتاب «قافلة الإخوان المسلمين» لعباس السيسي، الجزء الأول منه- وقائع كثيرة تدل علىٰ أن (الإخوان المسلمين) كانوا قد تربوا علىٰ الفكرة الإرهابية منذ بدئهم.

انظر أيها القارئ في (١/ ٢٥٨) مقتل القاضي أحمد بك الخازندار غِيلة من قِبل (الإخوان المسلمين).

وفي (ص٢٦٧) حادث نسف شركة إعلانات الشرقية.

وفي (ص٢٦٩) والصفحة بعدها: حادث السيارة الجيب.

وفي (ص٢٧١) محطة اللاسلكي، حيث وُجِدت فيها ألغامٌ زُرعت من قِبل أحد الإخوان المسلمين.

وفي (ص٢٧٢، ٢٧٣) ذكر الإخوان المُتهمين في قضية السيارة الجيب، والحكم عليهم.

وفي (ص٢٧٥) أمرٌ عسكريٌّ بحَلِّ جماعة الإخوان.

في (ص٢٨١) قرار حَلِّ جماعة الإخوان.

ونصُّ بيان القرار في صفحة (٢٨١ و٢٨٢ و٢٨٣).

وفي (ص٢٨٥) محاولة نسف محكمة الاستئناف.

وفي (ص٢٨٦) مقتل النقراشي في وزارته غِيلة من قِبل أحد الإخوان المسلمين.

كلُّ هذا موجودٌ في آخر الجزء الأول من «قافلة الإخوان المسلمين»، لعباس السيسي، وهو أحد مُعتنقي هذا المنهج، وهو المُسجِّل للوقائع والمُعترف بها.

كلُّ هذا وغيره حصل في حياة حسن البنا في الأعوام (١٩٤٧، ١٩٤٨م)!

أليس في هذا دليل واضحٌ بأنَّ الإخوان المسلمين حزبٌ تكفيريٌّ، يستعمل العنف والتفجير، وهو الإرهاب الذي يَعنيه العصر الحاضر.

كتبتُ هذا لأُبيِّن أن مَن قال: إنَّ التكفير والتفجير كان نتيجة البطالة، أو أنهم تعلَّموه من الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أو أنهم أخذوه من كتاب

«الدرر السنية» -كلُّ هذه الأقوال باطلةٌ لا يقولُها إلَّا المتحزِّبون لهذا الحزب، أو المتعاطفون مع أصحابه.

ولعلَّ بهذا البيان قد أوضحتُ كَذِبَهم في ذلك، وتَعمِيتهم للمسئولين عن السبب الصحيح في ذلك، وبالله التوفيق.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

كتبها

في ١٤/٧/١٤٢٥هـ

أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي

السلفيون بريئون
من الأعمال الإرهابية

السلفيون بريئون من الأعمال الإرهابية

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه، وبعد:

فإنَّ الله أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق؛ ليظهره علىٰ الدين كله، ولو كره المشركون، وإنَّ سيرة رسول الله ﷺ هي ترجمة عملية لشريعة الله ﷻ التي أوحاها إليه، والتي أمره الله باتباعها في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

ولقد كان النبي ﷺ يَنهىٰ عن الغدر والخيانة، ويأمر بالصدق والعفاف، والأمانة؛ فقد كان ﷺ إذا أَمَّر أميرًا علىٰ جيش أو سَرِيَّة[1] أوصاه في خاصَّتِه[2] بتقوىٰ الله، ومَن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «**اغزُوا باسم الله في سبيل الله، قَاتلوا مَن كَفَر بالله، اغزوا، ولا تَغُلُّوا**[3]، **ولا**

(١) السرية: قطعة من الجيش تخرج منه تُغير وتعود إليه، وقيل: سميت سرية؛ لأنها تسري في الليل ويخفىٰ ذهابها.

(٢) أي: في حق نفس ذلك الأمير خصوصًا.

(٣) من الغلول، ومعناه: الخيانة في المغنم، أي: لا تخونوا في الغنيمة؛ فتأخذوا منها شيئًا ولو يسيرًا قبل أن تُقسم.

تَغدروا، ولا تُمَثِّلوا[١]**، ولا تَقتلوا وَلِيدًا**[٢]»، رواه مسلم[٣].

وفي رواية الطبراني في «المعجم الصغير»: «**ولا تَجبُنوا، ولا تقتلوا وليدًا، ولا امرأة، ولا شيخًا كبيرًا**»[٤].

فحرَّم الرسولُ ﷺ الغدر، وحرَّم الخيانة التي يستعملها الإرهابيون، وحرَّم قتلَ النساء والأطفال والشيوخ الذين لا يستطيعون القتال، ولا يُقاتِلون.

وحرَّم الإفساد؛ فالله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف:٥٦]، وأخبر أنَّه لا يُحب المفسدين، وأخبر أنَّه لا يَهدي كيد الخائنين.

وعلىٰ هذه الطريقة سار أصحابه، فكانوا إذا أتوا قومًا من الكفار يدعونهم إلىٰ الإسلام أولًا، فإن أَبَوا وكانوا أهلَ كتاب، دَعوهم إلىٰ الجزية، فإن أبوا، أعلنوا لهم القتال، وأخبروهم أنَّهم سيقاتلونهم، فيقاتلونهم بعد الإعلان لهم، أمَّا إذا كان الكفار وثنيين؛ فإنَّهم يُخيَّرون بين الدخول في الإسلام أو القتال، ويقاتلونهم بعد إعلان القتال لهم.

أمَّا ما يعمله الإرهابيون في هذا الزمن الذين يَلبسون الأحزمة الناسفة، أو يقودون السيارات المُفخخة، فإذا وجدوا مجموعةً من الناس،، فجَّر اللابسُ

(١) أي: لا تُشوهوا القتلىٰ بقطع الأنوف والآذان، ونحو ذلك.

(٢) أي صبيًّا؛ لأنه لا يقاتل.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٣١) من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ٢١٢) (٣٤٠).

نفسه، أو فجَّر سيارته ونفسه، فهذا أمرٌ ينبني علىٰ الخيانة؛ فالإسلام بعيدٌ عنه كل البعد، ولا يُقرُّه أبدًا.

وإنَّ ما يُعمل الآن من الأعمال الانتحارية في بريطانيا أو غيرها من البلدان إنَّما يعملها ويخطط لها التكفيريون الخوارج الذين ذمَّهم الرسول ﷺ بقوله: «**يأتي في آخر الزمان قومٌ حُدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خَير قول البرية، يَمرقون من الإسلام كما يَمرق السهم من الرَّمية، لا يُجاوز إيمانهم حناجرهم؛ فأينما لَقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجرًا لِمن قتلهم يوم القيامة**»(١)، وصحَّ عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**شَرُّ قتلىٰ تحت أَدِيم السماء**»، وقال: «**خير قتلىٰ مَن قتلوه**»(٢)، وقال: «**طوبىٰ لمَن قتلَهم أو قَتَلُوه**»(٣)، وقال: «**أينَمَا لَقيتموهم فاقتلوهم؛ فإنَّ في قتلهم أجرًا عند الله**»(٤)، وقال عنهم: «**كِلاب النَّار**»(٥)، وقال: «**لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قتلَ عاد**»(٦)، وفي رواية: «**قَتل ثمود(٧)**»(٨)، وقال عنهم: «**أَمَا إنَّه ستمرق مارقةٌ يَمرُقون من**

(١) أخرجه البخاري (٣٦١١) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٠٠) عن أبي أمامة رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن»، وقال الألباني رحمه الله في «صحيح الترمذي» (٣٠٠٠): «حسن صحيح».

(٣) أخرجه البيهقي في «الكبرىٰ» (٨/ ٣٢٥) (١٦٧٨٣).

(٤) أخرجه البخاري (٦٩٣٠) من حديث علي رضي الله عنه.

(٥) أخرجه ابن ماجة (١٧٣) عن ابن أبي أوفىٰ رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح ابن ماجة» (١٤٣).

(٦) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٧) أي: أستأصلهم بالقتل كما استؤصلت ثمود.

(٨) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الدِّين مُروق السهم من الرمية، ثمَّ لا يَعودون إليه حتىٰ يَرجع السهم علىٰ فُوقِه[١]»[٢].

معنىٰ «مرق»: خرج من الجانب الآخر.

والخوارج يمرقون من الدين، أي: يخرجون منه، لا يَعلق بهم منه شيء.

وعلىٰ هذا، فمن المعلوم أنَّ الإسلام بريءٌ من هذه التصرفات الهوجاء الرَّعناء، وإنَّه ليشجب فاعليها، ويُنكر أفعالهم.

وإنَّ الذين يتهمون السلفيين -الذين يتبعون كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ويسيرون علىٰ نهج الصحابة- بالتفجيرات في بريطانيا أو غيرها، والتي تشتمل علىٰ قتل الأنفس، وإتلاف الأموال، وإراقة الدماء، وإخافة الناس، والخروج علىٰ الدولة، إنَّ الذين يتهمون السلفيين بهذا، هم الذين يفعلون هذه المناكر، ويريدون أن يُلصقوها بغيرهم؛ هم أصحاب تنظيم القاعدة الذين يتابعون أسامة بن لادن، والمسعري، وسعد الفقيه وأمثالهم؛ لأنَّ هؤلاء تربَّوا علىٰ كتب المُكفِّرين من أمثال سيد قطب ومَن معه في هذا المنهج الخاطئ الذين يُكفرون أمَّة محمدٍ ﷺ بغير حق؛ بل يكفرون بالمعاصي، والمعاصي لا يَسلَم منها أحدٌ.

والحقيقة: أنَّه لا يجوز أن نكفِّر أحدًا من المسلمين إلَّا مَن كفَّره الله ﷻ كالمشركين شركًا أكبر؛ قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن

(١) فوق السهم: هو موضع الوتر منه.

(٢) أخرجه البخاري بنحوه (٧٥٦٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر:٦٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون:١١٧]، وقال ﷻ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء:٢١٣]، وقال ﷻ على لسان عيسى ابن مريم أنَّه قال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

هذه هي الحقيقة التي لا يجوز لأحدٍ أن يَحيد عنها، ومَن زعم خلاف ذلك من المُكفرين الذين يُكفرون المُوحِّدين المُصلين الصائمين، فهو مبطلٌ وداعٍ إلى الباطل.

هذه هي الحقيقة التي لا يَجوز الشكُّ فيها، ولا الميل عنها.

وبالله التوفيق، وصلَّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاها

الشيخ/أحمد بن يحيى النَّجمي

١٤٢٦/٧/٢٢هـ

رسائل ومقالات متفرقة

الدنيا متاع زائل، وعارية مستردة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أمَّا بعد:

فإنَّ مِنَ المَعلوم عِندَ كلِّ عاقلٍ: أنَّ الدُّنيا مَا هي إلَّا متاعٌ زائلٌ، وعاريَّةٌ مُستَرَدَّةٌ، وخَير ما كَسبَه العبدُ منها ما نفعه في آخرتِه، قَالَ ﷻ عَلَىٰ لِسَانِ مُؤمنِ آلِ فرعون: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر:٣٩].

وفِي الحَدِيثِ عَن عَبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما قَالَ: أَخَذ رَسُولُ الله ﷺ بمنكبي، فَقَالَ: «**كُن في الدُّنيا كأَنَّك غريبٌ، أَو عابر سبيلٍ**»(١).

وكَانَ ابنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إذَا أَمسَيتَ فَلَا تَنتظرِ الصَّبَاح، وإذا أَصبَحتَ فَلَا تَنتظرِ المَساءِ، وخُذ مِن صِحَّتِك لمَرَضِك، ومِن حَيَاتك لمَوتك»، رَوَاه البخاريُّ(٢).

قَالَ ابنُ رجبٍ: «خَرَّج الحديثَ البخاريُّ، عن عليِّ بن المَدينيِّ، حَدَّثنا

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

مُحمَّد بن عبد الرَّحمن الغفاري، حَدَّثنا الأعمشُ، حَدَّثني مجاهدٌ، عن ابن عُمَر...»، فذَكَره.

وقَد تكلَّم غَير واحدٍ من الحُفَّاظ في قَوله: حدَّثنا مُجَاهدٌ، وقالوا: هِيَ غَير ثابتةٍ، وأَنكَرها عليُّ بن المدينيِّ، وقالوا: لَم يَسمَع الأعمشُ هَذَا الحديثَ عن مجاهدٍ، إنَّما سمعه من لَيث بن أبي سليمٍ.

وقد ذَكَر ذلك العُقَيليُّ وغيرُه، وأَخرَجه التِّرمذيُّ من حديث لَيث بن أَبِي سُلَيمٍ، وزَادَ فيه: «**وَعُدَّ نَفسك من أَهل القُبُور**»، وزَادَ في كَلَام ابن عُمَر: «**فإنَّكَ لا تَدري ما اسمُكَ يا عبد الله غدًا**»، وخَرَّجه ابنُ ماجة[1]، ولَم يَذكر قَول ابن عُمَر[2].

وخَرَّج الإمامُ أَحمَدُ من حديث الأوزاعيِّ، عَن عبدة بن أبي لُبَابة، عَن ابنِ عُمَر، قَالَ: أَخَذ النَّبيُّ ﷺ ببَعض جَسَدي، وقَالَ: «**اعبد اللهَ كأَنَّك تَرَاه، وكُن في الدُّنيا كأَنَّك غريبٌ**»[3]، وعَبدة بن أبي لُبَابَة أَدركَ، وَاختُلِفَ في سماعِهِ منه.اهـ.

وهَذَا الحديثُ أَصلٌ في قِصَرِ الأَمَل في الدُّنيا، فإنَّ المؤمنَ لا يَنبغي له أَن يَتَّخذَ الدُّنيا وطنًا ومسكنًا، فيَطمئن فيها، ولكن يَنبغي له أَن يكونَ فيها كأَنَّه

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٣٣)، وابن ماجة (٤١١٤) من حديث ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجة» (٣٣٤٢).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٦٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٣٠٤).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٣٢) (٦١٥٦)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٤٧٣).

علىٰ جَنَاحِ سفرٍ، يَعني: أَنه يكون مُعِدًّا جِهَازَه للرَّحيل.

وَقَد اتَّفقَت عَلَىٰ ذَلكَ وَصَايا الأَنبيَاء، وأَتبَاعهم، قَالَ اللهُ تَعَالىٰ حاكيًا عَن مُؤمن آل فرعون أَنَّه قَالَ: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر:٣٩].

وَكَانَ النَّبيُّ ﷺ يَقُولُ: «ما لي وللدُّنيا، إِنَّما مَثَلي ومَثَل الدُّنيا كراكبٍ»، قَالَ: «في ظلِّ شَجَرةٍ ثمَّ رَاحَ عنها وتَركَها»(١).

ومِن وَصَايا المسيح عليه السلام لأَصحابِهِ أَنَّه قَالَ لهم: «اعبُروهَا، وَلَا تَعمروها»(٢).

ورُوِيَ عنه أَنَّه قَالَ: «مَن ذا الَّذي يَبني علىٰ مَوج البحر دَارَه، تلكم الدُّنيا فَلَا تَتَّخذوها قرارًا»(٣).

ودَخَل رجلٌ عَلَىٰ أبي ذرٍّ، وجَعَل يُقلِّب بَصَره في بيتِهِ، وَقَالَ: «يَا أَبَا ذرٍّ، أَينَ مَتَاعُكُم؟ قَالَ: إِنَّ لنا بيتًا نَتوجَّه إليه. فَقَال: إِنَّه لا بُدَّ لك من متاعٍ ما دُمتَ هاهنا. فقال: إِنَّ صاحبَ المَنزل لا يدعنا هاهنا»(٤).

ودَخَلوا عَلَىٰ بَعض الصَّالحين، وقَلَّبوا بَصَرهُم في بيتِهِ، وَقَالوا له: إِنَّا نَرىٰ بَيتك بيتَ رجلٍ مرتحلٍ. فَقَال: لا أَرتَحل، وَلَكن أُطرَد طردًا، يعني: أَنَّ اللَّيل

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/٣٩١) (٣٧٠٩) من حديث ابن مسعود، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٣٨).

(٢) أورده الصاغاني في «الموضوعات» (١/٢).

(٣) أورده ابن رجب في «جامع العلوم والحِكَم» (ص٣٨٠).

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠١٦٨).

يُسلمه إلىٰ النَّهَار، والنَّهار يُسلمه إلىٰ اللَّيل، وكلُّ يومٍ ينقص من عُمُره.

وَكَانَ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُول في خطبتِهِ: «إنَّ الدُّنيا قد ارتَحَلت مدبرةً، وإنَّ الآخرةَ قَد ارتَحَلت مقبلةً، ولكلٍّ منهما بَنُون، فكُونُوا من أَبنَاء الآخرة، ولا تَكُونُوا من أَبنَاء الدُّنيا، فإنَّ اليومَ عملٌ ولا حسابٌ، وغدًا حسابٌ ولا عملٌ»(١).

قَالَ بَعض الحُكَماء: «عَجِبتُ مِمَّن الدُّنيا مُوليةٌ عنه، والآخرة مُقبلةٌ عَلَيه، وهو يَشتغل في المُدبرة، ويُعرض عَن المُقبلة»(٢).

وَقَالَ عُمَر بن عَبد العزيز في خُطبتِهِ: «إنَّ الدُّنيا ليست بقَرَارٍ لكم، كَتَب اللهُ عَلَيها الفناءَ، وكَتبَ اللهُ علىٰ أَهلها منها الظَّعن، فكَم من عامرٍ موثقٍ عن قليلٍ يخربُ، وكَم من مقيمٍ مغتبطٍ عمَّا قليلٍ يظعن، فأَحسنوا -رَحِمكُم اللهُ- مِنها الرِّحلة بأَحسَن ما بحَضرتكم من النُّقلة، وتَزوَّدوا، فإنَّ خَير الزَّاد التَّقوىٰ»(٣).

وإذا لَم تكن الدُّنيا للمؤمن دارَ إقامةٍ، ولا وَطنًا، فيَنبغي للمؤمن أَن يكون حالُهُ فيها علىٰ أَحَد حَالَين:

* إمَّا أَن يكون كأَنَّه غريبٌ، مُقيمٌ في بلدٍ غربةٍ، همُّهُ التَّزوُّد للرُّجوع إلىٰ وطنِهِ.

* أو يكون كأَنَّه مسافرٌ غَير مقيمٍ البتَّة، بَل هو ليله ونَهَاره يَسير إلىٰ بَلَد

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (١/ ٤٨) (٤٧).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١/ ٣٧١) (٣٦٩).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٩٢).

الإقامة، فلهذا وَصَّىٰ النَّبيُّ ﷺ ابنَ عُمَر رضي الله عنه أَن يكونَ في الدُّنيا علىٰ أَحَد هَذَين الحالين، أَحَدهما أَن يتركَ المُؤمن نفسَهُ كأنَّه غريبٌ في الدُّنيا، يَتخيَّل الإقامة، لَكن في بلد غربة، وهو غَير مُتعلِّق القلب ببلد الغربة، بَل قلبُهُ مُتعلِّقٌ بوطنِهِ الَّذي يَرجع إليه، وإنَّما هو مقيمٌ في الدُّنيا ليَقضي مَرمَّة جهازِهِ للرُّجوع إلىٰ وطنِهِ.

قَالَ الفُضَيلُ بن عِيَاضٍ: «المُؤمنُ في الدُّنيا مهمومٌ حزينٌ، هَمُّهُ مَرمَّة جهازِهِ، ومَن كان في الدُّنيا كَذَلك، فَلَا همَّ له إلَّا التَّزوُّد بما ينفعُهُ عند العود إلىٰ وطنِهِ، فَلَا ينافس أَهل البلد الَّذي هو غريبٌ بَينهم في عِزِّهم، ولا يَجزع من الذُّلِّ عِندَهُم».

قَالَ الحسنُ: «المُؤمنُ كالغريب، لا يَجزع من ذُلِّها، وَلَا يُنَافس في عِزِّهَا، له شأنٌ، وللنَّاس شأنٌ، لَمَّا خَلَق اللهُ آدمَ عليه السلام، أَسكَنه هو وزوجتَهُ الجنَّةَ، ثمَّ أُهبِطَ منها، ووعد الرُّجُوع إليها، هو وصالحُ ذُرِّيَّته معه، فالمؤمنُ أبدًا يحنُّ إلىٰ وطنِهِ الأوَّل».

قَالَ ابنُ القيِّم رحمه الله:

فحَيَّى علـى جنَّـات عَـدنٍ فإنَّهـا ... منازلـك الأول وفيهـا المُخـيَّمُ
ولَكنَّنـا سَـبي العـدوِّ فهَـل تَـرَى ... نَعُـودُ إلـى أَوطَاننـا ونَـسلمُ
وقَـد زَعَمـوا أنَّ الغريـب إذا نَـأَى ... وَشـطَّت بـه أوطانُـهُ فهَـو مُغـرمُ

وأيُّ اغتـرابٍ فَـوق غُربتنـا الَّتـي ... لها أَضحَت الأعداءُ فينا تَحكمُ[1]

(١) من «القصيدة الميمية» لابن القيم رحمه الله. انظر «حادي الأرواح إلىٰ بلد الأفراح» (ص ٧)، =

وَكَانَ عطاءٌ السُّلَميُّ يَقُول في دعائِهِ: «اللَّهمَّ ارحَم في الدُّنيا غُربتي، وَارحم في القَبر وَحشَتي، وَارحَم مَوقفي غدًا بَينَ يَدَيك»(١).

قَالَ الحَسَنُ: «بَلَغني أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لأصحابِهِ: «مَثَلي ومَثَلكم ومَثَل الدُّنيا كقَومٍ سَلَكوا مغارةً غَبراء، حتَّىٰ إذا لَم يَدروا ما سَلَكوا منها أكثر أَم ما بقي، انفدوا الزَّاد، وحَسَروا الظَّهر، وبَقَوا بَينَ ظَهراني المَفازة، لا زادَ لهم وَلَا حمولةَ، فأَيقَنوا بالهَلَكة، فبَينما هم كَذَلك، إِذ خرج عَلَيهم رجلٌ يَقطر رأسُهُ ماءً، فَقَالوا: إنَّ هذا قريبُ عَهدٍ بريفٍ، وما جَاءكُم هَذَا إلَّا من قريبٍ، فلَمَّا انتهَىٰ إليهم، قال: عَلَام أنتم؟

قَالُوا: علىٰ ما تَرَىٰ.

قَالَ: أَرأيتُم إِن هَدَيتكُم علىٰ ماءٍ رواءٍ، ورياضٍ خُضرٍ ما تَعمَلون؟

قَالُوا: لا نَعصيك شيئًا.

قَالَ: أَعطُوني عُهودَكُم، ومَوَاثيقكم بالله.

قَالَ: فأَعطوه عُهُودهم ومَوَاثيقَهُم بالله، لا يَعصونه شيئًا.

قَالَ: فأَورَدهُم ماءً ورِيَاضًا خضرًا، فَمَكثَ فيهم ما شَاءَ اللهُ، ثمَّ قَالَ: يَا هَؤُلَاء، الرَّحيل.

قَالُوا: إِلَىٰ أَين؟

=

و«مدارج السالكين» (٣/ ٢٠٣، ٢٠١).

(١) أورده ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص٣٨١).

قَالَ: إلىٰ مَاءٍ لَيسَ كَمَائكم، وإِلَىٰ رِيَاضٍ لَيست كَرِيَاضكُم.

فَقَالُوا: جل القَوم، وهُم أَكثرهم، واللهِ مَا وَجَدنا هَذَا حتَّىٰ ظَنَّنا أَنَّا لَن نجدَهُ، وَمَا نضعُ بعيش خيرٍ مِن هَذَا، وقَالتَ طائفةٌ وهُم أَقلُّهم: أَلَم تُعطوا هذا الرَّجل عُهُودَكم ومَوَاثيقكُم بالله لَا تَعصونه شيئًا، وقَد صَدَقكم في أَوَّل حديثِهِ، فوالله ليَصدقنَّكم في آخِرِه.

قَالَ: فَرَاح فيمَن تَبِعَهُ، وتَخلَّف بَقيَّتُهم، فَنزلَ بهم عدو فأَصبَحوا بين أسيرٍ وقتيلٍ، وجريحٍ»[1].

قَالَ داود الطَّائي: إنَّما اللَّيل والنَّهار مَرَاحل، يَنزلها النَّاس مرحلةً مرحلةً، حتَّىٰ يَنتهي ذَلكَ بهم إلىٰ آخر سَفَرهم، فإن استَطعتَ أَن تُقدِّم في كلِّ مرحلةٍ زادًا لِمَا بَين يَدَيها، فَافعَل، فإنَّ انقطَاعَ السَّفر عن قريبٍ ما هو، والأمر أَعجلُ مِن ذَلكَ، فتَزوَّد لسَفَرك، وَاقضِ مَا أَنتَ قاضٍ من سَفَرك، فكأَنَّما بالأمر قَد بَغتَك[2].

قَالَ بَعض الحُكَماء: كيف يَفرح بالدُّنيا مَن يومُهُ يَهدمُ شَهرَه، وشهرُهُ يَهدم سَنَته، وسَنتُهُ تَهدم عُمُره؟! كيف يَفرح مَن يقودُهُ عُمُره إلىٰ أجلِهِ، وتَقودُهُ حياتُهُ إلىٰ موتِهِ؟!

وإِنَّ امرءًا قَد سَادَ ستِّين حَجَّةً ... إلى منهلٍ من وِردِهِ لقريبُ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١٧٧)، وفي «ذم الدنيا» (٨٨)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٢٦٧)، وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الليالي والأيام» (١/ ٣٠) (٤٠).

وَقَالَ بَعضُ الحُكَماء: مَن كَانَت الأيَّامُ واللَّيالي مَطَاياه، سَارت به، وإن لم يَسِر[١].

وفي هَذَا قَالَ بَعضُهم:

وما هـذِهِ الأيَّـامُ إلَّا مَرَاحـلُ ... يحثُّ بها داعٍ إلى المَوت قاصدُ

وأعجَب شيءٍ لَو تَأمَّلت إنَّها ... مَنازلُ تُطوَى والمُسَافر قاعدُ

وقَالَ آخر:

نَسِيرُ إلى الآجَال فِي كلِّ لحظةٍ ... وأيَّامنا تُطوَى وهُن مَرَاحلُ

ولم أر مثل المَوت حقًّا كأنَّه ... إذا ما تَخطَّته الأَمَاني باطلُ

وما أَقبحَ التَّفريط في زَمَن الصِّبا ... فكَيف به والشَّيبُ في الرَّأس شاعلُ

تَرحل من الدُّنيا بزادٍ من التَّقوى ... فعُمرك أيَّامٌ وهُنَّ قلائلُ

وأَمَّا قولُهُ: «**فخُذ من صحَّتك لسَقَمك، ومن حَيَاتك لمَوتك**»[٢]، يَعني: اغتَنم الأَعمالَ الصَّالحة في الصِّحَّة قَبل أَن يَحُول بَينكَ وبَينها السقمُ، وفي الحَيَاة قبل أَن يحولَ بينك وبَينها الموت.

وفِي روايةٍ: «فإنَّكَ يا عَبد الله لا تَدري ما اسمُكَ غدًا»[٣]، يَعني: لعلَّك

(١) أورده ابن رجب في «جامع العلوم والحِكَم» (ص٣٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٦) من حديث ابن عمر.

(٣) أخرجها الترمذي (٢٣٣٣) من حديث ابن عمر، وصححها الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٤١).

غدًا تكونُ في عَالَم الأَموَات دون الأَحيَاء.

وقَد رُوِيَ في مَعنىٰ هذِهِ الوصيَّة عن النَّبيِّ ﷺ من وجوه ما رواه البخاري في «صحيحه»: عن ابن عباس عن النبي ﷺ، قَالَ: «**نِعمتَان مَغبونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاس: الصِّحَّة، والفَرَاغُ**»(١).

وفي «صحيح الحاكم» عن ابن عَبَّاسٍ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لرجلٍ وهُوَ يعظُهُ: «**اغتنِم خمسًا قَبل خمسٍ، شَبَابك قَبل هَرَمك، وصِحَّتك قَبل سَقَمك، وغِنَاكَ قَبل فَقرك، وفراغكَ قَبل شُغلك**»(٢).

وَقَالَ غنيم بن قيسٍ: كُنَّا نَتوَاعظ في أَوَّل الإسلام: «ابن آدَمَ اعمَل في فَرَاغك قَبل شُغلك، وفي شَبَابك لكِبَرِكَ، وفي صِحَّتك لمَرَضك، وفي دُنياك لآخِرَتِكَ، وفي حَيَاتك لمَوتك»(٣).

وفي «صحيح مسلم» عَن أبي هُرَيرة عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**بَادِرُوا بالأَعمَال ستًّا: طُلُوع الشَّمس من مَغربها، والدُّخَان، والدَّجَّال، والدَّابَّة، وخَاصَّة أَحَدكم، وأَمر العامَّة**»(٤).

وفي التِّرمذيِّ، عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**بَادِرُوا بالأَعمَال سبعًا: هَل تُنظَرُونَ إلَّا إلَىٰ فَقرٍ مُنسٍ، أو غِنىً مُطغٍ، أَو مَرَضٍ مُفسِدٍ، أَو هَرَمٍ مُفنِّدٍ، أَو مَوتٍ مُجهِزٍ،**

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٢).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٧٨٤٦)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٥٥).

(٣) أخرجه المزي في «تهذيب الكمال» (٢٣/ ١٢٢).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤٧).

أو الدَّجَّال؛ فشرٌّ غائبٍ مُنتظر، أو السَّاعة؛ فَالسَّاعةُ أَدهَىٰ وأَمَرُّ»[١].

والمُرَاد من هَذَا: أنَّ هذِهِ الأَشيَاء كلَّها تَعُوق عَن الأَعمَال، فبَعضها يشغل عنه، إمَّا في خَاصَّة الإنسَان؛ كفَقره وغِنَاه، ومَرَضه وهَرَمه، ومَوته، وبَعضها عامٌّ؛ كقِيَام السَّاعة، وخُرُوج الدَّجَّال، وكَذَلك الفتن المُزعجة، كَمَا جَاءَ في حديثٍ آخر: «**بَادِرُوا بالأعمَال فتنًا كقِطَعِ اللَّيل المُظلم**»[٢].

وفي «الصَّحيحين» عَن أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُوم السَّاعةُ حتَّىٰ تَطلع الشَّمس من مَغربها، فإذا طَلَعت ورَآهَا النَّاس، آمَنوا أَجمَعون، فذَلكَ حِينَ لَا يَنفع نفسًا إِيمَانُها، لَم تكن آمَنَت من قبلُ، أو كَسَبت في إيمانها خيرًا**»[٣].

وفي «صحيح مسلم» عَنِ النَّبيِّ ﷺ: «**ثلاثٌ إذا خَرَجنَ لَم ينفع نفسًا إِيمَانُهَا لَم تكن آمَنَت من قبلُ، أَو كَسَبت في إِيمَانها خيرًا: طُلُوع الشَّمس من مَغربها، والدَّجَّال، ودَابَّة الأَرض**»[٤].

وَفِيهِ أيضًا عنه، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**مَن تابَ قَبل أن تَطلع الشَّمس من مَغربها تَابَ اللهُ عَلَيه**»[٥].

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٠٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٦٦٦).

(٢) أخرجه مسلم (١١٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٠٦)، ومسلم (١٥٧).

(٤) أخرجه مسلم (١٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٠٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعَن أبي مُوسَىٰ، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «**إنَّ اللهَ يَبسط يَدَه باللَّيل ليتوبَ مُسِيءُ النَّهار، ويَبسط يده بالنَّهار ليتوبَ مُسِيءُ اللَّيل، حتَّىٰ تطلع الشَّمسُ من مَغربها**»(١).

وفي «المسند» عن عبد الرَّحمن بن عَوفٍ، وعَبد الله بن عمرٍو، ومُعَاوية، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**لا تَزالُ التَّوبة مَقبولةً حتَّىٰ تَطلعَ الشَّمسُ مِنَ المَغرب، فإذا طَلَعت طُبِعَ علىٰ كلِّ قلبٍ بما فيه، وكُفِيَ النَّاس العمل**»(٢).

ورُوِيَ عَن عائشةَ رضي الله عنها: «**إذَا خَرَج أَوَّلُ الآيات طُرِحَتِ الأَقلامُ، وحُبِسَت الحَفَظةُ، وشَهِدَتِ الأَجسادُ عَلَىٰ الأَعمَال**»(٣).

قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر: ٥٤، ٥٩].

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ١٩٢) (١٦٧١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٥/ ٣٤).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٦٥).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون:٩٩، ١٠٠].

بيان مخالفات الإخوان، وولائدهم

بسم الله الرحمن الرحيم

بَيَان مُخَالفات حِزبِ الإخوَان، ووَلَائدُهُ السُّروريَّة، والقطبيَّة:

١- وُقُوع المُؤسِّس البنَّا في الشِّرك الأَكبَر حين قَالَ:

هَذَا الحبيبُ مَعَ الأحباب قَد حَضَرا ... وسَامَح الكلَّ فيما مَضَى وجَرَى

٢- وُقُوعُهُ في وَحدة الوُجُود بقولِهِ:

الله قُل وَذَر الوُجُود وما حَوَى ... إن كنتَ مرتادَ بُلُوغ كَمَالِ

فجميعُ ما في الكَون إنَّ حَققته ... عدمٌ على التَّفصيل والإجمَالِ

٣- إقرَار النَّاس عَلَىٰ الشِّرك الأَكبر، وعَدَم إنكَاره عَلَىٰ مَن يَتطوَّفون بالقُبُور، ويَنذرونَ لَهَا.

٤- عَدَم الدَّعوة إلىٰ التَّوحيد، تَوحيد الأُلُوهيَّة الَّذي قَامَت فيه الخُصُومة بين الرُّسُل -صَلَوات الله وسلامُهُ عَلَيهم- وبَين أُمَمِهِم، كَمَا هو بَيِّنٌ في الآيات القرآنيَّة.

٥- تَركُهم للبَدء بالتَّوحيد الَّذي بَدَأت به الرُّسُلُ، ودَعوتهم إلىٰ خلافِهِ.

٦- اللهُ -جلَّ وَعَلا- أَمَر بأَن يَبدأ الدَّاعي إليه بالتَّوحيد، كَمَا في قولِهِ:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وحَسَن البنَّا أَمَر أَن يبدأَ الدَّاعية بالدَّعوة إلىٰ خِلَافةٍ، فَقَدَّموا أَمرَ حَسَن البنَّا، وأَخَّروا أَمرَ الله، وعَادَوا مَن أنكرَ عَلَيهم ذَلكَ.

٧- أنَّ الإخوانَ يَستَعملون السِّرِّيَّة والتَّكتُّم في تَربيتهم للشَّباب، وهَذَا فيه ما فيه، وقَد قالَ بَعض السَّلف: «إذَا رأيتَ القَومَ يَتنَاجون في أَمر دِينِهِم، فَاعلَم أنَّهم عَلَىٰ تَأسيس ضلالةٍ»(١).

٨- وهُم ما استَعملوا السِّرِّيَّة إلَّا ليُخفوا بَعض أَمرهم علىٰ النَّاس، ومِن ذَلكَ كَلَامهم في الوُلَاة والعُلَماء، وقَدحهم فيهم سرًّا.

٩- استِعمَالهم للتَّقيَّة، وهِيَ النِّفاق، فيَتَظاهرون بالخَير والعِبَادَة، وهُم إنَّما يُريدُونَ السُّلطة، ويَقُولون في السِّرِّ شيئًا، وإذا لَقوا الوُلَاة تَملَّقوا ومَدَحوا، وأَثنَوا، أمَّا العُلَماء، فمَن بَيَّنَ بَعضَ ما عندهم من أَخطاءٍ، فيا وَيله مِن أَلسنتهم! وبالأَخصِّ إذا لم يكن له مَن يَحميه.

١٠- وهُم بهذِهِ الخصال شَابَهوا اليهودَ والمُنَافقين، كَمَا في قِصَّةِ عَبد الله بن سلام، وقَوله: إنَّ اليهودَ قومٌ بهتٌ.

١١- يُلَاحظ عَلَيهم، اتِّخاذهم المُبتدعين أئمَّةً، وتَقليدهم في البِدَعِ الَّتي شَرَعوها لهم.

١٢- مِنهَا الأناشيدُ والتَّمثيليَّات والإضرَابات، والتَّظاهرات، ومِنهَا

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٢٤٤) (٢١٩) عن عمر بن عبد العزيز.

الاغتيالات، والمسيرات إلىٰ غَير ذَلكَ.

١٣- وبهَذَا يَتبيَّن أَنَّ مَنهجَ الإخوَان منهجُ ضلالٍ وَانحرافٍ، تجبُ البَرَاءةُ منه، ومِن أهلِهِ.

١٤- إذا كان الشَّعبيُّ يريد المُصَالحة صادقًا، فَليكتب ما يلي: أَعترفُ بأَنَّ المنهجَ الإخوانيَّ وَوَلائدَهُ من سُروريَّةٍ، وقُطبيَّةٍ أنَّها مناهجُ ضَلَالٍ، وغوايةٍ، وأنَّها تُربِّي النَّاشئة، علىٰ الإرهَاب الحِسِّيِّ، وهُوَ مُنَازعة ذوي السُّلطان سُلطانهم، والعَمَل علىٰ الإطاحة بِهِم، والتَّوصُّل إلىٰ ذلك بالاغتيالات، والتَّفجيرات الَّتي تَحتوي علىٰ إزهَاق الأَرواح البريئة، وإتلَاف الأَموَال المُحرَّمة، كَمَا رأينا ذَلكَ من أَعمَالهم.

لذَلِكَ، فإنِّي أَبرَأُ إلىٰ الله مِن هَذَا الفِكرِ، وقَد كنتُ أُجَالسُ أَصحابَ الحِزبيَّاتِ، فلَمَّا تَبيَّن لي ما عندهم مِنَ الخطَإِ، عزمتُ علىٰ مُصَارمتهم، وتَركهم، والتَّبرُّؤ مِنهم، والآن، أُعلنها صريحةً أَنَّ المنهجَ الإخوانيَّ منهجُ ضلالٍ وغوايةٍ.

وَبِاللهِ التَّوفيق، وإلَيه المَرجعُ والمآبُ.

الاستقامة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [هود:١١٢ - ١١٦].

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [فصلت:٦].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠ - ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف:١٣، ١٤].

وقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ﴾ [الأنعام:١٥٣].

ومنها قوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام:١٥٩].

وقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم:٣٠-٣٢].

أَمَّا الأَحَاديثُ فمِنهَا حديثٌ: أنَّ رجلًا قَالَ للنَّبيِّ ﷺ: أوصني. قال: «**قُل: آمنتُ بالله، ثمَّ استقِم**»(١).

ومِنهَا حديث: «**استقيموا، ولَن تُحصُوا، وَاعلَموا أَنَّ خَيرَ أَعمَالكم الصَّلاة، وَلَا يُحَافظ عَلَىٰ الوُضُوءِ إِلَّا مؤمنٌ**»(٢).

(١) أخرجه مسلم (٣٨) من حديث أبي أسامة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجة (٢٧٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجة» (٢٢٤).

الاستقَامَةُ: هِيَ الثَّبات علىٰ الحقِّ، والاتِّباع له، وعَدَم التَّأرجح فيه.

وحقيقتها: مُوَافقة الله في أَمره بالامتثَال، ومُوَافقة رَسُولِهِ كَذَلك ﷺ، ومُوَافقة الله ورَسُولِهِ في نَهيهما بالامتناع.

وأَهمُّ ما يجب الثَّباتُ عليه: هو التَّوحيد، تَعلُّمه حقَّ العِلم، والتَّعرُّف عَلَيه حقَّ المَعرفة، والحَذَر ممَّا يَخدشه.

وأَهمُّ ما يجب الثَّبات عَلَيه بَعد ذلك هُوَ الصَّلاة، والمُحَافظة عَلَيها بأَوقَاتها، وطَهَارتها، وأَدَائها في المسجد كَمَا أَمَر اللهُ ﷻ وأمر رَسُوله ﷺ.

وأَهمُّ ما يجبُ الثَّباتُ عَلَيه بعد الصَّلاة: الزَّكَاة، ثمَّ الصَّوم، ثمَّ سَائر الأَعمَال، وممَّا يجبُ الثَّبات عَلَيه التَّلقِّي، وأَن يكونَ من الله ورسولِهِ، لا من غَيرهما.

وأَهمُّ ما يُنَاقض الاستقامةَ: الشِّرك، وهُوَ قِسمَانِ:

- شِركُ عبادةٍ.
- وشِركُ تَشريعٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- إِخلَاصُ النِّيَّة لله ﷻ.

٢- العَمَل علىٰ تَرسيخ الإيمان في القَلب وزيادتِهِ.

٣- العَمَل بالصِّدق دائمًا، ومُجَانبة الكذب.

٤- أَدَاء الأَمَانة، عُبُوديَّةً لله ربِّ العَالَمين.

وَهِيَ قِسمَانِ:

○ أَمَانةُ العِبَادَة.

○ وأَمَانَةُ العَمَل.

٥- المُحَافظةُ عَلَىٰ الصَّلاة في أَوقَاتها، وفي المَسَاجد جماعةً.

٦- التَّصدُّق بِمَا يَستطيع الإنسانُ ولَو كان قليلًا.

٧- الحرصُ عَلَىٰ العِلمِ تنميةً للمَعلوماتِ، للأَحكام الشَّرعيَّة الَّتي نأمر بها.

٨- الحِكمَة ولِين القَول في الأمر بالمَعروفِ، وَالنَّهي عن المُنكر.

٩- الصَّبر عَلَىٰ ما ينال الآمر والنَّاهي من ضِعَافِ الإيمان، من أذًىٰ في نفسِهِ، أَو في عِرضه، فَقَد قيل للنَّبيِّ ﷺ: كَذَّابٌ، وكاهنٌ، وشاعرٌ، ومتقوِّلٌ، ومفترٍ، وغَير ذلك.

١٠- الحرص عَلَىٰ الوَقت من الضَّياع.

موعظة

عَجِبتُ ممن الدُّنيا مُدبرةٌ عنه، والآخرة مُقبلةٌ إليه، وهُوَ يَترك المُقبلة، ويَشتَغل بالمُدبرة.

قَالَ عُمَر بن عبد العزيز في خُطبةٍ: «إنَّ الدُّنيا لَيسَت بِدَارِ قَرَاركم، كَتبَ اللهُ عَلَيها الفناءَ، وكَتبَ عَلَىٰ أَهلها منها الظَّعن، فكَم من عامرٍ موثقٍ عَن قليلٍ يَخرب، وكَم من مقيمٍ مغتبطٍ عن قليلٍ يَظعن، فأَحسِنُوا -رَحِمَكُم الله- مِنها الرِّحلة بأَحسَن ما بحَضرتكم من النُّقلة، وتَزوَّدوا، فإنَّ خَيرَ الزَّاد التَّقوىٰ»[1].

وَقَالَ عليٌّ بن أبي طالبٍ في خطبةٍ لَهُ: «أمَّا بَعد: فإنَّ الدُّنيا قد ارتحلت مدبره، وإن الآخرة قد ارتحلت...»، إلخ [2].

قِيلَ لمُحمَّد بن واسعٍ: كَيف أَصبَحتَ؟ قَالَ: ما ظنُّك برجلٍ يَرتحل كلَّ يومٍ مرحلةً إلىٰ الآخرة[3].

وَقَالَ داود الطَّائيُّ: إنَّما اللَّيل والنَّهار مراحلُ يَنزلُهَا النَّاسُ، مرحلةً مرحلةً،

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١/ ٣٧٢) (٣٧٠).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (١/ ٤٨) (٤٧).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢/ ٣٤٦).

حتَّىٰ يَنتهي بهم ذَلكَ لآخِرِ سَفَرهم، فإن استَطعتَ أَن تُقدِّم في كلِّ مرحلةٍ زادًا لِمَا بَينَ يَدَيها، فَافعَل، فإنَّ انقطَاعَ السَّفر عن قريبٍ، والأَمر أَعجَل مِن ذَلكَ، فكَأَنَّك بالمَوت قَد بَغتَك[١].

قَالَ بَعضُ الحُكَماء: كَيفَ يَفرح بالدُّنيا مَن يومُهُ يهدم شَهرَه، وشهرُهُ يَهدم سَنَته، وسَنتُهُ تَهدم عُمُرَه[٢].

وَقَالَ الحَسَنُ: «لَم يَزل اللَّيل والنَّهار سَرِيعَين في نَقص الأَعمَار، وتَقريب الآجَال، هَيهات قَد صحبنا قَوم نوح، وَعَاد، وثمود، وقُرُونًا بَين ذلك كثيرًا، فأَصبحنا وَقَد قَدِمُوا علىٰ رَبِّهم، وَوَرَدوا عَلَىٰ أَعمَالهم، وأَصبَح اللَّيل والنَّهار غضين جديدين مستعدين لمَن بَقِيَ لمثل ما أَصَاب مَن مَضَىٰ»[٣].

وَكَانَ أُوَيسٌ إذا قيل: كَيف الزَّمان عَلَيك؟ يَقُول: «كَيف الزَّمان علىٰ رجلٍ إن أَصبحَ ظنَّ ألَّا يُمسي، وإن أَمسَىٰ ظنَّ ألَّا يُصبح، فمبشر بالجنَّة أو النَّار»[٤].

ولأبي العَتَاهية:

وما أَدري وإن عمرتُ دَهرًا ... لعلِّي حين أُصبِحُ لستُ أُمسِي

ألم تر أن صباح كل يوم ... وعمرك فيه أقصر منه أمس

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الليالي والأيام» (١/ ٣٠) (٤٠).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١/ ٢٤٨) (٢٤٧).

(٣) أورده ابن رجب في «جامع العلوم والحِكَم» (ص٣٨٣).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٨٣).

هوان الدنيا

عَن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**نِعمتَان مَغبونٌ فِيهِمَا كثيرٌ من النَّاس: الصِّحَّةُ والفراغُ**»، رَوَاه البخاريُّ(١).

وعَن المُستورِد بن شَدَّاد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**والله، ما الدُّنيا في الآخرة إلَّا مِثلَ ما يَجعَل أَحدُكُم أُصبعَهُ في اليمِّ، فَلينظُر بِمَ يَرجعُ**»، رَوَاهُ مسلمٌ(٢).

وعَن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ بجدي أَسَكَّ مَيِّتٍ، قَالَ: «**أَيُّكُم يحبُّ أَن يَكُونَ هَذَا له بدرهم؟**»، فَقَالُوا: ما نحبُّ أنَّه لَنَا بشيءٍ. قَالَ: «**فَوَالله، لَلدُّنيا أَهوَنُ علىٰ الله من هَذَا عَلَيكُم**»، رَوَاهُ مسلمٌ(٣).

وعَن أَبِي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الدُّنيا سجنُ المُؤمنِ، وجنَّةُ الكافر**»، رَوَاه مسلمٌ(٤).

وعَن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ لا يَظلِمُ مؤمنًا حسنةً،**

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٥٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٥٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٥٦).

يُعطىٰ بِهَا في الدُّنيا، ويُجزَىٰ بِهَا في الآخِرَةِ، وأمَّا الكافرُ فيُطعَمُ بحَسَناتِ مَا عَمِلَ في الدُّنيا، حتَّىٰ إذا أفضَىٰ إلىٰ الآخِرَةِ، لَم يَكُن له حَسَنةٌ يُجزَىٰ بِهَا»، رَوَاه مسلمٌ(١).

وعَن أَبِي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «حُجِبَتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ، وحُجِبَتِ الجنَّة بالمَكَاره»، مُتَّفقٌ عَلَيه(٢)، إلَّا عِندَ مسلمٍ «حُفَّت»؛ بدل: «حُجِبَت».

وعَنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «تَعِسَ عَبد الدينار وعَبد الدِّرهم، وعَبد الخَمِيصَةِ؛ إذَا أُعطِيَ رَضِيَ، وإن لَم يُعطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانتكَسَ، وإذَا شِيكَ فَلَا انتقَشَ؛ طُوبَىٰ لعَبدٍ أَخَذ بعنان فَرَسِهِ في سبيل الله، أَشعَثُ رأسُهُ، مُغبَّرةٌ قَدَماه، إن كَانَ في الحِرَاسَة، كَانَ في الحِرَاسَةِ، وإن كَانَ في السَّاقَة، كَانَ في السَّاقَة، إن استَأذَنَ لَم يُؤذَن لَهُ، وإن شَفَع لَم يُشفَّع»، رَوَاه البخاريُّ(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٨٦).

حكم اللهو واللعب

أمَّا بَعد:

فإنَّهُ ممَّا يجبُ أَن يُعلمَ أنَّ اللهَ بَعثَ نَبيَّه مُحمَّدًا ﷺ بالهُدَىٰ وَدِين الحقِّ ليُظهرَهُ علىٰ الدِّين كُلِّه، وكَفَىٰ بالله شَهيدًا، وأنَّه أَكمَل له ولأُمَّتِهِ الدين، وأنَّه بَشَّرَ بالسَّعادة لمَن أَطَاعَه، وأَخبَر بالشَّقاوة الأبديَّة لمَن عَصَاه.

وأَمَر الخَلقَ أَن يَردُّوا ما تَنازَعوا فيه مِن دِينِهِم إلىٰ ما بَعَثه بِهِ، وأَخبَر أنَّه يأمُرُ بالمَعروفِ، ويَنهَىٰ عن المُنكر، وأنَّه يحلُّ لأُمَّتِهِ الطَّيِّبات، ويُحرِّم عَلَيهم الخَبَائثَ، وهَذَا أصلٌ عظيمٌ يجبُ أَن يَعلَمَه المُسلمونَ، ويَعمَلوا له؛ حرصًا علىٰ النَّجَاة، وخَوفًا من الهَلَكة؛ لأنَّه لا نَجَاةَ لأحدٍ مِن عَذَاب الله وغَضَبِهِ إلَّا أَن يعتصمَ بشَرعِهِ، ويَحذر من مخالفتِهِ، وعِصيانِهِ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٢، ١٠٣].

وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

وأَنَّ ممَّا يجبُ أَن يُعلمَ أنَّ اللَّهوَ واللَّعبَ مُحرَّمٌ، لِمَا وَرَد في ذَلكَ من الآيَاتِ والأَحَاديثِ الَّتي تَذُمُّ فاعلَ ذَلكَ.

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء:٦١-٦٤].

وَقَالَ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٦].

وَقَالَ: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الأنعام:٧٠].

ومِنَ السُّنَّة مَا رَوَاه البخاريُّ في «صحيحِهِ» مُعلَّقًا بصيغة الجزم: «**لَيكُونَنَّ من أُمَّتي أَقوامٌ يَستحلُّونَ الحِرَ[1]، وَالحَريرَ، والخَمرَ، والمَعَازفَ، وَلَيَنزلنَّ أقوامٌ إلىٰ جَنب علمٍ[2] يَرُوح عَلَيهم بسَارِحَةٍ[3] لَهُم، يَأتِيهم الفقيرُ لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُونَ: ارجع إِلَينَا غدًا، فيبتهم اللهُ[4] عَلَيهم، ويَمسَخ آخَرِينَ قِرَدةً وخَنَازيرَ إلىٰ يَوم القِيَامَةِ**»[5].

(١) «الحِرَ»: الفَرج، وأصله: الحرح. والمعنىٰ: أنهم يستحلون الزِّنَا.

(٢) «عَلَم»: جبل، أو هو رأس الجبل.

(٣) «السَّارِحَة»: الغَنَم.

(٤) «فيُبَيِّتهم الله»: يُهلِكُهُم في اللَّيل.

(٥) أخرجه البخاري (٥٥٩٠).

وَمَا رَوَاه الطَّيالسيُّ بلَفظ: «يَبِيتُ قومٌ من هذِهِ الأُمَّة عَلَىٰ طعمٍ وشُربٍ، ولَهوٍ ولعبٍ، فيُصبحُونَ وقَد مُسِخُوا قِرَدةً، وخَنَازير، وَلَيُصيبنَّهُم خسفٌ وقذفٌ»(١).

(١) أخرجه الطيالسي في «مسنده» (١٢٣٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٢٢٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١٤٠٦).

بيعة النساء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَا أَيُّها المُسلِمُونَ والمُسلمات!

اتَّقوا اللهَ، وَاعلمُوا أنَّ اللهَ تَعَالىٰ قَد أَرسَل رَسُولَه بالهُدَىٰ ودِين الحقِّ، فمَن أَطَاعَه دَخَل الجَنَّة، ومَن عَصَاه دَخَل النَّار، وقَد وَرَدت في القُرآن بَيعة النِّساء في القُرآن في آخِر سُورَة المُمتحنة، حَيثُ يَقُولُ الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة:١٢].

رَوَىٰ مالكٌ في «المُوطَّإ» عَن مُحمَّد بن المُنكدر، عَن أُمَيمة بنت رقيقة، قَالَت: أَتيتُ رَسُولَ الله ﷺ في نِسوةٍ بَايَعنه عَلَىٰ الإسلَام، فقُلنا: يَا رَسُولَ الله، نُبَايعُكَ عَلَىٰ أَلَّا نُشركَ بالله شيئًا، وَلَا نَسرقَ، وَلَا نَزنِي، وَلَا نَقتل أَولادَنَا، وَلَا نَأتي بِبُهتانٍ نَفتريه بَينَ أَيدينا وأَرجلنا، وَلَا نَعصيك فِي مَعروفٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فِيمَ استَطعتنَ وأَطَقتُنَّ**». فقُلنَا: اللهُ ورسولُهُ

أَرحَمُ بنا من أَنفُسِنَا. فقُلنا: يا رَسُولَ الله، هَلُمَّ نُبَايعكَ، فَقَال رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي لا أُصَافِحُ النِّساءَ، إِنَّما قَولي لِمِئَةِ امرَأَةٍ كقَولي لامرأَةٍ وَاحِدَةٍ**»(١)، أَو: «**مثل قَولي لامرَأَةٍ واحدةٍ**»(٢)، ورُوِيَ بالعَكس «**إِنَّما قَولي لامرَأَةٍ وَاحِدَةٍ كقَولي لِمِئَةِ امرَأَةٍ**»(٣).

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٣٦٠٢)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٤٦٤٨).

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٤٥٥٣)، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٤٥٣٦).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤٤).

الوعيد على إضاعة الصلاة

أمَّا بَعد:

فَاتَّقوا اللهَ عبادَ الله، وَاعلَمُوا أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ تَوعَّد المُضيِّعين للصَّلاة بأَعظَم وعيدٍ، فَقَال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون:٤-٧].

وَقَالَ: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ۝٦٠﴾ [مريم:٦٠].

قَالَ ابنُ كثيرٍ لمَّا ذَكَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ حِزبَ السُّعَداء، وهُمُ الأَنبيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومَن اتَّبعَهُم من القَائِمِينَ بحُدُود الله وأَوَامِره، المُؤدِّين فَرَائض الله، التَّاركينَ لزَوَاجره، ذَكَر أنَّه خَلَف من بَعدهم خلفٌ، أي: قُرُون أُخَر أَضَاعوا الصَّلَاةَ، وإِذَا أَضَاعُوهَا، فهُم لِمَا سِوَاها أَضيَع؛ لأَنَّها عمادُ الدِّين، وقوامه وخَير أَعمالِهِ.

وأَقبَلوا عَلَىٰ شَهَوات الدُّنيا وَمَلاذِّها، ورَضُوا بالحَيَاة الدُّنيا، واطمَأنُّوا بها، ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم:٥٩]، أَي: خسارًا يَومَ القِيَامَة.

وَقَدِ اختَلفُوا فِي المُرَاد بإِضَاعَة الصَّلاة هَا هُنَا، فَقَالَ قومٌ: المُرَاد بإِضَاعَتها: تَركها بالكُليَّة، قَالَه مُحمَّد بن كعبٍ القُرَظي، وَابنُ زيد بن أسلم،

والسدي، وَاختَاره ابن جرير.

وَلِهَذَا، ذَهَبَ مَن ذَهَبَ مِنَ السَّلَف والخَلَف والأَئمَّة كما هُوَ المَشهورُ عَن الإمَام أَحمَد، وقَول الشَّافعيِّ إلىٰ تَكفِير تَارِكِ الصَّلَاة؛ للحَدِيثِ: «**بَينَ العَبد وبَينَ الكُفر والشِّركِ تَركُ الصَّلاة**»(١)، والحديث الآخَر: «**العَهدُ الَّذي بَيننا وبَينهُم الصَّلاة، فمَن تَركَها فقَد كَفَر**»(٢).

وَقَالَ الأَوزاعيُّ عن موسىٰ بن سُلَيمان، عن القَاسِم بن مُخَيمَرة في قولِهِ: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾، قَالَ: «إِنَّمَا إِضَاعَتُهَا تَأخيرُ أَوقَاتها، ولَو كَانَ تَركها كان كفرًا»(٣).

قَالَ كَعب الأَحبَار: «واللهِ، إنِّي لَأَجِدُ صِفَةَ المُنَافقينَ في كِتَابِ اللهِ ﷻ شَرَّابين للقَهوات، تَرَّاكِين للصَّلَوَات، لَعَّانين للكعبات، رَقَّادِين عن العَتَمَات، مُفرِّطينَ في الغَدَوات، تَرَّاكِينَ للجَمَاعَاتِ»(٤).

وَقَالَ الحسنُ البصريُّ: «تَركوا المَسَاجد، ولَزِمُوا الضَّيعات»(٥).

قَالَ مجاهدٌ: «أُنَاسٌ مِن هذِهِ الأُمَّة يتراكبون كَالأَنعَام، والحُمُر في الطُّرق، لا يَخَافُونَ الله في السَّماء، وَلَا يَستَحيُونَ من النَّاس في الأَرض»(٦).

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٩) من حديث جابر، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجة» (٨٨٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٢١) من حديث بريدة، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٦٤).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٤٣).

(٤) انظر «تفسير ابن أبي حاتم» (٩/ ٢٦٨).

(٥) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٤٥).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ٢١٧).

مثل الحياة الدنيا

أيُّها النَّاسُ، إنَّكم لَم تُخلَقوا عبثًا، ولَم تُتركوا سُدًى، وإنَّ لَكُم معادًا يَحكم الله بَينكُم فيه، فخَابَ وخَسِرَ مَن خَرجَ من رَحمة الله الَّتي وَسِعَت كلَّ شيءٍ، وحُرِمَ جنَّة عَرضُهَا السَّماوات والأَرض.

وَاعلَموا أنَّ الأمان غدًا لِمَن خَافَ اليومَ، وبَاعَ قليلًا بكثيرٍ، وَفانيًا بباقٍ، أَلَا تَرَون أنَّكُم في أسلاب الهالكين تَتقلبُونَ، وسيَخلفكم من بَعدِكم الباقون، وكَذَلك حتَّىٰ يَرِثَ اللهُ الأَرضَ، وهُوَ خَيرُ الوارثين، فَوَاأسفا عَلَىٰ مَن بَاعَ آخرته بدُنياه! لقَد باعَ كثيرًا بقليلٍ، وبَاقيًا بفانٍ، فَكِّروا فيما يَمرُّ بكم من الحَوَادث والعظات، أَلَا ترون أنَّكُم في كلِّ يومٍ تُشيِّعون غاديًا أَو رائحًا إلىٰ الله؟! قَد قَضىٰ نَحبَه، وَبَلغَ أَجلَه، ثمَّ تُغيِّبونه في ضريحٍ من الأَرض، وتَدَعُونَه غير مُوسَّدٍ، ولا مُمهَّدٍ، قَد خَلَع الأَسبَابَ، وَفَارقَ الأَحبابَ، ووَاجَه الحسابَ، مُرتهنًا بعملِهِ، غنيًّا عَمَّا ترك، فقيرًا إلىٰ ما قَدَّم.

عِبَادَ الله، أَلَا يَكُونُ لكم في ذَلكَ عبرةٌ عَلَىٰ ضَآلَة الدُّنيا وحَقَارتها، وعِظَم الآخِرَةِ وخَطَرها؟! أَلَا يكفيكُم مَا حَدَّثكُم الله ﷻ عنها، فَقَالَ: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ

عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد:٢٠، ٢١]؟!

عِبَادَ الله، إنَّ الدُّنيا مَمرٌّ، وَلَيسَت بمَقرٍّ، قَالَ عَنها نبيُّ الهُدَىٰ ﷺ مُبيِّنًا ضَعفها وقِلَّتها وحَقَارتها: «**الدُّنيا مَلعونةٌ، مَلعونٌ ما فيها، إلَّا ذِكر الله، وَمَا وَالَاه، أَو عَالِمًا، أَو مُتعلِّمًا**»(١).

وَقَالَ: «**لَو كَانَت تَزِنُ عِندَ الله جَنَاحَ بَعُوضةٍ، مَا سَقَىٰ كَافرًا مِنهَا شربةَ مَاءٍ**»(٢).

وَقَالَ: «**مَا لي وللدُّنيا، إنَّما مَثَلي ومَثَل الدُّنيا كراكبٍ قَالَ(٣) في ظلِّ شجرةٍ، ثمَّ راحَ عَنها وتَرَكها**»(٤).

قال بَعض المُتأخِّرين: لَعِبٌ كَلَعِبِ الصِّبيان، ولَهو كلَهوِ الفِتيَانِ، وزينة كَزِينَةِ النِّسوان، وتَفَاخر كتَفَاخر الأَقرَان، وتَكَاثر كتَكَاثر الرُّهقان.



(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٢) من حديث أبي هريرة، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٥١٧٦).

(٢) أخرجه ابن ماجة (٤١١٠) من حديث سهل بن سعد، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجة» (٣٣١٨).

(٣) «قَالَ»: مِن القَيلُولَة، أي: نام في منتصف النَّهار، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الأعراف:٤].

(٤) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٢٩٠) (١٣٨٤) من حديث ابن مسعود.

الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر

(كلمة خاصة لشبكة سحاب السلفية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلامُ عَلَىٰ رَسُول الله، وعَلَىٰ آلِهِ وصَحبه، وبَعد:

فإنَّ اللهَ أَثنَىٰ عَلَىٰ أُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ أنَّها خَير أُمَّةٍ أُخرجَت للنَّاس، وجَعَل أَبرزَ خِصَالِهَا الَّتي استحقَّت بها هَذَا الثَّناء العاطر من ربِّ الأَرض والسَّماء:

الأَمرَ بالمَعروف، والنَّهي عن المُنكر، والإيمَان بالله.

وإن هذه الثَّلاث الخصال مُتَرَابطةٌ، لا يَنفَكُّ بعضُها عن بعضٍ، فكما فرض الله عليهم الإيمان، فإنَّه فَرَض عَلَيهم الأَمرَ بالمَعروف، والنَّهي عن المُنكر، فمِن لَازِمِ الإيمَان أَنَّ صَاحبَهُ لا بُدَّ أَن يكونَ آمرًا بمَعروفٍ، ومِن لَازِمِه أَن يكونَ ناهيًا عن منكرٍ عَلَىٰ مَرَاتبِهِ الثَّلاث؛ في قولِهِ ﷺ: «**مَن رَأَىٰ مِنكُم مُنكَرًا فَليُغَيِّرهُ بِيَدِهِ، فَإِن لَم يَستَطِع فَبِلسَانِهِ، فَإِن لَم يَستَطِع فَبِقَلبِهِ، وَذَلِكَ أَضعَفُ الإِيمَانِ**»[1].

(١) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

وفي الحَدِيثِ: «**ثَلَاثٌ لا يغلُّ عليهنَّ قلبُ امرئٍ مسلمٍ، إخلَاصُ العَمَل لله، والنُّصح لأئمَّة المُسلمينَ، ولُزُوم جَمَاعتهم، فإنَّ دَعوتَهم تُحيطُ مِن وَرَائهم**»، «صحيح الجامع» (٦٦٤٢)، وأَحمَد، وَالحَاكم عَن جُبَير بن مطعمٍ، وأبو داود، وَابن مَاجَة عَن زَيد بن ثابتٍ، وَالتِّرمذيِّ، وَابن مَاجَة، عَن ابنِ مَسعودٍ[1].

وفي الحَدِيثِ أيضًا: «**لَا يَحقِرَنَّ أَحدُكُم نَفسَه أَن يَقُولَ لله بحقٍّ إن رَآهُ أَو سَمِعَهُ**»[2].

ولقَد رَأَينا المُثقَّفين، بَل مِمَّن تَغبطهُم عَلَىٰ علمٍ وعقلٍ أقوامًا يَتضَايقُونَ من ذِكرِ الحِزبيَّات الجديدة، وَبَيان مَا فيها مِن أَخطاءٍ، ومَا عَلَيها من مُلَاحظاتٍ ومآخذَ، فَتَراهُم يَتَّهمونَ مَن سَلَك هَذَا المَسلك، وهُوَ بَيَان ما في تِلكَ المَنَاهج من أَخطاءٍ فاحشةٍ، بَعضها يُخرجُ مِنَ الإسلَام؛ كالشِّرك الأَكبَر، وبَعضها يَخدُشُه خدشًا، لَيسَ باليَسير؛ كالبِدَعِ والتَّشريعاتِ الَّتي وَضَعوها من عِندِ أَنفسِهِم استِحسَانًا؛ كقَول مُؤسِّس المَنهج الإخوانيِّ: «نَتعَاون فِيمَا اتَّفقنَا عَلَيه، ويَعذر بَعضنا بعضًا فِيمَا اختلَفنا فِيهِ».

وقَوله في شَرط الطَّاعة من شُرُوط البَيعَة العشرة، من رِسَالَة (التَّعليم) (ص٣٧٤): «أُرِيدُ بالطَّاعة امتثَال الأَمر، وإنفَاذه توًّا في العُسر واليُسر،

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٢٥) (١٣٣٧٤) من حديث أنس، والحاكم في «المستدرك» (٢٩٦)، وابن ماجة (٢٣٠) من حديث زيد بن ثابت، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٢٩).

(٢) أخرجه ابن ماجة (٤٠٠٨)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٠) (١١٢٧٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠/ ٦٢) (٧١٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وضعفه الألباني في «ضعيف ابن ماجة» (٨٦٨).

والمَنشَط والمَكره»، يَعني: بدون مُرَاجعةٍ، ولا تَردُّدٍ».

وهَذَا الشَّرطُ مخالفٌ لتَعاليم الإسلَام، فقَد كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُبَايع أَصحابَهُ عَلَىٰ السَّمع والطَّاعة في العُسر واليُسر، والمَنشط والمَكره، ويُلقِّنهم فِيمَا استَطعتَ، وَيَقُول: «**إِنَّما الطَّاعة في المَعروف**»(١)، و«**لَا طَاعَة لمَخلوقٍ في مَعصية الخالق**»(٢): فإِذَا بَيَّن أَحَد هذِهِ التَّشريعات الغريبة عَن الإسلَام، ووَضَّحها لطُلَّاب العلم الَّذينَ يجهلون هذا، قَالُوا: هَذَا تفريقٌ للمُسلمينَ، هذِهِ غِيبةٌ للدُّعاة!

أَخِي المُسلم، أَرجُو أَن تَتذكَّر أَنَّ الإسلامَ هُوَ ما جاء به مُحمَّدٌ رَسُولُ الله ﷺ، لا ما استَحسَنه الشُّيُوخ، وجَعَلوه شرعًا لأَتباعِهِم، فمَن أَسَّسَ دَعوةً عَلَىٰ نَهجٍ مخترعٍ مِن عِندِ نفسِهِ، وأَدخَل في الإسلَام مَا لَيسَ منه، وأَخرَج منه أَسَاسَهُ الأَعظَم، وقَاعدَته الَّتي لا يَقُوم إلَّا عَلَيها، فإِنَّ عَمَله مَردودٌ غير مقبولٍ؛ لأَنَّه فَقَد أَحَد الأَصلَين اللَّذين يَقُوم عَلَيهما كلُّ عملٍ، وهُمَا الإخلَاص لله، والصَّوَاب علىٰ ما جَاءَ به مُحمَّدٌ رَسُولُ الله ﷺ، ولَسنَا نَتكلَّم عن الإخلَاص، فهُوَ أمرٌ يَعلمُهُ الله، وَلَكن نَقُولُ: إنَّ مَن تَركَ الدَّعوة إلىٰ الله البَادِئَة بالتَّوحيد، وَسَكَت عن الشِّرك حتَّىٰ كأَنَّه مباحٌ شرعًا، وَاشتَرط في دعوتِهِ شروطًا لَيسَت في كتاب الله، فإِنَّ عَمَله قَد جانبَ الصَّوَاب، وخَالَف مَا كَانَ عَلَيه رَسُولُ الله ﷺ في دعوتِهِ.

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠)من حديث عليٍّ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٥٠٩١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وصححه الألباني «السلسلة الصحيحة» (١٧٩).

ثانيًا: يتظاهرُونَ بالتَّنسُّك والتَّعبُّد: فيُغرون مَن لا يَعلم حَقِيقَةَ أَمرهم، فيَنخَدع بِهِم، وهُم في الحَقِيقَةِ يَدعونَ إلىٰ خِلَافةٍ بدلًا من التَّوحيد، ويَرَون الخُرُوجَ علىٰ الوُلَاة المُسلمينَ، ويُربُّون الشَّباب عَلَىٰ بُغضِهِم، ويَعدُّونَ العُدَّة للخُرُوج عَلَيهم مَتَىٰ تَهيَّأتِ الفُرَصُ.

ثالثًا: يَجبُ عَلَىٰ مَن يَعلمُ هذِهِ الحَقَائقَ بالدَّلائل والقَرَائن أَن يُبيِّن أَمرَهم، ويُحذِّر منهم: طَاعةً لله، وأمرًا بالمَعروف، ونَهيًا عن المُنكر الَّذي أَمَر اللهُ بِهِ، وجَعَله مِن أَبرز صِفَاتِ هذِهِ الأُمَّة.

رابعًا: نَحن نَعتقدُ أَنَّ مَن سكتَ عَن بَيَان هذه الأُمُور وهُوَ يَعلمها أَنَّه قَد خَانَ الأَمَانة: الَّتي أَوجبَ اللهُ عَلَيه أَدَاءها، قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء:٥٨]، وَخَانَ الدَّولة، وخَانَ المُجتمعَ الَّذي هُوَ فِيهِ، وذَلكَ في نَفس الوَقت خيانةٌ للدِّين الإسلاميِّ؛ لأنَّه تقصيرٌ في حِمَايَة الدِّين من الدَّخيل.

خامسًا: ومَن سَكَتَ عَن هذِهِ المَنَاهج الَّتي فيها مِنَ المُخَالفات للدِّين الإسلاميِّ في أُصُولِهِ، وفُرُوعِهِ، وعَقَائِدِهِ، وأحكامِهِ، فإنَّه قَد شَجَّع الفَسَادَ، وأَعَان المُفسدينَ والمُحدثينَ في الدِّين ما لَيسَ منه.

سادسًا: وهُوَ في هذِهِ الحَالَة داخلٌ في اسم الكَاتِمِينَ الَّذين أَخبَر الله ﷻ أَنَّه يَلعنهُم، ويَلعنهم اللَّاعنون من عبادِهِ، حَيث يَقُولُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

سابعًا: ثَبتَ في الصَّحيح عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «**لَعَن اللهُ مَن لَعنَ وَالِدَيه، لَعَن اللهُ مَن ذَبحَ لغَير الله، لَعَن اللهَ مَن آوَىٰ مُحدثًا، لَعَن اللهَ مَن غَيَّر مَنَار الأَرض**»[1].

والسُّكُوتُ عَن هَؤُلاء إيواءٌ للمُحدثين، وإعانةٌ لَهُم.

فَاحذَر -يا عَبد الله- أَن تَسكُتَ عَن البَاطِلِ، وتُقرَّه، فتَدخل في عِدَادِ مَن سَمَّىٰ اللهَ، فتَخسر في الآخِرَةِ، فإنَّ اليومَ عَمَلٌ ولا حِسَابَ، وغدًا حسابٌ ولا عَمَلَ.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

وكتبه

أحمد بن يحيى بن محمد النجمي

(١) أخرجه البيهقي في «الكبرىٰ» (١١٣١٧) من حديث علي رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الجامع الصغير» (٩٢٤٣).

أحاديث في الخوارج

وَرَدت الأَحَاديثُ الَّتي أَخبَرَ النَّبيُّ ﷺ فيها عن الخَوَارج، عَن جَمَاعةٍ من الصَّحَابة، أَوَّلهم عليُّ بن أبي طالبٍ، وقَد وَرَد حديثُهُ من اثنَي عَشَر طريقًا، ذَكَرها ابنُ كثيرٍ، وَقَالَ: ومثل هَذَا يَبلغ حدَّ التَّواتر:

الطَّريق الأَوَّل: عَن زيدِ بن وهبٍ الجُهَنيِّ، أنَّه كان في الجيش الَّذين كانوا مع الَّذين سَارُوا إلىٰ الخَوَارج، فَقَال عليٌّ رضي الله عنه: «يا أيُّها النَّاسُ؛ إنِّي سَمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُول: «يَخرجُ قومٌ مِن أُمَّتي يَقرؤونَ القُرآنَ؛ ليس قراءتكم إلىٰ قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلىٰ صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلىٰ صيامهم بشيء، يَقرَؤونَ القُرآنَ يَحسَبُونَ أَنَّهُ لَهُم وَهُوَ عَلَيهِم، لَو يَعلَمُ الجَيشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُم، مَا قُضِيَ لَهُم عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِم ﷺ، لَنَكَلُوا عَلىٰ العَمَلِ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِم رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ لَيسَ لَها ذِرَاعٌ، عَلَىٰ رأس عَضُدِهِ مِثلُ حَلَمَةِ الثَّدي عَلَيهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ، فَتَذهَبُونَ إِلَىٰ مُعَاوِيَةَ وَأَهلِ الشَّامِ، وَتَترُكُونَ هَؤُلَاءِ يَخلُفُونَكُم فِي ذَرَارِيِّكُم وَأَموَالِكُم، وإِنِّي لَأَرجُو أَن يَكُونُوا هَؤُلَاءِ القَومَ، فَإِنَّهُم قَد سَفَكُوا الدَّمَ الحَرَامَ، وَأَغَارُوا علىٰ سَرحِ النَّاسِ، فَسِيرُوا عَلَىٰ اسمِ اللهِ».

فذكر الحديث عن مسيرهم إلىٰ أن قال: فشَجَرَهُم النَّاس بِرِمَاحِهِم.

قَالَ: وَقَتَل بَعضَهُم عَلَىٰ بَعضِهِم، وَمَا أُصِيبَ مِنَ النَّاس يَومَئِذٍ إِلَّا رَجُلَانِ.

فَقَالَ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فالتَمِسُوا فِيهم المُخدجَ، فَالتَمَسُوه، فَلَم يَجِدُوهُ، فَقَامَ عليٌّ بنفسِهِ، حتَّىٰ أَتَىٰ ناسًا بَعضُهم إلىٰ بَعضٍ، فَقَال: أَخرجُوهُم، فأَخرجُوهُم، فوَجَدوه ممَّا يَلِي الأَرض، فَكَبَّر عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثمَّ قَالَ: صَدَق الله، وبَلَّغ رسولُهُ، فَقَام إِلَيه عُبَيدة السَّلمانيُّ، فَاستَحلفه ثَلَاثًا: أَسَمعتَ هَذَا من رَسُول الله ﷺ، فحَلَف: بالله الَّذي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَسَمعتُ هَذَا مِن رَسُول الله ﷺ. هَذَا اللَّفظ لمسلمٍ(١).

وَفي طَريق سُوَيد بن غَفلة عند أَحمَد، عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «يَخرج قومٌ مِن أُمَّتي فِي آخِرِ الزَّمان، أَحدَاثُ الأَسنَان، سُفَهاء الأَحلَام، يَقُولُون مِن قَول خَير البريَّة، يَمرُقُونَ مِن الدِّين كَمَا يَمرُقُ السَّهمُ من الرَّميَّة، فإِذَا لَقِيتُمُوهُم فَاقتُلُوهُم، فَإِنَّ فِي قَتلهم أَجرًا لِمَن قَتلهُم عِندَ اللهِ يومَ القِيامَةِ»(٢).

وروىٰ الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخرج قومٌ في آخر الزمان، سُفهَاء الأحلَامِ، حُدَثَاء الأسنَان، يَقُولُونَ مِن خَيرِ قولِ النَّاسِ، يَقرَؤُونَ بِألسِنَتِهِم، لَا يَعُد تَرَاقِيهِم يَرمُقُونَ مِن الإسلام كما يمرُقُ السَّهمُ من الرَّمِيَّةِ، فمن أدركَهَم فَليَقتلهم؛ فإنَّ في قَتلِهِم

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦)، وأحمد في «المسند» (١/ ١٣١) (١٠٨٦).

أَجرًا عِندَ اللهِ لِمَن قَتَلَهُم»[١].

الحَدِيثُ الثَّالث: عَن أنسٍ عِندَ الإمَام أَحمد في «مُسنده». قَالَ: ذكر لي أنَّ نبيَّ الله ﷺ، ولَم أَسمَعه منه: «إنَّ فيكم فرقةً يَتعبَّدون، ويَدِينُونَ، حتَّىٰ يُعجِبُوا النَّاس، وتُعجبهم أَنفسهم، يَمرقُونَ من الدِّين كَمَا يَمرُقُ السَّهمُ من الرَّميَّة»[٢].

الحديثُ الرَّابع: عَن أنسٍ، وأبي سعيدٍ رضي الله عنهما عِندَ الإمَام أَحمَد، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «سَيكُونُ في أُمَّتي اختِلَافٌ وفُرقةٌ، قَومٌ يُحسنونَ القِيلَ، ويُسِيئُونَ الفِعلَ، يَقرؤونَ القُرآنَ لَا يُجَاوز تَرَاقيهم، يَحقر أَحدُكُم صلاتَهُ مَعَ صَلَاتِهم، وَصِيَامَه مَعَ صِيَامِهِم، يَمرقُونَ من الدِّين كَمَا يَمرُقُ السَّهمُ من الرَّميَّة، ثمَّ لَا يَرجعون إليه حتَّىٰ يرتدَّ السَّهمُ عَلَىٰ فُوقِهِ، هُم شِرَارُ الخَلق والخَلِيقَةِ، طُوبَىٰ لمَن قَتَلَهُم أَو قَتلُوه، يَدعون إِلَىٰ كِتَابِ الله، ولَيسُوا مِنهُ في شيءٍ، مَن قَاتَلهُم كَانَ أَولَىٰ بالله منهم».

قَالُوا: يا رَسُولَ الله، ما سِيمَاهُم؟ قَالَ: «التَّحليق»[٣].

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٤) (٣٨٣١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجة» (١٣٨).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٨٩) (١٤٩٩٥)، بلفظ: «إِنَّ فِيكُم قَومًا يَعبُدونَ وَيَدأَبُونَ...»، وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (٩٤٥).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٢٤) (١٣٣٦٢)، وصححه الألباني في «الجامع الصغير» (٥٩٨١).

الحديث الخامس: مِن حَدِيثِ جَابر بنِ عَبدِ الله عِندَ الإمَام أَحمَد قَالَ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَقسِمُ فضَّةً في ثوبِ بلالٍ للنَّاس، فَقَال رجلٌ: يا رَسُولَ الله، اعدِل. فَقَالَ: «**وَيلَك، ومَن يَعدل إِذَا لَم أَعدل؟!**»(١).

وفي روايةٍ: «**أَيَأمَنني مَن في السَّمَاء، وَلَا تَأمنُوني**»، فَقَال عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله، دَعني أَقتُل هَذَا المُنَافق. قَالَ: «**مَعَاذ الله أَن يَتحدَّث النَّاس أَنِّي أقتلُ أَصحابي، إنَّ هَذَا وأَصحَابَه يَقرَؤون القرآنَ لَا يُجَاوزُ حَنَاجرَهُم، يَمرقونَ مِنَ الدِّين مُرُوقَ السَّهم في الرَّميَّة**»(٢).

الحديثُ السَّادس: حديث أبي سعيدٍ، سَعد بن مالك بن سنان، ولَهُ ثمان طُرُقٍ.

الحديث السابع: عَن سَلمان الفَارِسيِّ.

و الثامن: عَنْ سَهل بن حَنيفٍ.

و التَّاسع: عَن ابن عبَّاسٍ.

والعَاشر: عن ابنِ عُمَر.

وَالحَادي عَشَر: عَن عَبد الله بن عمرٍو.

و الثَّاني عَشَر: عَن أبي ذرٍّ.

والثَّالث عَشَر: عَن عَائشةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالىٰ عَنها وعَنهُم أَجمعِينَ.

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٥٣) (١٤٨٤٦)، وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (٩٢٤).

(٢) أخرجها مسلم (١٠٦٣) من حديث جابر.

ويُستفاد مِن هذِهِ الأَحاديث:

أوَّلًا: إنَّ الخَوارجَ أَهل عِبَادةٍ ونُسُكٍ، مَن رَآهُم حَسِبهُم أَتقىٰ النَّاس، وهُم أَفجر النَّاس، وقَد قَالَ نبيُّ الهُدَىٰ: «**يَمرقُونَ من الدِّين كَمَا يَمرُقُ السَّهمُ مِنَ الرَّميَّة**»(١).

ثانيًا: يُؤخَذ مِنها (أَي: مِن هذِهِ الأَحاديث) أنَّ النَّبيَّ ﷺ وَصَفهُم بأَنَّهم شرُّ الخَلق والخَلِيقَةِ، والعياذُ بالله.

ثالثًا: وَصَفَهُم بأَنَّ قَتلاهُم في النَّار.

رابعًا: وَصَفَ مَن قَاتَلهُم [بأنَّه] في الجنَّة.

خامسًا: هَنَّأَ مَن قَاتَلهُم أَو قَتلُوه، فَقَال: «**طُوبَىٰ لمَن قَتَلهُم أَو قَتلُوه**»(٢)، وطُوبَىٰ: شجرةٌ في الجنَّة.

سادسًا: وَصَفَهم بأَنَّهم يَخرجونَ من الدِّين لَا يَعُودُون إليه آخِرَ ما عَلَيهم.

سابعًا: جَعَل لهم عَلَامةً، وهُوَ الرَّجل المُثدَّن (يَعني الَّذي يدُهُ اليُمنىٰ كأَنَّها ثَدي امرَأةٍ).

ثامنًا: أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ سَجَد لله شكرًا لمَّا وَجَدَه [أي: الرَّجل] بالوَصف الَّذي وَصَفه بِهِ رَسُولُ الله ﷺ.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٦٥) من حديث أبي سعيد، وأنس، وحسنه الألباني في «ظلال الجنة» (٩٠٦).

تاسعًا: وَصَفهم بأنَّهُم يُحسنونَ القَولَ، ويُسيئُونَ العَمَلَ.

عاشرًا: وَصَفهم بأنَّهُم يَقتلونَ أَهلَ الإيمان، ويَتركونَ عَبَدَةَ الأَوثَان، وَوصفهم بأنَّهم كلابُ النَّار.

وأخيرًا، مَا هِيَ عَقِيدتُهُم الَّتي استَحقُّوا بها هذِهِ الأَوصَاف؟

إنَّ عَقِيدَةَ الخَوَارج الَّتي استَحقُّوا بها هذِهِ الأَوصَافَ تَتلخَّصُ فِي أَمرَين:

الأَوَّل: يُكفِّرونَ المُسلمينَ جميعًا (حَاكِمِين ومَحكُومين)، ويَعتقدُونَ أنَّهم مُخلَّدونَ فِي النَّار، ويَستحلُّونَ دِمَاءَهُم وأَموَالَهُم.

ثانيًا: وبِنَاءً عَلَىٰ ذَلكَ يَستحلُّون الخُرُوجَ علىٰ الحُكَّام.

رسالة في العلم وفضله، ووصايا نافعة لطالبه

أمَّا بَعدُ:

يَقُولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة:١٢٢].

وَقَالَ جلَّ من قائلٍ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة:١١].

وَقَالَ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٨].

في هذِهِ الآيات نَوَّهَ اللهُ بأَهل العلم، فأَخبَر أنَّه يَرفعُهُم دَرَجاتٍ فوق سَائر المُؤمنينَ، وما ذَلكَ إلَّا بأنَّهم يَكُونون دُعَاةً وأَدلَّاء علىٰ الله، فينَالون من نَفعهم للنَّاس ثوابًا، يَرفعُهُم الله بِهِ عَلَىٰ سَائِرِ المُؤمنينَ دَرَجات، ولَذا قَرَنَ اللهُ شَهَادتَهم بشهادتِهِ جلَّ وَعَلا، وشَهَادة ملائكتِهِ، وفي ذلك رفعةٌ لشَأنِهِم.

عَن أبي الدَّرداء: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَن سلكَ طريقًا يَلتمسُ فِيهِ عِلمًا، سَهَّل اللهُ له طريقًا إلىٰ الجنَّة، وإنَّ الملائكةَ لَتضَعُ أَجنحتَهَا لطالب**

العلم، وإنَّ طَالبَ العِلمِ يَستغفر له مَن في السَّماء والأرض حتَّىٰ الحيتان في الماء، وإنَّ فَضلَ العَالِمِ عَلَىٰ العابد كفَضل القَمَر عَلَىٰ سائر الكَوَاكب، إنَّ العُلَماء هم وَرَثة الأنبيَاء، إنَّ الأنبياءَ لَم يُورِّثوا دينارًا ولا دِرهمًا، إنَّما وَرَّثوا العلمَ، مَن أَخَذه أَخَذَ بحظٍّ وافرٍ»، حَدِيثُ أبي الدَّرداء صحيحٌ بشَوَاهِدِهِ ومُتَابعاتِهِ[1].

للحديث فوائد مِنها:

١- بَيَان فَضل العُلَماء، والحثُّ علىٰ طَلَب العِلمِ.

٢- جَعل العُلَماء وَرَثة الأنبياء؛ لأَنَّهم فَازُوا بالحُسنَيَين: (العِلمِ والعَمَل)، وَحَازوا الفَضِيلَتينِ: (الكَمَال والتَّكميل)، وهَذَا طريقُ العَارفِينَ بالله، وسبيل السَّائرينَ إلىٰ الله.

٣- ومِنهَا أنَّه لمَّا كَانَ العَالِمُ ساعيًا في حُصُول العِلمِ الَّذي به نجاةُ النُّفُوس من الهَلَكات، وكان سعيُهُ مقصورًا علىٰ هَذَا، وَكَانت نَجَاة العباد عَلَىٰ يَدَيه، جُوزِيَ من جِنسِ عَمَلِهِ، وجعل مَن في السَّمَاوات والأرض كُلهم سَاعيًا في نجاتِهِ من أَسبَاب الهَلَكات باستِغفَارهِم لَهُ.

٤- ومِنهَا أنَّ في الحديث إيماءً إلىٰ أَنَّ طُرُقَ الجنَّة محصورةٌ في طُرُق العِلمِ الشَّرعيِّ وتَحصيلِهِ.

٥- ومِنهَا تَعظيمُ المَلَائكة لِطَالب العِلمِ وَاحترَامهم لَهُ ببَسط أَجنحتِهِم له رضًا منهم بصنيعِهِ.

(١) أخرجه ابن ماجة (٢٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجة» (١٨٢).

٦- ومِنهَا بَيَانُ فَضل العَالِمِ عَلَىٰ العابد؛ لأنَّ العِلمَ فضلُهُ مُتعدٍّ إلىٰ غَيره بالتَّعليم، والفَتوىٰ، والدَّعوة بخِلَافِ العِبَادَة فإنَّ فَضلَها قاصرٌ علىٰ صاحبها إذا كَانَ علىٰ السُّنَّة.

عَن أَنَس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**طَلَبُ العِلمِ فريضةٌ عَلَىٰ كلِّ مسلمٍ، وَوَاضعُ العِلمِ عند غَير أهلِهِ؛ كمُقلِّد الخَنَازير الجَوهرَ، واللُّؤلؤَ، والذَّهبَ**»، رَوَاه ابنُ ماجة، وفي سَنَده كثير بن شنظير مُختَلفٌ فيه، والأكثرُ عَلَىٰ تَوثيقِهِ(١).

حَدِيث أَبِي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَن نَفَّسَ عَن مؤمنٍ كربةً من كُرَب الدُّنيا، نَفَّسَ الله عنه كربةً من كُرَب يوم القيامة، ومَن سَتَر مسلمًا، سَتَره الله في الدُّنيا والآخرة، ومَن يَسَّرَ علىٰ معسرٍ، يَسَّرَ الله عَلَيه في الدُّنيا والآخرة، واللهُ في عَون العبد ما كان العَبدُ في عَون أخيه، ومَن سَلَك طريقًا يَلتمسُ فيه علمًا، سَهَّلَ الله له بِهِ طريقًا إِلَىٰ الجنَّة، وَمَا اجتمَعَ قومٌ في بيتٍ من بُيُوت الله يَتلونَ كتابَ الله، ويَتدَارسُونَه بَينهم إلَّا نَزَلت عَلَيهم السَّكينةُ، وغَشِيتهُمُ الرَّحمةُ، وحَفَّتهُمُ المَلَائكةُ، وَذَكَرهُمُ اللهُ فيمَن عنده، ومَن أبطأ به عملُهُ، لَم يُسرع به نسبُهُ**». رَوَاه أَحمَد، ومُسلمٌ، وأبو داود، والتِّرمذيُّ(٢).

عَن مُعَاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَن يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفقِّههُ في الدِّين، وإنَّما أنَا قاسمٌ، واللهُ يُعطي، ولَن تزالَ هذِهِ الأُمَّة قائمةً عَلَىٰ أَمر الله لا**

(١) أخرجه ابن ماجة (٢٢٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجة» (١٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وأحمد في «المسند» (٢/٢٥٢) (٧٤٢١)، وأبو داود (٤٩٤٦)، والترمذي (١٩٣٠).

يَضرُّهُم مَن خَالَفَهُم حتَّىٰ يَأتِيَ أمرُ الله عَزَّوَجَلَّ».

قلتُ: هَذَا في هَذَا الحديث، والمَعروفُ: «وَلَا تَزالُ طائفةٌ من هذِهِ الأُمَّة قائمةً عَلَىٰ أَمر الله لا يَضرُّهم مَن خَذَلهم، وَلَا مَن خَالَفهم حتَّىٰ يَأتِيَ أمرُ الله وهُم علىٰ ذَلكَ»(١).

وفي لفظٍ عِندَ ابن ماجة في هذا الحديث: «الخَير عَادةٌ، والشَّرُّ لجاجةٌ، ومَن يُرِدِ الله به خيرًا، يُفقِّهه في الدِّين»(٢).

حديث: «مَن تَعلَّم العلمَ ليُبَاهي به العُلَماءَ، أَو يُمَاري به السُّفَهاء، أَو يَصرف به وُجُوه النَّاس إليه، أَدخَله الله جهنَّم»، صَحَّحَه الألبانيُّ رقم (٦٠٣٤)، وعَزَاه إلىٰ تَخريج «اقتضَاء العَمَل»، رقم (١٠٢) عَن أبي هُرَيرة(٣).

«مَن تَعلَّم علمًا ممَّا يُبتغىٰ به وَجه الله، لَم يَتعلَّمه إلَّا ليصيبَ به عرضًا من الدُّنيا، لَم يَجِد عَرفَ الجنَّة يومَ القِيَامَة»، صَحَّحَه الألبانيُّ رقم (٦٠٣٥)، وَعَزاه إلىٰ (حم، د، هـ، ك)(٤).

عَن أَبِي هُرَيرة حديث: «مَا من خَارجٍ خَرَج من بيتِهِ في طَلَب العِلمِ إلَّا وَضَعت لهُ المَلَائكةُ أَجنحَتَها رضًا بِمَا يَصنَعُ حتَّىٰ يرجع»، صَحَّحَه الألبانيُّ

(١) أخرجه البخاري (٧١) من حديث معاوية.

(٢) أخرجه ابن ماجة (٢٢١) من حديث معاوية بن أبي سفيان، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجة» (١٨١).

(٣) أخرجه ابن ماجة (٢٦٠)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجة» (٢٠٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجة (٢٥٢) من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٢٧).

برقم (٥٥٧٨) عَزَاه إلىٰ أَحمَد، وابن ماجة، وَابن حبَّان، والحاكم عن صَفوَان ابن عَسَّال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

وَصَايا لطَالِبِ العِلمِ:

أَوَّلًا: أنَّه يجبُ فيه الإخلاصُ في طَلَبه، ونَشره، فَلَا يقصد بِهِ عَرَضًا من أَعرَاض الدُّنيا، فإن كَانَ قصد التَّوصُّل إلىٰ الوظيفة تابعًا للمَقصَد الصَّحيح جَازَ، والمَقصد الصَّحيح أنَّك تَطلُبُ العلمَ لتَعرفَ الحقَّ، فتَعمَل بِهِ، وتَعرف الباطلَ فتَجتَنبهُ.

ثانيًا: يجبُ أَن تَعملَ بالعلم الَّذي علمته لتنالَ بذَلِكَ رضا الله والجنَّة.

ثالثًا: يجبُ أَن تَدعو إلىٰ الله علىٰ ضَوء ما علمت.

رابعًا: يجبُ عَلَىٰ طَالب العِلمِ الحَذَر ممَّا يُخَالف العلم من الحِزبيَّات الممزُوجَة بالبدع، أَو بَعض الشِّركيَّات.

خامسًا: يجبُ أَن نتابعَ المَنهجَ السَّلفيَّ، ونَترك ما عَدَاه من المَنَاهج المُخَالفة للسُّنَّة؛ كالحِزبِ الإخوانيِّ، والحِزبِ السُّروريِّ، والحِزبِ القطبيِّ، وحزب التَّحرير، وحِزب التَّبليغ، وَسَائر الأَحزَاب، ونَقصد اتِّباع كِتَاب الله، واتِّباع سُنَّة رَسُول الله، وعَلَىٰ فَهم السَّلَف الصَّالح.

(١) أخرجه ابن ماجة (٢٤٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجة» (١٨٥).

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

❁ مقدمة الناشر ٥

ترجمة فضيلة الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ ١١

❁ نصيحة للدعاة ٢٥

❁ حق النبي ﷺ بين الغلو والتفريط ٣٩

❁ حادثة امتهان الدانمارك لصورة رسول الله ﷺ ٤٧

❁ سيرة الإمام المبجل أحمد بن محمد بن حنبل ٥٥

❁ سيرة الإمام البخاري ١٠٩

❁ الفتح الرباني في الدفاع عن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ١١٧

❁ ترجمة الإمام القرعاوي (وصايا لطلبة العلم) ١٥٧

❁ الإجابة على الأسئلة ١٦٢

❁ الغلو أسبابه وعلاجه ١٨٥

❁ المعاهدون والمستأمنون ٢١٧

❁ التكفير وبيان خطره وأدلة ذلك ٢٢٩

⊂ المبحث الأول: حقيقة التكفير ٢٣١

⊂ المبحث الثاني: نشأة التكفير في عهد السلف الصالح ٢٣٣

⊂ المبحث الثالث: نشأة التكفير في هذا الزمن ٢٣٦

- المبحث الرابع: حكم التكفير ٢٤٠
- المبحث الخامس: مخاطر التكفير، وعواقبه الوخيمة ٢٤٤

❁ حوادث التكفير والتدمير ما سببها؟ ٢٤٧

❁ السلفيون بريئون من الأعمال الإرهابية ٢٥٥

❁ رسائل ومقالات متفرقة ٢٦٣

- الدنيا متاع زائل، وعارية مستردة ٢٦٥
- بيان مخالفات الإخوان، وولائدهم ٢٧٧
- الاستقامة ٢٨٠
- موعظة ٢٨٤
- هوان الدنيا ٢٨٧
- حكم اللهو واللعب ٢٨٩
- بيعة النساء ٢٩٢
- الوعيد على إضاعة الصلاة ٢٩٤
- مثل الحياة الدنيا ٢٩٦
- الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ٢٩٨
- كلمة خاصة لشبكة سحاب السلفية ٢٩٨
- أحاديث في الخوارج ٣٠٣
- رسالة في العلم وفضله، ووصايا نافعة لطالبه ٣٠٩

❁ فهرس الموضوعات ٣١٧

الدرر السنية

في

رد بعض الشبهات العقدية والمنهجية

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

دار المنهاج

منارة الإسلام

للنشر والتوزيع

فتح رب العبيد

بجمع رسائل التوحيد

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

منارة الإسلام
للنشر والتوزيع

دار المنهاج